سلسلة المعارف التعليميّة

رَوحٌ ورَيحان

دروس في المعارف الإسلاميّة

دار المعارف الإسلامية الثقافية

سِلْسِلَةُ المَعَارِفِ التَعْلِيمِيَّة

رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ

دروس في المعارف الإسلاميّة

الـــكـــتـــاب: **رَوْحٌ ورَيْحانٌ** دروس في المعارف الإسلاميّة

إعـــــــداد: مركز المعارف للتأليف والتحقيق

إصـــــــدار: **دار المعارف الإسلاميّة الثقافية**

تصميم وطباعة: DB UK 00961 3 336218

الطبعة الأولى - 2017م

ISBN 978-614-467-010-1

books@almaaref.org.lb
00961 01 467 547
00961 76 960 347

سِلسِلَةُ المَعَارِفِ التَعلِيمِيَّة

رَوْحٌ وَرَيْحانٌ

دروس في المعارف الإسلاميّة

دار المعارف الإسلامية الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدّمة 19

المحور الأوّل
العقيدة الإسلاميّة

الدرس الأوّل: الإيمان بالله تعالى 23
تمهيد 25
الإيمان بوجود اللّه تعالى بديهيٌّ، لا يحتاج إلى دليل 25
الفطرة دليلٌ على وجود اللّه تعالى 26
أدلّة وجود اللّه تعالى 27

الدرس الثاني: صفات الله تعالى 33
تمهيد 35
الصفات الإلهيّة 38

الدرس الثالث: العدل الإلهيّ 45
تمهيد 47
معنى العدل 47
دواعي الظلم 47
الله هو العادل 49
لوازم عدالة اللّه تعالى 50

الدرس الرابع: الجبر والاختيار 53
تمهيد 55
الجبر عند المشركين 55
الاعتقاد بالجبر عند بعض المسلمين 56
عقيدة الشيعة الإماميّة بين الجبر والتفويض 57
عقيدة الجبر والسياسة 58
فلسفة ابتلاء المؤمنين 60

الدرس الخامس: النبوّة 63
تمهيد 65
الغاية من خلق الإنسان 65
الأنبياء وتحقّق الغاية 66
الإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام 66
فوائد بعثة الأنبياء 67
دور الأنبياء عليهم السلام 68
صفات الأنبياء عليهم السلام 69
عصمة الأنبياء 70

الدرس السادس: نبوّة النبيّ محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم 73
تمهيد 75
فلسفة بعثة نبيّ الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم 75
الدليل على نبوّة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم 76
القرآن معجزة نبيّ الإسلام 78
وجوه إعجاز القرآن الكريم 78
خاتميّة الرسالة الإسلاميّة 79

الدرس السابع: الإمامة 83
تمهيد 85
مفهوم الإمامة 85

الإمامة استمرارٌ للنبوّة 85
من يختار الإمام عليه السلام 86
النصّ على الإمام عليه السلام 86
النصّ على الأئمّة الاثني عشر 88
الولاية تمام الدين وكمال النعمة 88

الدرس الثامن: المعاد والآخرة 91
تمهيد 93
أهمّيّة بحث المعاد 93
أسماء المعاد في القرآن 94
دلائل المعاد في القرآن الكريم 94
نماذج قرآنيّة على المعاد 96
العدل دليلٌ على المعاد 97
محكمة العدل الإلهيّ 98
ميزان الأعمال 99

الدرس التاسع: حقيقة الموت 101
تمهيد 103
الموت حقيقة لا مفرَّ منها 103
حقيقة الموت 104
لماذا الخوف من الموت؟ 104
قبض الأرواح 106
حال المؤمنين والظالمين عند سكرات الموت 106

الدرس العاشر: عالم البرزخ 109
معنى البرزخ 111
البرزخ في القرآن الكريم 111
البرزخ في الأحاديث الشريفة 114
خصوصيّات عالم البرزخ 114

المحور الثاني

الأحكام الشرعيّة

الدرس الحادي عشر: أحكام التقليد 119
مدخل 121
المسائل التي يجب تعلّمها 122
شروط التكليف 122
التقليد وشروط المرجع 123
شروط المرجع 124
تقليد الميّت 124
إثبات الاجتهاد والأعلمية 124
طرق ثبوت الفتوى 125

الدرس الثاني عشر: أحكام التخلّي 127
أنواع المياه 129
أقسام الماء المطلق 129
حكم الماء المضاف 130
حكم الماء المطلق 130
أحكام التخلّي 131
أحكام الاستنجاء 131

الدرس الثالث عشر: النجاسات وأحكامها 133
تمهيد 135
الأول والثاني: البول والغائط 135
الثالث والرابع والخامس: الدم والمنيّ والميتة 136
مستثنيات الميتة النجسة 136
حكم الجلود مشكوكة التذكية 136
السادس والسابع: الكلب والخنزير 137

الثامن: المسكر المائع بالأصل 137
التاسع: الفقّاع 138
العاشر: الكافر 138
أحكام النجاسات 138

الدرس الرابع عشر: المطهِّرات وأحكامها 141
المطهّر الأوّل: الماء 143
المطهّر الثاني: الأرض 144
المطهّر الثالث: الشمس 145
المطهّر الرابع: الاستحالة 145
المطهّر الخامس: الانقلاب 145
المطهّر السادس: الانتقال 145
المطهّر السابع: التبعيّة 146
المطهّر الثامن: الإسلام 146
المطهّر التاسع: الغَيبة 146
المطهّر العاشر: زوال عين النجاسة 146

الدرس الخامس عشر: الوضوء 147
واجبات الوضوء 149
أحكام الوضوء 150
شروط صحّة الوضوء 150
نواقض الوضوء 153
أحكام الوضوء 154

الدرس السادس عشر: الأغسال 155
أقسام الأغسال 157
غسل الجنابة 158
ما يحرم على الجنب 159
واجبات الغسل 160

الدرس السابع عشر: التيمُّم وأحكامه 163
مسوّغات التيمُّم 165
ما يُتيمَّم به 165
شروط التيمم 166
كيفيّة التيمّم 167
أحكام عامّة 167

الدرس الثامن عشر: مقدِّمات الصلاة 169
أقسام الصلاة 171
وقت الصلاة 172
القِبلة 173
السِّتر والساتر في الصلاة 173
اللباس في الصلاة 173
موضع سجود الجبهة 175

الدرس التاسع عشر: أفعال الصلاة 177
الأجزاء الركنيّة وغير الركنيّة 179
واجبات الصلاة 179
شروط الأفعال 183
الأفعال المستحبّة 183

الدرس العشرون: مبطلات الصلاة أحكام الشكّ في الصلاة 185
مبطلات الصلاة 187
أنواع الشكّ في الصلاة 188
الشكّ في أصل الصلاة 189
الشكّ في أفعال الصلاة 189
الشكّ في عدد الركعات 190
صلاة الاحتياط 191
سجود السهو 192

الأجزاء المنسية 194

الدرس الواحد والعشرون: صلاة الجماعة ـ صلاة الآيات ـ صلاة القضاء 195

صلاة الجماعة 197

تفصيل أحكام الشروط 197

شروط المأمومة 198

شروط صلاة الجماعة 198

أحكام صلاة الجماعة 198

صلاة الآيات 199

صلاة القضاء 201

الدرس الثاني والعشرون: اليمين ـ النَّذرْ ـ العهد 205

أوّلاً: اليمين 207

ثانياً: النَّذرْ 209

ثالثاً: العهد 212

الدرس الثالث والعشرون: المكاسب المحرّمة (الغناء، آلات القمار، الغشّ، اليانصيب، السِّحر) 213

الغناء 215

الموسيقى 215

أحكام الغناء والموسيقى 215

الرقص والتصفيق 216

الحضور في المجالس العامة والاحتفالات 217

اللعب بآلات التسلية 217

الغشّ 217

بطاقات اليانصيب 217

السحر وما يشبهه 218

الدرس الرابع والعشرون: أحكام النظر واللمس 221

أحكام النظر واللمس 223

الدرس الخامس والعشرون: أحكام الستر والزينة والاختلاط 227
أحكام الستر 229
أحكام اللباس 229
أحكام الاختلاط والخلوة 230
ضوابط الاختلاط 231
أحكام الزينة- التطيّب- التنظيف 232

الدرس السادس والعشرون: عقد الزواج 235
صيغة العقد 237
شروط العقد 238
أولياء العقد 239
المهر 239

الدرس السابع والعشرون: الطلاق والعِدَد 241
شروط الطلاق 243
شروط المطلَّقة 243
موارد صحّة الطلاق في طهر المواقعة 243
صيغة الطلاق 244
أقسام الطلاق 244
أقسام الطلاق البائن 245
العدد 246

المحور الثالث

المرأة والأسـرة

الدرس الثامن والعشرون: مكانة المرأة في الإسلام 251
تمهيد 253
الهويّة الإنسانيّة للمرأة 253
مكانة المرأة في الثقافة الغربية 254
نتائج ظلم المرأة في الغرب 256
مكانة المرأة عند العرب قبل الإسلام 258
المرأة في ظلّ الإسلام 258
الأبعاد الإنسانية والاجتماعية للمرأة 260
حقوق المرأة في الإسلام 262

الدرس التاسع والعشرون: المرأة وبناء الأسرة 265
تمهيد 267
أهميّة الزّواج في الإسلام 267
المرأة وبناء الأسرة 269
مقاصد تأسيس الأسرة 269
مقوّمات الحياة الزوجية 270

الدرس الثلاثون: دور المرأة في الأسرة ووظائفها 275
تمهيد 277
دور الفتاة 277
دور الزوجة 282
دور الأم 283
وظيفة المرأة في الأسرة 283

الدرس الواحد والثلاثون: المرأة وقيادة الحياة الزوجيّة 287
تمهيد 289

القواميَّة في الحياة الزوجيَّة؟ 289
الحقوق الزوجية في الإسلام 291
القسم الأول: واجبات الزوج تجاه الزوجة (حقوق الزوجة) 292
القسم الثاني: واجبات الزوجة تجاه الزوج (حقوق الزوج) 294

الدرس الثاني والثلاثون: المرأة والتربية الأسريّة 303
تمهيد 305
المرأة (الأم) ربّان التربية الأسرية الناجحة 305
حقوق الأبناء 307
أصول تربية الأبناء 308

الدرس الثالث والثلاثون: السيدة الزهراء عليها السلام قدوة المرأة المسلمة 317
مقدّمة 319
زواج السيدة فاطمة 319
مظاهر من شخصية السيدة فاطمة عليها السلام 324

الدرس الرابع والثلاثون: السيدة زينب عليها السلام قدوة الجهاد والإيثار 329
مقدّمة 331
الوعي والمعرفة في شخصية السيدة زينب عليها السلام 331
عفاف السيدة زينب عليها السلام 332
عبادتها 333
فصاحتها 333
الشجاعة 335
علمها 336
من حياتها الاجتماعية 336

الدرس الخامس والثلاثون: جهاد المرأة في عاشوراء 339
تمهيد 341
الحضور العامّ للمرأة في النّزاعات 341

حضور المرأة في كربلاء 342
السيّدة زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليها السلام والمواقف الصّلبة 343
بحريّة بنت مسعود الخزرجيّة وتجهيز ابنها للشّهادة 344
دلهم بنت عمرو الكوفيّة والتّشجيع على الولاء والقتال 344
نوّار بنت مالك الحضرميّة وإنكار الظّلمة 345
ماريّة بنت منقذ العبدي وحماية المجاهدين 346

المحور الرابع

المفاهيم الأخلاقية والسلوكية

الدرس السادس والثلاثون: جهاد النّفس 351
أهمية معرفة النّفس 353
مراتب النّفس 354
الحذر من النّفس الأمّارة 355
التفكُّر مقدّمة لإصلاح النّفس 356
كيفيّة تهذيب النّفس 357

الدرس السابع والثلاثون: ولاية الله وأولي الأمر 361
المقدّمة 363
الحاكميّة لله جلّ وعلا 363
ولاية الأنبياء والرُّسل عليهم السلام 364
ولاية الأئمّة المعصومين عليهم السلام 365
أبعاد الولاية وحدودها 367
العلماء حَمَلة المسؤوليّة 369

الدرس الثامن والثلاثون: التربية على الولاية أصحاب النبي والأئمة عليهم السلام نموذجاً 371
تمهيد 373
صفات الأصحاب الولائيّة 373

مواقف ولائيّة عند أصحاب النّبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم 374
مواقف ولائية عند أصحاب الأئمة عليهم السلام 375

الدرس التاسع والثلاثون: القرآن الكريم وآداب تلاوته 381
تمهيد 383
فضل قراءَة القرآن 383
كيفية القراءة 384
كم يجب أن نقرأ؟ 384
آداب تلاوة القرآن الكريم 385

الدرس الأربعون: العلاقة بالقرآن في سيرة المعصومين عليهم السلام 391
مقدّمة 393
العلاقة القرآن الكريم 393
الخشية من الله 397
السجود لله 399

الدرس الواحد والأربعون: الصلاة والذكر في سيرة المعصومين عليهم السلام 403
مقدمة 405
الصلاة 405
إقامة الصلاة 406
الذكر 407
من ذكر الله على ألسنة المعصومين عليهم السلام 410

الدرس الثاني والأربعون: الإخلاص والتوكّل في سيرة المعصومين عليهم السلام 413
الإخلاص 415
التوكّل 419

الدرس الثالث والأربعون: التواضع والعفو في سيرة المعصومين عليهم السلام 425
مقدّمة 427
التواضع 427

الحلم 430
الكرم والجود 431
العفو والتسامح 431

الدرس الرابع والأربعون: العشرة والزهد في سيرة المعصومين عليهم السلام 435
مقدّمة 437
الزهد وبساطة العيش 437
حُسنُ العشرة 440

الدرس الخامس والأربعون: الرأفة والرحمة في سيرة المعصومين عليهم السلام 447
مقدّمة 449
الرأفة والمحبّة 449
العلاقات الاجتماعية 453

الدرس السادس والأربعون: الصّبر والإيثار 459
معنى الصّبر 461
أقسام الصّبر 461
منزلة الصّبر في القرآن الكريم 463
علاج الجزع وقلّة الصّبر 465
ما هي حقيقة الإيثار؟ 467
فضيلة الإيثار 468
الإيثار وتربية النفس 468

الدرس السابع والأربعون: الأمانة وكتمان السّرّ 471
فضيلة الأمانة 473
الأمانة في القرآن والسّنّة 473
الأمانة وأنواعها 474
كتمان السِّرِّ أمانة 476
فوائد أداء الأمانة 477

على المؤمن الحذر 477

الدرس الثامن والأربعون: خدمة المؤمنين 481

تمهيد 483
خدمة النَّاس رحمة إلهيَّة 483
خدمة النَّاس هي خدمة الله 484
خدمة الناس أفضل الأعمال 485
الثّمار الطّيّبة لخدمة النّاس 486

الدرس التاسع والأربعون: الغيبة والبهتان والنّميمة 489

في معاني الغيبة والبهتان والنَّميمة 491
الغيبة والنَّميمة في القرآن والسُّنَّة 492
أسباب تحريم الغيبة والبهتان والنّميمة 493
علاج الغيبة وصاحبيه 494
موارد الاستثناء 495
إستماع الغيبة 495

الدرس الخمسون: الذُّنوب وآثارها الدُّنيويَّة 497

معنى الذُّنوب 499
أقسام الذُّنوب وأنواعها 500
الآثار الدنيوية للذُّنوب 501

الدرس الواحد والخمسون: الآثار البرزخيَّة والأُخرويَّة للذُّنوب 509

تمهيد 511
ما هو البرزخ؟ 511
عذاب البرزخ 511
الآثار الأخرويّة للذُّنوب 514

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين، وبعد...

قد تختلف دوافع كلّ إنسان في طلبه ودراسته للعلوم الإسلاميّة؛ فذا يرغب في الردّ على الفرق المخالفة، وذاك يرى في العلم غذاءً لروحه وعقله، لِما يحويه الدين الإسلاميّ من استدلالات وبراهين يمكن أن تُسكِّن نفسه الحائرة في هذا العالم، وثالث يرى في المعارف الدينيّة منهلاً لمعرفة أسرار هذا الوجود وخفاياه. ولكن يبقى الجامع المشترك بين هؤلاء أنّ جميعهم يبحث عن الحقيقة في هذه الدنيا، هذه الحقيقة التي تكون عاملاً حاسماً ومهمّاً في قرب الإنسان من الله، والتي ستورثه الرَوْح والراحة في الدنيا قبل الآخرة، طبقاً للقاعدة القرآنيّة: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[1].

وأهمّيّة المعرفة الصحيحة تكمن في أنّ سلوك الإنسان في الحياة والسبيل العمليّ الذي ينتهجه في هذا العالم، إنّما هو حصيلة التصوّر الذي يحمله في ذهنه حول الأشياء؛ فالسلوك الإنسانيّ هو وليد ما تكوّن لديه من معرفة، وما يستتبّ له لاحقاً من اعتقاد، وما يلازمه بعد ذلك من خصائص وخصال نفسيّة وأخلاقيّة ترسم لهذا الإنسان شيئاً فشيئاً صورته الإنسانيّة التي هو عليها واقعاً. من هنا، كانت إحدى أهمّ مظاهر عظمة الإسلام أنّه دعا الذي يودّون أن يتمسّكوا به ويعتنقوه، من أجل القرب من الله والنجاة، إلى أن يحصّلوا المعرفة الصحيحة بتعاليم الدين الحنيف، معتمدين بذلك على المنطق والعقل ومتسلّحين بالدليل والبرهان، بعيداً عن الاسقاطات المعرفيّة والموروثات الثقافيّة والقناعات المسبقة، بل على كلّ طالبِ هداية وباحثٍ بجدٍّ ونشاط عن الحقيقة أن يدع تقليد الآباء والأجداد جانباً، وينطلق في رحلة معرفيّة شيّقة من أجل سبر أغوار العلوم الإسلاميّة، لِما تحويه

(1) سورة الواقعة، الآيتان 88-89.

من كنوز وجواهر علميّة ومعرفيّة أشدّ ما يكون الإنسان بحاجة إليها عند اشتداد وطيس ابتلاءاته الدنيويّة، وعند اشتداد ملامح عودته إلى ربّه، وبدء رحلته المعنويّة وارتباطه الوجوديّ بالله تعالى من جديد، ليصبح العِلم أنيسه في هذا العالم الموحش الأطراف.

إنّ كلّ تعاليم الإسلام الأخلاقيّة والعقائديّة والشرعيّة وغيرها، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهدف كبير وعظيم، هو صناعة الإنسان المؤمن بالله؛ لِما للإيمان من مدخليّة ضروريّة لارتباط المخلوق بالخالق، وهذه الصناعة متوقّفة على المعرفة بالمبدأ والمعاد وما بينهما من أصول ومعارف.

وهدف هذا الكتاب «**روح وريحان**» يقدّم صورةً أوّليّة وضروريّة لمعارف هذا الدين الحنيف، بطريقة تجمع بين سهولة اللغة والبيان والخالية من المصطلحات المعقّدة، والغنيّة في آنٍ بالأدلّة والبراهين الأوّليّة، والتي تصلح لأن تكون مرتكزاً للانطلاقٍ نحو فضاءات أوسع من العلم والمعرفة مع مرور الوقت وتقدّم الزّمن.

والحمد لله رب العالمين

مَرْكَزُ المَعَارِفِ لِلتَّأْلِيفِ وَالتَّحْقِيقِ

المحور الأوّل

العقيدة الإسلاميّة

الدرس الأوَّل

الإيمان بالله تعالى

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى بديهيّة الإيمان بالله تعالى.

2 . يشرح كيف أنّ الفطرة دليلٌ على وجود الله.

3 . يستدلّ على وجود الله سبحانه وتعالى.

تمهيد

عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة أنّه قال: «**أول الدين معرفته (اللّه) وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له**»[1].

إنّ الطرق إلى معرفة اللّه تعالى كثيرة، كما قيل إنّ الطرق إلى اللّه بعدد أنفاس الخلائق؛ حيث يقول الشاعر:

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد

ونذكر بعض الأدلّة العقليّة لأصول العقائد الإسلاميّة، ونضيء على بعض الأدلّة التي لها ارتباطٌ بالآيات القرآنيّة.

الإيمان بوجود اللّه تعالى بديهيٌّ، لا يحتاج إلى دليل

لئن ذكر علماء العقيدة والكلام العديد من الطرق لإثبات وجود اللّه تعالى، من خلال عرضهم للأدلّة والبراهين العقليّة والمنطقيّة، إلّا أنّ القرآن الكريم يؤكّد حقيقة أنّ وجود اللّه أمرٌ بديهيٌّ لا شكّ فيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[2].

ولقد اعتبر بعض العرفاء «**وجود اللّه**» في العالم أمرًا بديهيًّا، وقالوا إنّ استنباط هذه الحقيقة من آيات القرآن والوقوف عليها لا يحتاجان إلى الاستدلال عليه والتفكير مطلقًا.

كما يمكن استفادة إشارات واضحة إلى هذا الأمر من دعاء منسوب إلى الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة، حيث يقول: «**كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟!**

---

(1) الرضّي، السيّد أبو الحسن محمّد الرضّي بن الحسن الموسويّ، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، تحقيق وتصحيح صبحي الصالح، لا.ن، بيروت - لبنان، 1387هـ - 1967م، ط1، ص40.

(2) سورة إبراهيم، الآية 10.

أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟! متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك؟! ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟! عميت عين لا تراك عليها رقيبًا». ويقول عليه السلام في ختام دعائه: «**يا من تجلّى بكمال بهائه، كيف تخفى وأنت الظاهر؟! أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر**»[1].

الفطرة دليلٌ على وجود اللّه تعالى

يذهب أكثر المفسّرين إلى أنّ فطريّة الإيمان باللّه تعالى أمرٌ يمكن الاستفادة منه من الآيات القرآنيّة، أي إنّها تصرِّح أنّ الاعتقاد بوجود اللّه تعالى فطريٌّ لدى الإنسان؛ أي إنّ الإيمان به سبحانه وتعالى عند الإنسان كسائر الغرائز المتأصّلة في النفس. فكما يحبّ الإنسان الخير فطريًّا أو يكره الشرّ كذلك، يحبّ أن يبحث عن اللّه ويؤمن به فطريًّا. يقول تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]. ففي هذه الآية، لم يجعل مسألة معرفة اللّه والإيمان به فقط أمرًا فطريًّا، بل وصف الدين بكونه فطريًّا.

نعم، ليس معنى فطريّة الإيمان باللّه تعالى أن يكون الإنسان بالضرورة متوجّهًا إلى اللّه دائمًا، ملتفتًا إليه في جميع حالاته، إذ ربّ عوامل تتسبّب في إخفاء هذا الإحساس في خبايا النفس، وتمنع وتحجب الفطرة عن اكتشاف وجود الخالق تعالى، وعندما يرتفع ذلك الحجاب، فإذا به يسمع نداء الفطرة.

عندما تقع للإنسان حوادث خطيرة؛ كهجوم الأمواج العاتية على سفينة يركبها في عرض البحر، أو حصول عطل فنيّ في الطائرة يهدِّدها بالسقوط أو ما إلى ذلك. فعندما يواجه الإنسان المخاطر، نراه يتوجّه من فوره وبصورة تلقائيّة فطريّة إلى اللّه تعالى، بلا حاجة إلى إعطائه دروسًا استدلاليّة على وجود اللّه تعالى. يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ

(1) ابن طاووس، السيّد رضيّ الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد الحسنيّ الحسينيّ، الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة في السنة، تحقيق جواد القيوميّ الأصفهانيّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، إيران- قم، 1414هـ، ط1، ص350.
(2) سورة الروم، الآية 30.

ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾[2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات التي تتحدَّث عن هذا المعنى.

أدلّة وجود اللّه تعالى

1. برهان الفقر:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾[4]. لا ريب أنّ فقر الشيء دليلٌ قاطعٌ على احتياجه إلى «**غنيّ قويّ**» يزيل حاجته. من هنا، لا بدّ أن يكون لهذا الكون بأسره من أفاض عليه الوجود.

إنّ الظواهر الكونيّة؛ من الذرّة، إلى المجرّة أي السماوات والأرض وما فيهما، هي جمادات فقيرة في ذاتها، كانت لا شيء ثمّ وُجدت، فهي مسبوقة بالعدم. فلكي توجد لا بدّ من موجد لها؛ لأنّها لا يمكن أن توجِد نفسها بنفسها، وهذا الموجِد لها لا بدّ أن يكون غنيًّا، عنده القدرة على إيجادها، ويخرجها من العدم إلى الوجود. وكذلك الإنسان، يدخل ضمن هذه القاعدة، فإنّه في ذاته فقيرٌ، ليس غنيًّا؛ أي لا يقدر أن يوجِد نفسه بنفسه، بل يحتاج إلى قوّة أكبر منه توجده، لذلك يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[5]. وقد ركّز القرآن الكريم في مواضع متعدّدة على صفة «**الغنيّ**»

(1) سورة يونس، الآيتان 22 - 23.
(2) سورة العنكبوت، الآية 65.
(3) سورة يونس، الآية 12.
(4) سورة فاطر، الآيات 15 - 16.
(5) سورة فاطر، الآية 15.

في الذات الإلهيّة المقدّسة؛ بحيث يمكن اعتبار ذلك إشارة ضمنيّة أو صريحة إلى هذا البرهان - أي برهان الفقر - ومن هذه الآيات: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾[1]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

2. استحالة وجود المعلول بلا علّة

يقول تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[2]، ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3]، هذه الآيات وما بعدها تطرح تساؤلات واحتمالات حول مبدأ الإنسان وعلّة وجود العالم:

أ ـ أن تكون الكائنات البشريّة قد وُجِدت بلا علّة، بمعنى أن تكون قد وُجِدت صدفة، ومن تلقاء نفسها.

لقد طُرِح هذا السؤال في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾.

ب ـ أن تكون هي الخالقة لنفسها، وهي الصانعة لذاتها، أي أوجدت نفسها بنفسها.

وإلى هذا الاحتمال أشارت جملة: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾.

ج ـ أن يكونوا علّةً لغيرهم من المخلوقات كالسماوات والأرض: ﴿أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ﴾.

د ـ أن يكون الذي خلقهم وأوجدهم إله غير اللّه تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ﴾.

هذه هي الاحتمالات، وهي واضحة البطلان:

أمّا بطلان الاحتمال الأول: فلبداهة أنّ لكلّ ظاهرة وحادث ومعلول موجدًا ومحدثًا وعلّة، هذا ما يقول به العقل السليم، ولو ادّعى أحدٌ وقوع معلول بلا علّة لسخر منه العقلاء.

أمّا بطلان الاحتمال الثاني: فهو كذلك بديهيّ البطلان؛ لأنّ معنى قولك «**خلق الشيء نفسه**» هو أن يكون الشيء موجودًا قبل ذلك، ليتسنّى له خلق نفسه. ومعنى هذا: توقّف

(1) سورة محمّد، الآية 38.
(2) سورة الطور، الآيتان 35 ـ 36.
(3) سورة الطور، الآية 43.

الشيء وتقدّمه على نفسه؛ أي كان موجودًا قبل أن يوجد، وهو أمر مستحيل.

أمّا الاحتمال الثالث: فهو واضح البطلان؛ لأنّ الإنسان العاجز عن خلق نفسه الضعيفة كيف له أن يخلق السماوات والأرض، وهي أعظم خلقًا من خلق الإنسان.

أمّا الاحتمال الرابع: فيلزم منه وجود شريك للباري، وهو أمر مستحيل، كما سنثبت في الدرس اللاحق.

3. الكون آية تدلّ على الخالق

يقول اللّه تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]:

في هذه الآية الكريمة، وفي غيرها الكثير من الآيات، يلفت القرآن الكريم نظرنا إلى ظاهرة الحياة وعشرات - بل مئات وآلاف - العوامل الخفيّة والبارزة التي ساعدت على وجود ظاهرة الحياة على هذا الكوكب، وكأنّها تقول: هل يمكن اجتماع كلّ هذه العوامل والشرائط بمحض المصادفة، ومن دون وجود خالق هو الذي أوجدها ورتّبها ونظّمها. وهنا نورد لكم بعض الأمثلة على دقّة النظام الكونيّ. لقد خُلِقَت الأرض بجاذبيّة خاصّة، وعلى قطر خاصّ؛ بحيث تجذب بها المياه والهواء نحو مركزها وتحافظ عليها. فلو أنّ قطر الأرض كان ربع قطرها الفعليّ لعجزت جاذبيّتها عن الاحتفاظ بالمياه والهواء على سطحها، ولارتفعت درجة الحرارة إلى حدِّ الموت. ولو أنّ الأرض بعدت عن الشمس بمقدار ضعف ما هي عليه الآن، لانخفضت درجة حرارتها (الأرض) إلى ربع حرارتها الحاليّة، ولتضاعف طول مدّة الشتاء فيها، ولتجمّدت كلّ الأحياء فيها.

ولو نقصت المسافة بين الأرض والشمس إلى نصف ما هي عليه الآن، لبلغت الحرارة التي تتلقّاها الأرض أربعة أمثال، ولآلت الفصول إلى نصف طولها الحاليّ، ولصارت الحياة على سطح الأرض غير ممكنة.

(1) سورة البقرة، الآية 164.

تدور الأرض حول نفسها في كلّ 24 ساعة دورة واحدة، وهي في دورتها هذه تسير بسرعة ألف ميل في الساعة. فلو تناقص ذلك - أي بلغ مقدار سرعتها مئة ميل في الساعة مثلًا - لتضاعف طول الليالي والأيّام إلى عشرة أضعاف ما هي عليه الآن، ولأحرقت شمس الصيف بحرارتها الملتهبة كلّ النباتات في الأيام الطويلة، ولجمّدت برودة الليالي الطويلة من جانب آخر كلّ البراعم والنباتات الصغيرة. ولو أنّ شعاع الشمس الواصل إلى الأرض تناقص إلى درجة النصف ممّا هو عليه الآن، لهلكت جميع أحياء الأرض من فرط البرد. ولو تضاعف هذا المقدار، لمات كلّ نبات، بل لماتت نطفة الحياة، وهي في بطن الأرض، من شدّة الحرارة. إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة جدًّا، والتي تدلّ على ضرورة وجود الإله العليم الحكيم المدبِّر المنظّم، وتنفي وجود الكون مصادفة[1].

(1) انظر: مكارم شيرازي، الشيخ ناصر، نفحات القرآن، منشورات مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إيران - قم، 1426هـ، ط1، ج2، ص184 وما بعدها.

المفاهيم الرئيسة

1. الإيمان بوجود اللَّه تعالى بديهيٌّ لا يحتاج إلى دليل، وهذا ما أكّده القرآن الكريم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾.
2. الفطرة دليل على وجود اللَّه تعالى، وإنّ الإيمان به كسائر الغرائز المتأصّلة في النفس؛ كحبّ الخير وكره الشرّ.
3. الفقر هو دليلٌ قاطعٌ على الحاجة إلى غنيّ قويّ يزيل هذه الحاجة بإفاضة الوجود عليها وما تحتاجها.
4. الكون آية تدلّ على الخالق. يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

الدرس الثاني

صفات اللّٰه تعالى

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يشرح معنى التوحيد.

2 . يعدّد مراتب التوحيد.

3 . يفهم الصفات الإلهيّة الثبوتيّة والسلبيّة.

تمهيد

إنّ التوحيد من أهمّ المسائل الاعتقاديّة التي تصدَّرت التعاليم السماويّة؛ حيث يُعدُّ أساسًا لسائر التعاليم والمعارف الإلهيّة التي جاء بها الأنبياء والرسل.

والتوحيد هو أصل من أصول الدين، يجب الإيمان به، ومنكره يُعتَبر كافرًا ويخرج عن ملّة المسلمين.

معنى التوحيد ومراتبه

التوحيد هو الاعتقاد بأنّ اللّه تعالى واحدٌ أحدٌ، لا شريك له، ولا شبيه ولا مثيل.

وللتوحيد مراتب عديدة يؤدّي إنكارها إلى الخروج عن الإيمان والإسلام. وهذه المراتب هي:

1. التوحيد في الذات:

المراد منه هو أنّه سبحانه واحدٌ لا نظير له، فردٌ لا مثيل له، بل لا يمكن أن يكون له نظيرٌ أو مثيل.

ويدلّ على ذلك بالإضافة إلى البراهين العقليّة قوله سبحانه: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات الدالّة على أنّه تعالى واحدٌ لا نظير له ولا

(1) سورة الشورى، الآية 11.

(2) سورة الإخلاص، الآيات 1 - 4.

مثيل، ولا ثانيَ ولا عدل، وقد كفر من ادّعى له شريكًا أو مثيلًا، أو جعله ثالث ثلاثة كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[1]. ولو كان للّه تعالى شريكٌ لاختلّ نظام الكون وفسد، ولذهب كلّ إله بما خلق، كما يقول تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[2].

وجاء في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «**يا بنيّ لو كان لربّك شريك، لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه...**»[3]. فإنّه من الطبيعيّ لو كان هنالك شريكٌ للّه تعالى، لظهرت آثاره، ولأرسل الرسل تبشّر به وتدعوَ إليه. ومع عدم وجود هذه الآثار، كيف نحكم بوجوده؟ فهذا يدلّ على عدم وجود شريك للّه تعالى.

2. التوحيد في الخالقيّة:

المراد منه هو أنّه ليس في الوجود خالقٌ أصيلٌ غير اللّه، ولا فاعل مستقلّ سواه، وإنّ كلّ ما في الكون من مجرّات ونجوم وكواكب وأرض وجبال وبحار، وما فيها ومن فيها، وكلّ ما يُطلق عليه أنّه فاعل وسبب فهو موجودات مخلوقة للّه تعالى، وإنّ كلّ ما ينتسب إليها من الآثار ليس لذوات هذه الأسباب، وإنّما ينتهي تأثير هذه المؤثرات إلى اللّه سبحانه. فجميع هذه الأسباب والمسبّبات على الرغم من ارتباط بعضها ببعض مخلوقة لله، فإليه تنتهي العلّيّة والسببيّة، فهو علّة العلل ومسبِّبها.

ويدلّ على ذلك بالإضافة إلى الأدلّة العقليّة قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾[4]، وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾[5]، وإلى غير ذلك من الآيات التي تدلّ على ذلك.

---

(1) سورة المائدة، الآية 73.
(2) سورة الأنبياء، الآية 22.
(3) نهج البلاغة، مصدر سابق، الخطبة 31.
(4) سورة الرعد، الآية 16.
(5) سورة الأنعام، الآية 102.

3. التوحيد في الربوبيّة:

المراد منه هو أنّ للكون مدبّرًا واحدًا، ومتصرّفًا واحدًا، لا يشاركه في التدبير شيء، وأنّ تدبير الملائكة وسائر الأسباب إنّما هو بأمره سبحانه، وهذا على خلاف بعض المشركين؛ حيث كانوا يعتقدون بأنّ الذي يرتبط بالله تعالى إنّما هو الخلق والإيجاد والابتداء، وأمّا التدبير فقد فوّض إلى الأجرام السماويّة والملائكة والجنّ والموجودات الروحيّة التي كانت تحكي عنها الأصنام المعبودة، وليس له أيّ دخالة في تدبير الكون وإدارته وتصريف شؤونه.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[2].

فإذا كان هو المدبِّر وحده، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[4]، أنّ هؤلاء مدبِّراتٌ بأمره وإرادته تعالى، فلا ينافي ذلك انحصار التدبير الاستقلاليّ في اللّه سبحانه. وقد استدلّ القرآن الكريم على وحدة المدبّر في العالم في آيتين: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[5]، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[6]. وهما يعنيان: أنّ تصوّر المدبِّر لهذا العالم على وجوه:

أن يتفرّد كلّ واحد من الآلهة بتدبير مجموع الكون باستقلاله. ففي هذه الصورة، يلزم تعدّد التدبير، وهذا يستلزم طروء الفساد على العالم، وذهاب الانسجام والنظام المشهود، وهذا ما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ...﴾.

---

(1) سورة يونس، الآية 3.
(2) سورة الرعد، الآية 2.
(3) سورة النازعات، الآية 5.
(4) سورة الأنعام، الآية 61.
(5) سورة الأنبياء، الآية 22.
(6) سورة المؤمنون، الآية 91.

أن يدبّر كلّ واحد قسمًا من الكون الذي خلقه، وعندئذ يجب أن يكون لكلّ جانب من الجانبين نظام مستقلّ خاصّ مغاير لنظام الجانب الآخر، وغير مرتبط به أصلًا، وعندئذ يلزم انقطاع الارتباط وذهاب الانسجام والنظام من الكون، في حين أنّنا لا نرى في الكون إلّا نوعًا واحدًا من النظام يسير على قانون مترابط دقيق، يسود كلّ جوانب الكون من الذرّة إلى المجرّة. وإلى هذا الوجه أشار قوله تعالى: ﴿... إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾.

أن يتفضّل أحد هذه الآلهة على البقيّة، ويكون حاكمًا عليهم ويوحّد جهودهم وأعمالهم، ويسبغ عليها الانسجام والاتّحاد والنظام الواحد، وعندئذ يكون الإله الحقيقيّ هو هذا الحاكم دون الباقين. وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، وإلاّ لو لم يكن هنالك إله واحد لتصارع الآلهة وخرب الكون وفسد وفني؛ لأنّ كلّ واحد يريد أن يعلوَ على الآخر، ويتفرّد في الحكم والتدبير.

4. التوحيد في العبادة:

هو أن نؤمن بأنّ المستحقّ للعبادة هو اللّه تعالى وحده؛ لأنّه هو الخالق، والعبوديّة من شأن الخالق الغنيّ غير المحتاج، لذلك يستحقّها وحده دون غيره، كما نقرأ في سورة الحمد «**إيّاك نعبد وإيّاك نستعين**». فهنا القرآن الكريم حصر العبوديّة باللّه تعالى؛ حيث يقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[1].

الصفات الإلهيّة

1. أقسام الصفات الإلهيّة

إنّ صفات اللّه سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين: الصفات الثبوتيّة والصفات السلبيّة.

الصفات الثبوتيّة: كلّ صفة مثبتة لجمال وكمال في الموصوف فهي صفة ثبوتيّة، أو صفة جمال وكمال، وهي كثيرة لا تنحصر؛ لأنّه تعالى ثابتٌ، له كلّ كمال، والخلو من الكمال نقص، وكلّ نقص منفيّ عنه تعالى.

(1) سورة آل عمران، الآية 64.

الصفات السلبيّة: هي كلّ صفة تنفي عنه تعالى كلّ نقص؛ لأنّ إثبات الكمال لا يكون إلّا بنفي النقص، كما لا يتمّ إثبات الحقّ إلا بنفي الباطل، وتُسمّى هذه الصفات بصفات الجلال أيضًا. والصفات الثبوتيّة تنقسم إلى قسمين: الصفات الذاتيّة والصفات الفعليّة. أمّا الصفات الذاتيّة: هي كلّ صفة منتزعة من الذات نفسها؛ كالعلم والحياة والقدرة. والصفات الفعليّة: هي كلّ صفة منتزعة من نوع علاقة اللّه وارتباطه بالمخلوقات؛ كالخالقيّة والربوبيّة.

2. الصفات الثبوتيّة

هي عديدة، منها:

العلم: إنّ اللّه تعالى عليمٌ؛ لأنّه خالق كلّ شيء، وخلقه على وجه الحكمة والإتقان، ولا يمكن أن يصدر هذا الإتقان إلّا عن عالمٍ وعلمه واسع شاملٌ لكلّ شيء. يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[2].

وممّا قدّمنا من الآيات، نقف على حقيقة سعة علم اللّه تعالى، فهو عليم بكلّ شيء، لا يخفى عليه شيءٌ، عالمٌ بالغيب والشهادة، بما مضى وما سيأتي، بالسرِّ وأخفى، وبكلِّ جزئيّات هذا الكون. يقول تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[3]. هذه الآية المباركة تتحدّث عن علمه تعالى، فالذي خلق القلوب يعلم ما تكنّ فيها من أسرار، والذي خلق عباده لا يجهل أسرارهم، والذي خلق عالم الوجود جميعًا عارفٌ ومطّلعٌ على جميع أسراره؛ لأنّ المخلوقات تكون دائمًا تحت رعاية خالقها، وأنّه أعرف شيء بها. فإدراك هذه العلاقة القائمة بين الخالق والمخلوق هو أفضل دليل على علم الخالق بالمخلوقات في كلّ زمان ومكان.

(1) سورة البقرة، الآية 282.
(2) سورة الأنعام، الآية 59.
(3) سورة الملك، الآية 14.

وإلى ذلك يشير أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا يعزب عنه عدد قطر السماء، ولا نجومها ولا سوافي الريح في الهواء، ولا دبيب النمل على الصّفا، ولا مقيل الذَّر في الليلة الظلماء، يعلم مساقط الأوراق، وخفيّ الأحداق**»[1]. وقال عليه السلام: «**قد علم السرائر، وخبر الضمائر، له الإحاطة بكلّ شيء**»[2].

القدرة: من صفاته سبحانه وتعالى أنّه قادرٌ، وأنّ قدرته عامّة لكلّ شيء وهو تعالى مختار في فعله، إن شاء فعل وإن شاء ترك، ففعله تعالى يكون بإرادته واختياره. وهذا الكون شاهدٌ على عظيم قدرته، يقول تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا﴾[3]، ويقول أيضًا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾[4]. فالله تعالى خالق هذا الكون الوسيع بما رحب من الكواكب والمجرّات والسماوات والأرض، وما حوته من العظمة والنظام المتناهي البديع، والتناسق الفريد بين أجزائه. وهو عزّ اسمه خالق الإنسان أعجوبة الخلقة الإلهيّة، والذي نفخ فيه من روح وسوّاه فأحسن خلقه: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[5].

وقد لعن اللّه تعالى اليهود في كتابه الكريم؛ لأنّهم حدّوا القدرة الإلهيّة، فقالوا بمحدوديّة قدرته تعالى، وأنّ يده مغلولة، فكان الجواب الإلهيّ لهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾[6].

الحياة: الله تعالى هو الحيّ القيوم، القديم الأزليّ، الأبديّ السرمديّ، ليس مسبوقًا بعلّة، ولا يعتريه عدم وفناء، بل هو الأوّل بلا أوّل كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده. فاللّه تعالى حيٌّ؛ لأنّه قادرٌ وعالمٌ وكلّ من هو كذلك فإنّه حيّ. وعندما تنتفي القدرة والعلم والشعور فلم تكن هنالك حياة. بمعنى آخر، قدرته وعلمه يكشفان عن حياته؛ لأنّه

(1) نهج البلاغة، مصدر سابق، خطبة 178.
(2) المصدر نفسه، خطبة 86.
(3) سورة الأحزاب، الآية 27.
(4) سورة فاطر، الآية 44.
(5) سورة المؤمنون، الآية 14.
(6) سورة المائدة، الآية 64.

بطبيعة الحال لن يكون من يمتلك العلم والإرادة والقدرة موجودًا ميتًا. وقد أثبتنا أنّ اللّه تعالى قادرٌ وعالمٌ فيثبت بذلك أنّه حيّ. يقول تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[1].

الإرادة: الله عزّ وجلّ مريدٌ، بمعنى أنّه تعالى يعلم متى يوجد الفعل على وجه المصلحة بقدرته واختياره. والدليل عليه: أنّ قدرته تعالى عامّة لكلّ شيء، ولكنّه خصّص بعض الأفعال في أوقات دون أوقات، وصفات دون صفات، وذلك باختياره. وإلّا لو لم يكن مريدًا ومختارًا لوجدت كلّها في وقت واحد. يقول تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

هذه بعض الصفات الثبوتيّة وبعض الأدلّة عليها.

3. الصفات السلبيّة

هي عديدة، منها:

إنّه تعالى ليس بمركّب: وإلّا لو كان تعالى مركّبًا من أجزاء، يكون مفتقرًا إلى هذه الأجزاء ومحتاجًا إليها، ولكنّ اللّه تعالى هو واحدٌ أحدٌ، غنيّ غير محتاج لا إلى غير ولا إلى أجزائه. يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾[3]، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[4].

إنّه تعالى ليس بجسم: وإلّا لو كان تعالى جسمًا لافتقر إلى المكان، وقلنا إنّ اللّه تعالى غنيّ غير محتاج إلى شيء حتّى المكان والزمان، يقول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[5].

إنّه تعالى لا يُرى بالأبصار: فالله عزّ وجلّ يستحيل رؤيته من خلال البصر الحسّيّ والمادّيّ؛ لأنّه من يُرى بالبصر لا بدّ أن يكون موجودًا في جهة ومكان، فيكون جسمًا، ونحن نفينا عنه تعالى الجسميّة وكونه محتاجًا إلى شيء، يقول تعالى حينما سأله موسى عليه السلام

(1) سورة الفرقان، الآية 58.
(2) سورة يس، الآية 82.
(3) سورة البقرة، الآية 263.
(4) سورة آل عمران، الآية 97.
(5) سورة الشورى، الآية 11.

الرؤية: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[2].

ورد في كتاب التوحيد عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام حينما سأله رجل يُدعى ذعْلب، وقال له: «**يا أمير المؤمنين هل رأيت ربَّك؟**»، قال عليه السلام: «**ويلك يا ذعْلب لم أكن بالذي أعبد ربًّا لم أره**»، فقال: «**كيف رأيته؟ صفه لنا**»، قال عليه السلام: «**ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان**»[3].

ليس بمحتاج: من صفاته تعالى أنّه غنيّ وليس محتاجًا إلى غيره، لا في ذاته ولا في صفاته؛ لأنّه لو كان محتاجًا إلى غيره لم يعد واجبًا، بل أصبح ممكنًا. وقد ذكرنا الآيات التي تتحدّث عن غناه تعالى في الصفة الأولى التي فيها: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[4].

(1) سورة الأعراف، الآية 143.
(2) سورة الأنعام، الآية 103.
(3) المفيد، الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان، الإرشاد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1414هـ - 1993م، ط2، ج1، ص225.
(4) سورة البقرة، الآية 263.

المفاهيم الرئيسة

1. أصل التوحيد هو من أهمّ المسائل الاعتقاديّة التي تصدّرت التعاليم السماويّة، ويعدّ أساسًا لسائر التعاليم والمعارف الإلهيّة التي جاء بها الأنبياء والرسل.
2. التوحيد هو الاعتقاد بأن اللّه تعالى واحدٌ أحدٌ، لا شريك له ولا شبيه ولا مثيل.
3. للتوحيد مراتب عديدة، يؤدّي إنكارها إلى الخروج عن الإيمان والإسلام، منها: التوحيد في الذات، التوحيد في الخالقيّة، التوحيد في الربوبيّة، والتوحيد في العبادة.
4. صفات اللّه سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين: الصفات الثبوتيّة والصفات السلبيّة.
   أ. الصفات الثبوتيّة: هي كلّ صفة مثبتة لجمال وكمال في الموصوف.
   ب.الصفات السلبيّة: هي كلّ صفة تنفي عن الموصوف كلّ نقص.
5. من الصفات الثبوتيّة: العلم، القدرة، الحياة، والإرادة.
6. من الصفات السلبيّة: إنّه تعالى ليس بمركّب، ليس بجسم، لا يُرى بالأبصار، وليس بمحتاج.

الدرس الثالث

العدل الإلهيّ

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يشرح مفهوم العدل.

2 . يحدّد دواعيَ الظلم وعدم انطباقها على الله سبحانه وتعالى.

3 . يدرك مفهومَي العدل والظلم في القرآن الكريم.

تمهيد

إنّ العدل هو صفةٌ من صفات اللّه تعالى الثبوتيّة، ولكن أُفرِد ببحث مستقلّ لأهمّيّته وكثرة متعلّقاته، ويقابل العدل الظلم. فاللّه تعالى عادلٌ، غير ظالم لمخلوقاته، لا يفعل قبيحًا، ولا يجور في قضائه، ولا يحيف في حكمه وابتلائه لعباده، يُثيب المطيعين، وله أن يعاقب العاصين، ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقّون. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتّهمه**»[1].

معنى العدل

العدل هو إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه. يقول تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2]، أو هو وضع الأمور في مواضعها، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**العدل يضع الأمور مواضعها**»[3].

دواعي الظلم

الظلم ضدّ العدل، وللظلم دواعٍ ثلاثة، إذا انتفت هذه الدواعي يثبت العدل، وهي:

الجهل: من دواعي الظلم الجهل. فإنّ القوانين الوضعيّة التي وضعها الفكر البشريّ تحتوي على كثير من الظلم؛ لأنّها نابعة من الفكر البشريّ المحدود. ولو كان هذا العقل البشري عالماً ومدركًا لكلّ التفاصيل والنتائج، لانتفت الكثير من أسباب الظلم. في حين أن

(1) نهج البلاغة، مصدر سابق، حكمة 470.

(2) سورة الزلزلة، الآيتان 7 ـ 8.

(3) المجلسّي، العلاّمة محمّد باقر بن محمّد تقيّ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، 1403هـ - 1983م، ط2، ج75، ص350.

اللّه تعالى عالم، وعلمه مطلق لا حدّ له. كما تقدّم معنا في الصفات، يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[3]. وعليه، فلا يمكن أن يتطرّق إليه الجهل وعدم العلم، وإذا كان كذلك فلا يمكن أن يظلم؛ لأنّه لا يقع في الظلم إلّا من لديه نقص في المعرفة ومحدوديّة في العلم، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

الخوف: أحيانًا يؤدّي الخوف إلى الظلم، سواء أكان الخوف من الغير على الحكم، أو كان الخوف من انهيار الوضع الاقتصاديّ للشخص، ممّا يدفع بالأشخاص إلى ظلم الآخرين للحفاظ على أوضاعهم ومراكزهم، وغير ذلك. وهذا السبب يستحيل أن يكون في اللّه تعالى؛ لأنّه هو القويّ العزيز مالك الملك، غلبت جبروته كلّ شيء وقدرته غير متناهية. يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[4]، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[5].

الحاجة والحرمان: الإنسان المحتاج الذي ييأس من تحصيل مطالبه بالطرق المشروعة، فإنّه قد يلجأ إلى طرق أخرى يظلم فيها نفسه بالمعصية، ويظلم الآخرين بسلب بعض حقوقهم والاعتداء عليهم، وهذا لا يمكن أن يكون في ساحة اللّه عزَّ وجلّ؛ لأنّه هو الغني المطلق، وعنده خزائن السماوات والأرض. يقول تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[7]. وهذا لا يختصّ بالحاجة والحرمان الماديّين، بل يشمل الحاجة والحرمان النفسيّين أيضًا كعقدة النقص.

(1) سورة النساء، الآية 12.
(2) سورة المائدة، الآية 97.
(3) سورة يونس، الآية 61.
(4) سورة المجادلة، الآية 21.
(5) سورة البقرة، الآية 259.
(6) سورة البقرة، الآية 267.
(7) سورة العنكبوت، الآية 6.

الله هو العادل

لا يظلم أحدًا: قلنا إنّ الظلم يقابل العدل، وإذا نفينا الظلم عن ساحته المقدّسة نكون قد أثبتنا العدل، وهذا ما فعلناه عندما نفينا دواعيَ الظلم عنه تعالى. ولكن الآن، ننفي عنه الظلم تعالى من خلال القرآن الكريم، حيث وردت آياتٌ كثيرة جدًّا تنفي عنه تعالى الظلم، وتتوعّد الظالمين بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، حيث يقول تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1].

الظلم من النفس وليس من الله: آياتٌ كثيرة من القرآن الكريم تسند الظلم إلى نفس الإنسان؛ لأنّه أعمى بصره عن الحقّ، وتجاوز حدود اللّه تعالى، فكان ظالمًا لنفسه أوّلًا ثمّ للآخرين، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾[2]، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

يذمّ الظالمين فكيف يكون منهم: إنّ اللّه تعالى ذمّ الظالمين في آيات كثيرة، ووعدهم بأليم العقاب، واللّه تعالى منزّه عمّا ذمّ به خلقه. يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[4]، ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾[5]. ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[6]. إذًا، هذه الآيات تشير إلى أنّه تعالى يرفض الظلم ولا يقبل به على الإطلاق، فكيف يمكن أن ينسب إذًا إليه مع كلّ ما فيها من قبح، وما يترتّب عليه من عذاب في الآخرة؟!

هو العادل لا يأمر إلّا بالعدل: إنّ اللّه سبحانه وتعالى قد أمر عباده بالعدل في آيات عديدة، والعدل هو من الصفات الحميدة والكماليّة، والعقلاء يقبّحون من يترك العدل

(1) سورة فصّلت، الآية 46.
(2) سورة الطلاق، الآية 1.
(3) سورة آل عمران، الآية 117.
(4) سورة إبراهيم، الآية 42.
(5) سورة سبأ، الآية 31.
(6) سورة الفرقان، الآية 27.

ويظلم الناس، ولا يمكن للَّه عزَّ وجلَّ إلّا أن يتّصف بهذه الصفة؛ لأنّها صفة كمال، كما أنّه لا يمكن أن يأمر الناس بهذه الصفة الكماليّة، ولا تكون عنده، مع أنّه تعالى هو الحاوي لكلّ صفات الكمال على النحو الأتمّ والأكمل.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾[2].

لوازم عدالة اللَّه تعالى

إن عدل اللَّه سبحانه وتعالى يعني:

إنّ جميع أفعاله تعالى فيها حكمة وصواب، وليس فيها ظلمٌ ولا جور، ولا كذبٌ ولا عيب؛ لأنّه تعالى منزّهٌ عن هذه القبائح لعلمه تعالى بها وقدرته اللّامتناهية.

إنّ أفعاله تعالى معلّلة بالأغراض والمصالح؛ لأنّه حكيم، والحكيم لا يصدر منه العبث، والعبث من فعل الضعيف، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[3].

إنّه تعالى لا يكلّف أحدًا فوق طاقته، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾[4].

إنّه تعالى لا يضلّ أحدًا من عباده، بل هداهم وهم أضلّوا أنفسهم، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[5]. أو إنّهم أطاعوا كبراءهم ورؤساءهم فأضلّوهم عن طريق الحقّ وأخذوا بهم إلى طريق الباطل، يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[6].

إنّه تعالى يعامل عباده معاملة الممتحن؛ أي يبلوهم ليمتحنهم ويثيبهم، ويعاقبهم على

(1) سورة النساء، الآية 58.
(2) سورة النحل، الآية 90.
(3) سورة الأنبياء، الآية 16.
(4) سورة البقرة، الآية 286.
(5) سورة النحل، الآية 118.
(6) سورة الأحزاب، الآية 67.

أساس الاختبار، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾[1].

اللّٰه تعالى لا يعاقب الناس على فعلهم، بل يعاقبهم على أفعالهم، ولا يلومهم فيما صنعه بهم، فلا يعاقبهم على الأمور التكوينيّة؛ كالسواد والبياض، والطول والقصر، وكلّ ما هو غير اختياريّ لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[2].

اللّٰه تعالى أراد الطاعة من عباده: إن اللّٰه تعالى أراد من عباده الخير والطاعة، وأحبّها وكره المعاصي ونبذها، يقول تعالى: ﴿... ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ ...﴾[3].

(1) سورة الملك، الآية 2.
(2) سورة الحجرات، الآية 13.
(3) سورة الحجرات، الآية 7.

المفاهيم الرئيسة

1. العدل من الصفات الثبوتيّة للّه تعالى، ولكن أفرد ببحث مستقلّ لأهمّيّته وكثرة متعلّقاته.
2. العدل هو إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، يقول تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.
3. الظلم ضدّ العدل ودواعي الظلم ثلاثة: «الجهل، الخوف، الحاجة والحرمان». وهي أمور يستحيل أن تكون في اللّه تعالى؛ لأنّه كما أثبتنا في الصفات: «عالم حكيم وقادر على كلّ شيء وغنيّ عن العالمين».
4. عدالة اللّه تعني أنّ جميع أفعاله حكمة وصواب، ومعلّلة بالأغراض، ولا يكلّف أحدًا فوق طاقته.
5. العدل والظلم في القرآن الكريم: لا يظلم أحدًا، الظلم من النفس، ذمّ الظالمين، إبليس والظالمون.

الدرس الرابع

الجبر والاختيار

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يدرك المقصود بالجبر والاختيار.

2 . يشرح عقيدة الشيعة في الجبر والاختيار.

3 . يبيّن أسباب البلاء وتنوّعه عند الإنسان.

تمهيد

قلنا إنّ معالم عدالة اللّه تعالى تعني أنّه جلّ وعلا لا يضلّ أحدًا من عباده، ولا يعاقبهم على ما لا اختيار لهم فيه. هذه المقولات البديهيّة خالفها جماعة من المسلمين، وجوّزوا على اللّه تعالى ما لا يليق بعدله وعظمته؛ حيث وقع الكلام هل إنّ الإنسان مجبر على أفعاله، أي ليس له إرادة واختيار، وإنّ كلّ فعل يصدر منه بغير إرادته واختياره، وإنّما هو كالآلة تحرّكه قوّة أكبر منه، أم إنّ الإنسان هو مريد ومختار، يفعل بمحض إرادته واختياره ولا يجبره أحد على فعله؟

الجبر عند المشركين

تنصّ الآيات القرآنية على أنّ المشركين كانوا معتقدين بالجبر وسلب الاختيار، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾[1]. ولكنّ الذكر الحكيم يردّ عليهم تلك المزاعم بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾[2].

ويقول تعالى في آية أخرى حاكيًا كلام المشركين في تعليل ارتكابهم الفحشاء بأمر من اللّه تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾[4].

---

(1) سورة الأنعام، الآية 148.
(2) سورة الأنعام، الآية 148.
(3) سورة الأعراف، الآية 28.
(4) سورة الزخرف، الآية 20.

الاعتقاد بالجبر عند بعض المسلمين

من المؤسف أنّ بعض فرق المسلمين وقعوا في شبهة الجبر التي وقع فيها المشركون، نظرًا إلى التفسير الخاطئ لبعض الآيات الكريمة التي تسند الخلق والفعل للّه تعالى؛ حيث اعتبروا أنّ اللّه تعالى هو الذي يفعل كلّ الأفعال من دون اختيار وإرادة للإنسان، وكأنّ الإنسان مجرّد آلة تتحرّك كما يريد اللّه تعالى ويشاء، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[1]، ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾[2]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾[3]. ولكنّ هؤلاء المسلمين لو أمعنوا النظر في كتاب اللّه عزَّ وجلَّ لوجدوا آياتٍ كثيرة تدلّ على إسناد الفعل إلى العباد، ممّا يدلّ على أنّ الإنسان مختارٌ ومريدٌ لأفعاله، يقول تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[4]، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ﴾[5]. هذه الآيات الكريمة واضحة في إسناد الأفعال إلى نفس الإنسان؛ حيث صرّحت بأنّهم يكتبون بإرادتهم واختيارهم، بل حتّى أنّهم يتّبعون الظنّ وأهواء أنفسهم بملء إرادتهم واختيارهم أيضًا، وأنّ التغيير منوطٌ بإرادتهم.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدلّ على ذلك، حتّى أنّه وللأسف ظهرت فرق من المسلمين كالمعتزلة تقول إنّ الإنسان يفعل بإرادته واستقلاله من دون تعلّق لإرادة اللّه تعالى في أفعاله؛ أي إنّ اللّه فوَّض للإنسان أفعاله على نحو الاستقلال من دون تدخّل للقدرة الإلهيّة في شيء من أفعاله. وبالطبع، فإنّ هذه العقيدة أعظم بطلانًا من الأولى؛ لأنّها تجعل الإنسان خالقًا في قبال اللّه سبحانه وتعالى، كأنه شريكٌ للّه في خلق الأفعال، واللّه تعالى يقول في كتابه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[6].

(1) سورة الزمر، الآية 62.
(2) سورة فاطر، الآية 3.
(3) سورة الصافات، الآية 96.
(4) سورة البقرة، الآية 79.
(5) سورة النجم، الآية 23.
(6) سورة التكوير، الآية 29.

عقيدة الشيعة الإماميّة بين الجبر والتفويض

ذهب الشيعة الإماميّة في عقيدتهم إلى الأمر بين الأمرين، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين**». سئل عليه السلام: «**ما الأمر بين الأمرين؟**»، قال عليه السلام: «**مثل ذلك رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته، ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته أنت الذي أمرته بالمعصية**»[1].

وقال البصريّ لأبي عبد اللّه عليه السلام: «**الناس مجبورون؟**»، قال عليه السلام: «**لو كانوا مجبورين لكانوا معذورين**»، قال: «**ففوّض إليهم؟**»، قال عليه السلام: «**لا**»، قال: «**فما هم؟**»، قال: «**علم منهم فعلًا فأوجد فيهم آلة الفعل، فإذا فعلوا كانوا مع الفعل مستطيعين**»[2].

تبيَّن أنّ عقيدة الشيعة هي لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين، فإنّ اللّه تعالى هو خلق السبيل وخلق الإنسان، وأعطاه القدرة والاختيار، وكلّ ذلك متعلّق بقدرة اللّه واختياره أيضًا، ولكن يختار اللّه لنا ما نختاره لأنفسنا لذلك: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[3]، ولذلك صحّت المحاسبة، يقول تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[4]، ويقول تعالى حاكيًا قول الشيطان الرجيم: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[5]، وكذلك صحّ الثواب والعقاب.

يقول تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾[7].

---

(1) المفيد، الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان، تصحيح اعتقادات الإماميّة، تحقيق حسين درگاهي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1414هـ - 1993م، ط2، ص46.

(2) علّي بن إبراهيم القمّيّ، تفسير القمّيّ، تصحيح وتعليق وتقديم السيّد طيّب الموسويّ الجزائريّ، مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران - قم، 1404هـ، ط3، ج1، ص227.

(3) سورة الإنسان، الآية 3.

(4) سورة النساء، الآية 123.

(5) سورة إبراهيم، الآية 22.

(6) سورة الأنعام، الآية 160.

(7) سورة النمل، الآية 89.

وأيضًا ممّا يدلّ على ذلك الآيات التي تعلّق أفعال العباد على مشيئتهم كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾[1]، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً﴾[2].

وممّا يؤيّد ذلك أيضًا الآيات التي تأمر الناس بالعمل، وإلّا لولا وجود الاختيار لكان الأمر عبثًا ولغوًا، تعالى اللّه عن ذلك علوًّا كبيرًا. وكقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[3].

عقيدة الجبر والسياسة

إنّ عقيدة الجبر التي ظهرت عند بعض الفرق الإسلاميّة إنّما وراؤها غاية سياسيّة استغلّها الحكّام للوصول إلى مآربهم الشخصيّة والسلطويّة، وكذلك لتبرير أفعالهم وانتهاكاتهم. يقول الشهيد مطهّري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**يشير التاريخ إلى أنّ مسألة القضاء والقدر كانت مستمسكة صلبة وقويّة لحكّام بني أميّة الذين كانوا من المؤيّدين الأشدّاء لمسلك الجبر، وكانوا يقتلون المؤيّدين للاختيار والحريّة البشريّة بتهمة أنّهم من المعارضين للمعتقدات الدينيّة، أو كانوا يرمونهم في السجون حتّى عُرِف في ذلك الوقت أنّ الجبر والتشبيه أمويّان، والعدل والتوحيد علويّان**»[4]. ويقول أبو هلال العسكريّ: «**إنّ معاوية أوّل من زعم أنّ اللّه يريد أفعال العباد كلّها**»[5]. ويقول ابن قتيبة: «**وإنّ أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من أمرهم**»[6]. وجرى على هذه السياسة سائر الخلفاء الأمويّين وتبعهم العباسيّون، والسرّ في انتهاج هذه السياسة هو:

(1) سورة الكهف، الآية 29.
(2) سورة المزمل، الآية 19.
(3) سورة آل عمران، الآية 133.
(4) مكارم الشيرازيّ، الشيخ ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب، لا.م، ط1، 1426هـ، ج9، ص108.
(5) الباقلانيّ، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر - مركز الخدمات والأبحاث الثقافيّة، مؤسّسة الكتب الثقافيّة، بيروت - لبنان، 1414هـ - 1993م، ط3، ج2، ص125.
(6) ابن قتيبة الدينوريّ، الإمامة والسياسة، تحقيق علي شيري، انتشارات شريف الرضي، لا.م، 1413هـ - 1371 ش، ط1، ج1، ص171.

1. سلب إرادة واختيار الناس، وإجبارهم على الانصياع للسلطة

إظهار إرادة الحكّام الظالمين على أنّها إرادة اللّه تعالى؛ ليبرّروا ظلمهم وجرائمهم أمام الناس، وساعدهم على ذلك علماء السوء ووعّاظ السلاطين.

2. فلسفة الشرور والآفّات

من المسائل المتعلّقة بمبحث العدل مسألة «**الشرور والآفّات**»، والتي كانت محلّ تساؤل منذ القدم، وهي أنّه تعالى إذا كان عادلًا لا يظلم مثقال ذرّة، فلماذا وُجِدَت البلاءات والمصائب والآفّات التي يكون ظاهرها الشرّ في العالم؟ لماذا الاختلاف في الخلق، شخصٌ جميل وآخر قبيح، أو طويلٌ وقصير، والبعض فقراءٌ والبعض أغنياء، وغير ذلك ممّا يتراءى لنا أنّه نقصٌ وعيبٌ وشرٌّ وما إلى ذلك؟

إنّ الإنسان باعتبار ضعفه وجهله قد يتوهّم ما غايته خيرٌ شرًّا وما نهايته شرٌّ خيرًا، فينظر إلى ظواهر الأمور وبداياتها، ولا ينظر إلى عمقها ونهاياتها. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

فما يراه الإنسان أو ما يشعر به ليس هو دائمًا المعيار الحقيقيّ لفهم المصلحة الحقيقيّة للفرد والمجتمع، فربّ شيء نحبّه وفيه شرّ كثير على صعيد الفرد أو المجتمع أو الأمّة، وكذلك ربّ شيء نكرهه وفيه المصلحة الكبرى للفرد أو الأمّة، واللّه تعالى هو المحيط بخفايا الأمور، ولا يستطيع البشر مهما بلغ وعيهم وفطنتهم إلّا أن يفهموا جانبًا من تلك الخفايا والمصالح البعيدة في الأحكام. فعلى المؤمن أن يعتقد أنّ كلّ الأحكام الصادرة من اللّه تعالى هي لصالحه، تشريعيّة كانت؛ كالصلاة، والصوم، والجهاد والزكاة، أم تكوينيّة؛ كالموت، والبلاءات، والاختلاف في الخلقة والألوان. ويجب أن يصل إلى مرحلة التسليم للّه تعالى؛ حيث يقول: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[2]؛ لأنّ ما

(1) سورة البقرة، الآية 216.
(2) سورة النساء، الآية 65.

توصّل إليه الإنسان من العلوم والاكتشافات لأسرار هذا الكون إنّما هو النزر اليسير، يقول تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

ويؤكّد القرآن الكريم هذه المسألة في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2]. فإنّ الكثير من الآلام هي في واقعها خير، والإنسان أخطأ عندما اعتبرها شرًّا. فملاك وحقيقة الخيريّة وعدمها ليس بموافقتها للرغبات. وذكر القرآن الكريم صورة أخرى معاكسة، وهي أنّ الشيء قد يكون بالنظر السطحيّ خيرًا، ولكنّه في الواقع شرٌّ وبلاءٌ وفتنةٌ وسببٌ لسوء العاقبة، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ﴾[3].

فلسفة ابتلاء المؤمنين

1. البلاء هو امتحان واختبار:

الدنيا هي دار ممرّ وامتحان وبلاء، واللّه تعالى يختبر فيها الناس بالخير وبالشرّ ليجزيَ الصابرين والعاملين، يقول تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[5].

وفي حديث أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرض، فعاده قوم فقالوا: «**كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟**»، قال عليه السلام: «**أصبحت بشرّ**». قالوا: «**سبحان اللّه هذا كلام مثلك؟!**»، فقال عليه السلام: «**يقول تعالى:** ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[6]**، فالخير الصحة والغنى، والشرّ المرض والفقر ابتلاءٌ واختبار**»[7].

---

(1) سورة الإسراء، الآية 85.
(2) سورة آل عمران، الآية 157.
(3) سورة آل عمران، الآية 180.
(4) سورة الأنبياء، الآية 35.
(5) سورة العنكبوت، الآيتان 2 ـ 3.
(6) سورة الأنبياء، الآية 35.
(7) قطب الدين الراونديّ، أبو الحسين سعيد بن هبة الله، الدعوات (سلوة الحزين)، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام إيران- قم، 1407هـ، ط1، ص168.

2. الابتلاء تأديب للمؤمن:

قد يكون ابتلاء المؤمن للتأديب والتذكّر دائمًا، لما في البلاءات من العبر والمواعظ. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من مؤمن إلّا وهو يذكَّر في كلّ أربعين يومًا ببلاء، إمّا في ماله، أو في ولده، أو في نفسه، فيؤجر عليه، أو همٌّ لا يدري من أين هو**»[1].

3. الابتلاء تطهير لذنوب المؤمن:

قد يكون بلاء المؤمن تطهيرًا لذنوبه. يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «**للّه في السرّاء نعمة التفضّل وفي الضرّاء نعمة التطهّر**»[2]، وعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**السُّقم يمحو الذنوب**»[3].

ويقول أيضًا صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا أذى ولا همّ حتّى الهم يهمّه إلا كفّر اللّه به خطاياه**»[4].

4. الابتلاء رفع للدرجات:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثمّ الذين يلونهم، الأمثل فالأمثل**». هنالك نوع من البلاء يكون لرفع درجة الإنسان المؤمن في الآخرة، كالذي يتعرّض له الأنبياء والأولياء، فهذا البلاء في الحقيقة هو رحمة سيجد المؤمن نتيجتها في الآخرة.

(1) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج67، ص237.
(2) المصدر نفسه، ج78، ص165.
(3) المصدر نفسه، ج67، ص244.
(4) المصدر نفسه، ج81، ص188.

المفاهيم الرئيسة

1. تنصّ الآيات القرآنيّة على أنّ المشركين كانوا معتقدين بالجبر وسلب الاختيار، وردَّ القرآن الكريم على مزاعمهم، بقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾، ويقول تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾.
2. المؤسف أنّ بعض المسلمين وقعوا في شبهة الجبر التي وقع فيها المشركون، نظرًا إلى التفسير الخاطئ لبعض الآيات الكريمة التي تسند الخلق والفعل إلى اللّه تعالى.
3. هؤلاء المسلمون لو أمعنوا النظر في كتاب اللّه تعالى لوجدوا آيات كثيرة تدلّ على إسناد الفعل إلى العباد أيضًا.
4. ذهب الشيعة في عقيدتهم إلى الأمر بين الأمرين.
5. مسألة الشرور والآفّات، لماذا وجدت؟ وهل هي موافقة لعدالة اللّه تعالى؟ مسألة قد طرحت منذ القدم.
6. الإنسان لضعفه وجهله قد يتوهّم ما غايته خيرٌ شرًّا وما نهايته شرٌ خيرًا، فينظر إلى ظواهر الأمور.
7. ما يراه الإنسان أو ما يشعر به ليس هو دائمًا المعيار الحقيقيّ لفهم المصلحة الحقيقيّة.
8. اللّه تعالى يبتلي المؤمنين ليختبرهم بالخير والشرّ، وليجزي الصالحين والصابرين.

الدرس الخامس

النبوّة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى الغاية من خلق الإنسان.

2 . يبيّن فوائد بعثة الأنبياء وأدوارهم.

3 . يفهم المقصود من عصمة الأنبياء عليهم السلام.

تمهيد

إنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لحكمة ومصلحة، وجعل له السبل التي تمكّنه من الوصول إلى تحقيق تلك الحكمة والمصلحة الإلهيّة، فلا يصحّ أن يطالب الإنسان بالهداية والعبادة، ولا تبيّن له السبل التي توصله إلى ذلك. ولذا، جعل الله سبحانه وتعالى الأنبياء وسيلة الخلق إليه، وجعلهم المبلّغين الذين يؤدّون رسالة الله إلى خلقه، ويبلّغون الناس ما أراد الله منهم.

الغاية من خلق الإنسان

اللَّه سبحانه وتعالى عليمٌ حكيمٌ، خلق الخلق لحكمة ومصلحة وهدف، يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]. فكلّ شيء خلق لغاية، والغاية أوضحها اللَّه تعالى في كتابه الكريم؛ حيث يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]. فالعبادة والمعرفة هما الغاية من خلق الإنسان، كما ورد في الحديث القدسيّ أيضًا: «**كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أُعرَف فخلقت الخلق لكي أُعرَف**»[4].

العبادة تعني الخضوع والطاعة والانقياد للخالق بما يأمر وبما ينهى، ولكن لكي تتحقّق

---

(1) سورة المؤمنون، الآية 115.

(2) سورة الدخان، الآيتان 38 ـ 39.

(3) سورة الذاريات، الآية 56.

(4) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج84، ص199.

هذه العبادة والطاعة على الوجه الصحيح والمرضيّ من قبل الخالق، لا بدّ أن تكون عن معرفة ودراية، وإلّا وقعت باطلة وغير صحيحة؛ لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يسلك الطريق الصحيح من دون دليل يدلّه عليه.

الأنبياء وتحقّق الغاية

إنّ تحقيق الغاية من الخلق - وهي المعرفة والعبادة - يتوقّف على تعيين واسطة بين الخالق وبين المخلوقين، يهديهم إلى الرشاد، ويعلّمهم طرق العبادة والطاعة. يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[1]، وهنا يأتي دور النبوّة.

إنّ تاريخ الإنسان بنظر القرآن الكريم مترافقٌ مع تاريخ الوحي والنبوّة، فلقد كان الوحي موجودًا بصفته برنامجَ تكاملٍ للإنسان منذ ظهور الإنسان على الأرض، يقول تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات التي تؤكّد هذه الحقيقة. عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا السياق في نهج البلاغة: «**ولم يخل اللّه سبحانه خلقه من نبيّ مرسل أو كتاب منزل أو حجّة بالغة أو محجّة قائمة**»[3].

الإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام

لا يكفي الاعتقاد بنبوّة نبيٍّ واحد أو بعض الأنبياء عليهم السلام، بل لا بدّ أن يعتقد الإنسان بنبوّة جميع الأنبياء؛ لأنّهم جميعًا أنبياءٌ مرسلون من قبل اللّه تعالى، وكلّ نبيّ جاء مصدّقًا لكلام النبيّ الذي قبله، يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[4].

ويقول تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ

(1) سورة الشورى، الآية 51.
(2) سورة فاطر، الآية 24.
(3) نهج البلاغة، مصدر سابق، خطبة 1.
(4) سورة النساء، الآية 163.

وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[1]. ويقول تعالى في ذمّ أولئك الذين يؤمنون ببعضهم فقط: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[2].

فوائد بعثة الأنبياء

هنالك فوائد كثيرة من بعثة الأنبياء، بالإضافة إلى تعريف الناس وهدايتهم إلى طريق تكاملهم، أهمّها:

يوجد الكثير من المعارف المهمّة في حياة الإنسان قد يجهلها أو يغفل عنها، وهذه المعارف بيَّنها الأنبياء للناس لتذكيرهم الدائم. لذلك ورد في القرآن الكريم صفة المذكِّر والذكر والذكرى والتذكرة. يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

ويقول تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾[5].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «**فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول**»[6].

إنّ وجود النبيّ بين الناس له تأثيرٌ كبيرٌ في تربية الأشخاص، باعتبار أنّ الأنبياء وصلوا إلى أعلى مراتب الكمال، فكانوا القدوة الحقيقيّة ليقتديَ بهم الناس ويتأسّوا بأفعالهم،

(1) سورة البقرة، الآية 136.
(2) سورة النساء، الآيتان 150 ـ 151.
(3) سورة الغاشية، الآية 21.
(4) سورة الأنعام، الآية 90.
(5) سورة طه، الآيات 1 – 3.
(6) نهج البلاغة، مصدر سابق، خطبة 1، ص23.

فيقومون بتربية الناس وتزكيتهم روحيًّا، يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

من فوائد وجود الأنبياء ممارسة القيادة السياسيّة والدينيّة والاجتماعيّة، وفضّ الخلافات والمعضلات والاضطرابات الاجتماعيّة بين الناس، يقول تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[3].

دور الأنبياء عليهم السلام

إنّ القرآن الكريم لم يحدّد دورًا خاصًّا للأنبياء عليهم السلام، بل إنّ دورهم مرتبطٌ بكلّ ما تحتاجه الأمّة في حياتها على الصعيدين الروحيّ والعلميّ، وعلى الصعيد الاجتماعيّ، من وضع قوانين تنظّم حياة الناس وتهديهم إلى السعادة الحقيقيّة والكمال الإنسانيّ، وكذلك يبيّنون لهم الأحكام ويحذّرونهم من الوقوع في المعاصي ومخالفة اللّه تعالى.

وهذه بعض أدوارهم عليهم السلام التي وردت في القرآن الكريم:

التعليم: يقول تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾[4].

التبشير والإنذار: يقول تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[5].

الدعوة إلى عبادة اللّه تعالى: يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[6].

---

(1) سورة الممتحنة، الآية 4.
(2) سورة الأحزاب، الآية 21.
(3) سورة البقرة، الآية 213.
(4) سورة البقرة، الآية 151.
(5) سورة الأنعام، الآية 48.
(6) سورة النحل، الآية 36.

إخراج الناس من الظلمات إلى النور: يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ﴾[1].

الشهادة على أعمال العباد: يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[2].

إبلاغ الرسالة للناس: يقول تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾[3].

الحكم بين الناس: يقول تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾[4].

الأسوة الحسنة: يقول تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾[5].

صفات الأنبياء عليهم السلام

أخطر المناصب وأكبرها مسؤوليّة قيادة المجتمع البشريّ وهدايته إلى السعادة والكمال. فإنّ المتصدّيَ لهذه المسؤوليّة الكبرى، يجب عليه أن يتمتّع بصفات وامتيازات خاصّة؛ كالمعرفة التامّة بإدارة الشؤون الاقتصاديّة والسياسيّة والعسكريّة والاجتماعيّة والتربويّة، بالإضافة إلى الاتّصاف بالفضائل النفسيّة والروحيّة والأخلاقيّة. لذلك نرى القرآن الكريم يركّز على هذه الناحية لأهمّيّتها على صعيد التبليغ؛ حيث يخاطب اللّه سبحانه وتعالى نبيّه الكريم بقوله: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[6]، ولذلك خاطبه اللّه تعالى وأثنى عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[7]. هذا بالإضافة إلى الصفة الأهمّ والأبرز، والتي لها ارتباط وثيق بالتبليغ والهداية، وهي صفة العصمة، وسنتحدّث عنها باختصار.

(1) سورة إبراهيم، الآية 5.
(2) سورة الفتح، الآية 8.
(3) سورة المائدة، الآية 99.
(4) سورة البقرة، الآية 213.
(5) سورة الأحزاب، الآية 21.
(6) سورة آل عمران، الآية 159.
(7) سورة القلم، الآية 4.

عصمة الأنبياء

1. معنى العصمة:

الواسطة بين اللّه وعباده أيّ النبيّ يجب أن يكون معصومًا، بمعنى أنّه يجب أن يتمتّع بملكة نفسيّة قويّة تمنعه من ارتكاب المعصية حتّى في أشدّ الظروف، وتنبع هذه الملكة من الوعي التامّ بقبح المعصية والإرادة القويّة لضبط الميول النفسيّة، وهذه تتحقّق بالعناية الإلهيّة الخاصّة. إنّ العصمة لا تعني أنّ الإنسان مجبورٌ على العمل بمقتضاها، بل إنّ صاحبها لا يختار المعصية ولا يقع فيها لعلمه بحقيقة الذنب وآثاره، وقوّة العلم توجب قوّة الإرادة، فلا تتعلّق إرادته حينئذٍ إلّا بالطاعات.

2. أدلّة عصمة الأنبياء:

هنالك العديد من الأدلّة منها:

أنّه لو لم يكن النبيّ معصومًا لكان محلّ إنكار ومورد عتاب، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[1]، وأيضًا قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[2]. فمن الطبيعيّ أن يكون النبيّ معصومًا، يأتمر بما يأمر، وينتهي عمَّا ينهى، حتّى لا يُنكر عليه من أحد، وحتى يحصل الوثوق به وبتبليغه، ويُعتمد عليه في إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

3. أنحاء العصمة:

العصمة من الذنوب: الأنبياء معصومون من ارتكاب الذنوب، صغيرها وكبيرها؛ لأنّه لو كان مرتكبًا للذنوب لأصبح ظالمًا إمّا لنفسه أو لغيره، وهو خلاف العصمة التي جُعلت شرطًا في النبوّة، كما في قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]. العصمة عن الخطأ والاشتباه: لأنّ النبيّ لو اشتبه وأخطأ، يكون خلاف كونه هاديًا؛ حيث يحتمل

(1) سورة البقرة، الآية 44.
(2) سورة الصف، الآيتان 2 و3.
(3) سورة البقرة، الآية 124.

الاشتباه حينها في كلّ قول وتبليغ وحكم، وهذا نقض للغرض الذي أرسل الأنبياء لأجله؛ لأنّهم عليهم السلام بُعِثوا هداة مهديّين، كما يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[1].

ويقول أيضًا: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[2].

ويقول سبحانه وتعالى بحقّ رسوله الكريم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[3].

(1) سورة الأنبياء، الآية 73.
(2) سورة الأنعام، الآية 90.
(3) سورة النجم، الآيتان 3 ـ 4.

المفاهيم الرئيسة

1. العبادة والمعرفة هما الغاية من خلق الإنسان، كما ورد في الحديث القدسيّ: «كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أُعرَف فخلقت الخلق لكي أُعرَف».
2. تحقّق هذه الغاية يتوقف على تعيين واسطة بين الخالق وبين المخلوقين، يهديهم إلى الرشاد، ويعلّمهم طرق العبادة والطاعة. ولا يكفي الاعتقاد بنبوّة نبيّ واحد أو بعض الأنبياء، بل لا بدّ أن يعتقد الإنسان بنبوّة جميع الأنبياء.
3. هناك فوائد كثيرة من بعثة الأنبياء، بالإضافة إلى تعريف الناس وهدايتهم إلى طريق تكاملهم، منها:
   أ. تبيين الكثير من المعارف التي يجهلها الإنسان.
   ب.وجود النبيّ له أثر كبير في تربية الناس.
   ج. ممارسة القيادة السياسيّة والدينيّة والاجتماعيّة.
4. المتصدّي لمقام النبوّة عيجب أن يتمتّع بصفات وامتيازات خاصّة؛ كالمعرفة التامّة، والفضائل الحسنة والعصمة.

الدرس السادس

نبوّة النبيّ محمّد بن عبد الله ﷺ

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعرف فلسفة بعثة النبيّ محمّد ﷺ.

2 . يستدلّ على بعثة النبيّ محمّد ﷺ.

3 . يفهم إعجاز القرآن الكريم.

تمهيد

بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء لهداية الناس، وقد تميّز من بين الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام بما أنزل اللّه عليهم من الكتب السماويّة المشتملة على الأحكام والقوانين. ولكنّ هذه الكتب تعرّضت للتحريف، ومنها اختفى تمامًا وغاص العالم كلّه في الظلام والجهل، حينها بعث اللّه خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر المناطق تخلّفًا وانحطاطًا وظلمًا، للناس كافّة، ورحمة للعالمين.

فلسفة بعثة نبيّ الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

لقد بُعِث آلاف الأنبياء عليهم السلام في مراحل تاريخيّة مختلفة وأماكن مختلفة من العالم، وقاموا بمهامّهم خير قيام في هداية البشريّة، وتربيتهم وتقوية معتقداتهم وقيمهم، ودعوا إلى التوحيد والعدل. وتميَّز من بينهم نوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى عليهم السلام بأن أنزل اللّه عليهم كتبًا سماويَّة مشتملة على الأحكام والقوانين الفرديّة والاجتماعيّة، والتعاليم والوظائف الأخلاقيّة والقانونيّة الملائمة لظروفها الزمانيّة. ولكنّ هذه الكتب تعرّضت للتحريف، ومنها ما اختفى، وعاش الناس في ضلال؛ لأنّهم باتوا يأخذون دينهم من رهبانهم وأحبارهم وكتبهم، مع ما فيها من تحريف، وأساطير، وتشويه لصورة الأنبياء، والنيل من مقام الربوبيّة، وتحريم ما أحل اللّه، وتجويز ما حرَّم، فلم يعد أيّ دور يُذكر لهداية البشر؛ حيث غاص العالم كلّه في القرن السادس الميلاديّ في الظلام والجهل والظلم، وخمدت مشاعل الهداية الإلهيّة. وفي ذلك الوقت، بعث اللّه سبحانه وتعالى خاتم الأنبياء وأفضلهم في أكثر المناطق تخلُّفًا وانحطاطًا وظلمًا وجهالةً، أرسله إلى البشر كافّة؛ ليحمل لهم الكتاب

الإلهيّ الخالد، ليهديَهم إلى سبيل الرشاد، ويعلّمهم المعارف الحقيقيّة، ويقود البشر إلى السعادة الدنيويّة والأخرويّة.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

الدليل على نبوّة نبيّ الإسلام ﷺ

إثبات نبوّة أيّ نبيّ يتمّ من خلال ثلاثة طرق:

الأوّل: التعرّف على سيرتهم وسلوكهم.

الثاني: إخبار الأنبياء السابقين.

الثالث: المعجزة.

وهذه الطرق الثلاثة قد توفرَّت في نبوّة نبيّ الإسلام محمّد بن عبد اللّه ﷺ، وتفصيلها كالآتي:

1. الطريق الأوّل: سيرة المصطفى ﷺ:

إنّ أهل مكّة قد عاشروا الرسول ﷺ أربعين عامًا ولم يجدوا خلالها عثرة من العثرات وأيّ ضعف في حياته، بل كانت حياته مضيئة بالنور والعطاء، وكان يُشار إليه بالبنان، وبالتواضع والزهد، والصدق والأمانة؛ حيث لقّبوه بالصادق الأمين، وكان مثال مكارم الأخلاق، حتّى نعته اللّه تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

2. الطريق الثاني: إخبار الأنبياء السابقين:

لقد أخبر وبشَّر الأنبياء السابقون بنبوّته وبعثته ﷺ، وقد كان ينتظر ظهوره جماعة

(1) سورة آل عمران، الآية 164.
(2) سورة الجمعة، الآية 2.
(3) سورة القلم، الآية 4.

من أهل الكتاب، وكانوا يعرفون بعض العلامات الواضحة والبيّنة عليه، وكانوا يقولون للمشركين من العرب بأنّه سيبعث بالرسالة أحد أبناء إسماعيل عليه السلام يصدّق بالأنبياء السابقين، وقد آمن به بعض علماء اليهود والنصارى اعتمادًا على تلك البشائر.

يقول تعالى في كتابه الكريم على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1]. ويقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾[2].

ويقول تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[3]. إنّ معرفة علماء بني إسرائيل بنبيّ الإسلام ﷺ استنادًا إلى بشارات الأنبياء السابقين تُعدُّ دليلًا واضحًا على صحّة نبوّته ﷺ، وحجّة مقنعة لأهل الكتاب ولغيرهم لمشاهدتهم صدق وحصول هذه البشارات.

3. الطريق الثالث: المعجزة:

إنّ الناس كانوا يطلبون المعجزة من الأنبياء عند ادّعائهم النبوّة، كما حدّثنا القرآن الكريم عن قوم نبيّ اللّه صالح عليه السلام: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[4]، وقد يخبر النبيّ عن تسلُّحه بالمعجزة ابتداءً كما حصل مع نبيّ اللّه موسى عليه السلام مخاطبًا فرعون: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[5]. وكذلك حدث مع النبيّ عيسى عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[6].

---

(1) سورة الصف، الآية 6.
(2) سورة الأعراف، الآية 157.
(3) سورة البقرة، الآية 129.
(4) سورة الشعراء، الآية 154.
(5) سورة الأعراف، الآية 105.
(6) سورة آل عمران، الآية 49.

القرآن معجزة نبيّ الإسلام

إنّ معجزات رسول اللّه ﷺ أكثر من أن تحصى؛ كشقّ القمر له في مكّة عندما طلبت قريش منه آية، كما أخبر القرآن الكريم: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[1]، وغيرها من المعجزات ولكن تبقى معجزته الإلهيّة الباهرة والخالدة في القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم هو الكتاب السماويّ الوحيد الذي أعلن أنّه لا يمكن لأحدٍ الإتيان بمثله حتّى لو اجتمعت الإنس والجنّ، أو حتّى بعشر سورٍ أو سورة واحدة. يقول تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[4]. ثمّ إنّ عدم الاستجابة لهذا التحدّي لهو دليلٌ على إعجازه وتصديق لنبوّة صاحبه ﷺ.

وجوه إعجاز القرآن الكريم

يوجد وجوه عديدة لإعجاز هذا الكتاب العظيم، منها:

إنّه مع كونه مؤلّفًا من هذه الحروف الهجائيّة المحدودة عجز البشر عن الإتيان بمثله، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[5].

فرادة الأسلوب وأعجوبة النظم، وليس له شبيه في كتب الشعراء والبلغاء والفصحاء.

عدم الاختلاف والتناقض فيه، ولو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا، يقول

(1) سورة القمر، الآيتان 1 و2.
(2) سورة الإسراء، الآية 88.
(3) سورة هود، الآية 13.
(4) سورة يونس، الآية 38.
(5) سورة الإسراء، الآية 88.

تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1].

اشتماله على الآداب الكريمة والشرائع القويمة، ونظام العباد والبلاد والمعاد.

اشتماله على ما كان مخفيًّا من الأخبار الماضية والأزمنة الغابرة؛ كقصص أصحاب الكهف، وسبأ، وذي القرنين والخضر.

اشتماله على الأمور المستقبليّة: «**كغلبة الروم**» في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[2].

إنّه مع كلّ وجوه إعجازه، صدر من إنسان أميّ لم يتعلّم القراءة والكتابة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[4].

خاتميّة الرسالة الإسلاميّة

إنّ الدين الإسلاميّ هو الدين الخالد، ودعوته شاملة وعامّة غير محددة بمنطقة وغير مختصّة بقوم، وممّا يؤيّد ذلك الرسائل التي كان يبعثها الرسول ﷺ للرؤساء والملوك والحكام؛ أمثال: قيصر الروم، وكسرى الفرس، وحكّام مصر والشام والحبشة، ورؤساء القبائل المختلفة؛ حيث دعاهم جميعًا لاعتناق الإسلام، ويدلّ على ذلك أيضًا أنّ خطابات الآيات القرآنيّة متوجّهة للناس جميعًا في الغالب، مثل: «**يا أيّها الناس**»، «**يا بني آدم**»، «**يا أهل الكتاب**». قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[5]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[6]، ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[7].

وهذه الرسالة هي خاتمة الرسالات السماويّة. يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿مَّا كَانَ

(1) سورة النساء، الآية 82.
(2) سورة الروم، الآيتان 2 ـ 3.
(3) سورة النحل، الآية 103.
(4) سورة الأعراف، الآية 158.
(5) سورة الأنبياء، الآية 107.
(6) سورة سبأ، الآية 28.
(7) سورة التوبة، الآية 33، سورة الفتح، الآية 28، سورة الصف، الآية 9.

﴿مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1]. الآية المباركة تدلّ على أنّ النبيّ الأكرم هو خاتم الأنبياء؛ أي إنّ سلسلة النبوّة تنتهي بنبوّته ﷺ. هذا بالإضافة إلى الكثير من الروايات الدالّة على ذلك؛ كقوله ﷺ: «**أيها الناس إنّه لا نبيّ بعدي ولا أمّة بعدكم**»[2]. وقوله ﷺ لعلّي عليه السلام: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه ليس بعدي نبيّ**»[3].

(1) سورة الأحزاب، الآية 40.

(2) الحرّ العامليّ، الشيخ محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، تحقيق وتصحيح وتذييل الشيخ عبد الرحيم الربانيّ الشيرازيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت - لبنان، 1403هـ - 1983م، ط5، ج1، ص15.

(3) المصدر نفسه.

المفاهيم الرئيسة

1. الدليل على نبوّة النبيّ محمّد ﷺ هو سيرته وسلوكه، إخبار الأنبياء السابقين عنه والمعجزة الخالدة.
2. معجزاته ﷺ أكثر من أن تحصى.
3. القرآن الكريم هو الكتاب السماويّ الوحيد الذي أعلن أنّه لا يمكن لأحد الإتيان بمثله أو بجزء منه، وللقرآن الكريم وجوه عدّة تبيّن إعجازه.
4. إنّ الدين الإسلاميّ هو الدين الخالد، ودعوته شاملة وعامّة غير محدّدة بمنطقة وغير مختصّة بقوم، وممّا يؤيّد ذلك الرسائل التي كان يبعثها الرسول ﷺ للرؤساء، والملوك والحكّام أمثال: قيصر الروم، وكسرى الفرس، وحكّام مصر والشام، والحبشة، ورؤساء القبائل المختلفة.

الدرس السابع

الإمامة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يشرح استمراريّة الإمامة بعد النبوّة الخاتمة.

2 . يستدلّ على ضرورة وجود الإمام.

3 . يفهم أنّ الولاية من كمال الدين وتمام النعمة.

تمهيد

إنّ الإمامة الإلهيّة بعد الأنبياء عليهم السلام تعتبر من القضايا العقائديّة الأساسيّة في هداية الناس وإرشادهم إلى طرق الخير والصلاح والهداية. فالوصيّ هو الشخص الأقدر على استكمال دور الأنبياء، وهو الذي يعمل بما وسعته الظروف المختلفة حفظ الرسالة، وصيانتها من التحريف والتشويه. والإمام يمتلك الصفات والمؤهّلات التي تجعله الأقدر بين الناس على قيادة رسالة النبيّ السابق عليه.

وبما أنّ الإسلام هو الدين الخاتم، فكان لا بدّ من تعيين فئة تمتلك كلّ الصفات الإلهيّة التي تمكّنها من قيادة الإسلام، وحفظه وصيانته من التشويه والتحريف والتلاعب. وقد عيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأئمّة الأطهار عليهم السلام خلفاءً من بعده، بأمر من الله سبحانه وتعالى.

مفهوم الإمامة

الإمامة في اللغة: «**الرئاسة العامّة وكلّ من يتصدّى لرئاسة جماعة يسمّى إمامًا**».

الإمامة في الاصطلاح: هي الرئاسة والقيادة العامّة الشاملة على الأمّة الإسلاميّة في كلّ الأبعاد والجوانب الدينيّة والدنيويّة.

الإمامة استمرارٌ للنبوّة

بعدما عرفنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم النبيّين، وأنّ الخلافة هي سنَّة مستمرّة بين الأنبياء عليهم السلام حتى لا تخلو الأرض من حجّة، ولحفظ ما أنجزه الأنبياء، وإتمام دورهم في هداية الناس إلى كمالهم الروحيّ والأخلاقيّ، وكلّ ما يرتبط في حياتهم وآخرتهم، ويكون ذلك على يديّ إنسان يتمتّع بمواصفات النبيّ نفسها من الكفاءة والمؤهّلات، ويمتلك كلّ مناصب

النبيّ إلّا النبوّة والرسالة. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**اللّهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجّة، إمّا ظاهرًا مشهورًا وإمّا خائفًا مغمورًا، لئلّا تبطل حجج اللّه وبيناته**»[1]. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إن اللّه لم يدع الأرض بغير عالم، ولولا ذلك لم يعرف الحقّ من الباطل**»[2].

من يختار الإمام عليه السلام

إنّ مسألة الإمامة ليست مسألة سهلة، بل لها من الأهمّيّة والخطورة؛ بحيث لا يمكن أن يقوم بها وبمهامّها إلّا من اختصّه اللّه تعالى بصفات خاصّة. لذلك لم يُترَك أمر اختيار أصحابها إلى الناس، بل كانوا يعيّنون من قبل اللّه تعالى على لسان من سبقهم من الأنبياء والأئمّة عليهم السلام. يقول تعالى مخاطبًا النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]. فالآية الكريمة تنصّ على أنّ الظالم - وهو المرتكب للمعصية - لا يمكن أن يصل إلى هذا المقام العظيم وهو مقام الإمامة الإلهيّة.

النصّ على الإمام عليه السلام

قلنا إنّ منصب الإمامة هو استمرارٌ للنبوّة، فلذلك ما كان لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك المجتمع يعيش في فراغ بعد رحيله؛ بحيث تقع فيه الخلافات والنزاعات، ويرجع الناس إلى عهد الجاهليّة، بل إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم - الذي بعث رحمة للعالمين، وسيّد العقلاء الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى - كان قد نصّ على ولاية عليّ عليه السلام وإمامته في مناسبات كثيرة منذ انطلاق الدعوة الإسلاميّة. فينقل لنا التاريخ تلك الحادثة المعروفة بـ«حديث الدار»، عندما جمع عشيرته ولم يؤازره على أمره غير الإمام علي عليه السلام، فقال عندها صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنت**

(1) نهج البلاغة، مصدر سابق، حكمة 147.
(2) الكلينيّ، الشيخ محمّد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تحقيق وتصحيح عليّ أكبر الغفاريّ، نشر دار الكتب الإسلاميّة، إيران - طهران، 1407هـ ط4، ج1، ص178.
(3) سورة البقرة، الآية 124.

أخي ووصيّي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي»[1]، ثمّ أكّد على هذه الولاية في العديد من النصوص لاحقًا، إلى أن وصل إلى «**حديث الغدير**» الذي أوردناه أوّلًا.

هذا بالإضافة إلى الآيات الواردة في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام، التي منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[2].

وقد ذكر الكثير من المفسّرين من السنّة والشيعة أنّها نزلت بحقّ أمير المؤمنين عليه السلام عندما تصدَّق بخاتمه في أثناء الصلاة. ومنها قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾[3].

في أسباب نزول هذه الآية المباركة، روى الثعلبيّ الذي هو من المفسّرين السنّة، «**أنّه لمّا كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه**»، فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ الحارث بن النعمان الفهريّ، فأتى نحو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على ناقته حتّى أتى الأبطح فنزل عن ناقته فأناخها وعقلها، ثمّ أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو في ملأ من أصحابه فقال: «**يا محمّد أمرتنا من اللّه أن نشهد أن لا إله إلا اللّه وأنّك رسول اللّه ففعلناه، وأمرتنا أن نصليَ خمسًا فقبلناه، وأمرتنا أن نصوم شهر رمضان فقبلناه، وأمرتنا أن نحجّ البيت فقبلناه، ثمّ لم ترضَ بهذا حتّى رفعت بطبعي ابن عمك وفضَّلته علينا، وقلت من كنت مولاه فعليّ مولاه، وهذا شيء منك أم من اللّه؟**»، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**والذي لا إله إلّا هو، من اللّه**»، فولَّى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: «**اللّهم إن كان ما يقول محمّد حقًّا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم**»، فما وصل إليها حتّى رماه ابن بحجر فسقط على هامته فقتله وأنزل اللّه تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾»[4].

---

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، مصدر سابق، ج1، ص50.

(2) سورة المائدة، الآية 55.

(3) سورة المعارج، الآيتان 1 ـ 2.

(4) راجع: العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج37، ص136.

النصّ على الأئمّة الاثني عشر

لأهمّيّة موقع الإمامة وخطورته، لم يكتفِ النبيّ ﷺ بالنصّ على أمير المؤمنين عليه السلام فقط، بل أشار إلى الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام في مناسبات عديدة وبصيغ مختلفة، منها: ما رواه جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفة**»، ثمّ قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: «**ما قال؟**»، قال: «**كلّهم من قريش**»[1].

وفي رواية عن الصحابيّ الجليل جابر بن عبد اللّه الأنصاريّ، قال: لمّا أنزل اللّه تبارك وتعالى على نبيّه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[2]؟ قلت يا رسول الله قد عرّفنا اللّه ورسوله، فمن أولي الأمر الذين قرن اللّه طاعتهم؟، فقال ﷺ: «**هم خلفائي وأئمّة المسلمين بعدي أوّلهم: عليّ بن أبي طالب ثمّ الحسن والحسين ثمّ علي بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرئه عنّي السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمد ثمّ موسى بن جعفر ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سميّي وكنيّي حجّة اللّه في أرضه وبقيّته في عباده ابن الحسن بن عليّ الذي يفتح اللّه على يده مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته غيبة لا يثبت على القول في إمامته إلّا من امتحن اللّه قلبه بالإيمان**»[3].

الولاية تمام الدين وكمال النعمة

إنّ الدين قد كمل على يديّ رسول اللّه ﷺ والنعمة قد تمّت، وإنّ اللّه تعالى قد رضيَ لنا الإسلام دينًا. يقول تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[4]، ولكن متى رضَي اللّه سبحانه وتعالى بهذا الدين واعتبره كاملاً وتامًّا؟! في الجواب عن هذا السؤال، نرجع إلى الحادثة التي حصلت وسبَّبت نزول هذه الآية

(1) العلّامة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج36، ص266.
(2) سورة النساء، الآية 59.
(3) العلّامة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج23، ص289.
(4) سورة المائدة، الآية 3.

الكريمة، والتي نزلت في السنة العاشرة للهجرة، وعند عودة النبيّ ﷺ من حجّة الوداع، عندما نزل جبرائيل عليه السلام بالآية المباركة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

فما هو هذا البلاغ العظيم والمهمّ الذي توقّفت عليه الدعوة وصحّتها، وتوقّف عليه كمال الدين وجهاد ومعاناة النبيّ ﷺ والمسلمين طوال ثلاثة وعشرين عامًا، فعندها نُصب لرسول اللّه ﷺ المنبر وصعد عليه وقال ﷺ: «**أيّها الناس إنّ اللّه مولاي وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ألا من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم والِ من والاه**»[2]. وبعدها سلَّم المسلمون على عليّ عليه السلام بإمرة المسلمين.

فاللّه تعالى ارتضى عن هذا الدين، واعتبره كاملًا عندما نصَّب الرسول ﷺ إمامًا وعندما جعل خليفة، يكمل دور النبوّة في الهداية والرعاية. وهكذا كانت سنَّة الأنبياء السابقين عليهم السلام، فإنّهم كانوا يوصون إلى أوصياء بعدهم حتّى لا يتركوا الأمّة في فراغ، بل ليهدوا الأمة إلى سبل الخير ويعرِّفوهم طرق التكامل والرشد.

(1) سورة المائدة، الآية 67.

(2) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج23، ص141.

المفاهيم الرئيسة

1. إنّ الدين قد كمل وتمّت النعمة عندما نصّب رسول اللّه ﷺ الإمام عليّ عليه السلام إمامًا وخليفة من بعده، وبذلك رضي اللّه تعالى لنا هذا الدين العظيم واعتبره كاملًا.
2. الإمامة هي القيادة والرئاسة العامّة الشاملة على الأمّة الإسلاميّة من جميع الجوانب.
3. الإمامة مسألة خطيرة لا يمكن أن يقوم بأعبائها إلّا من اختصّه اللّه تعالى بصفات خاصّة، ولا بدّ أن يكون منصوصًا عليه من قبل اللّه تعالى.
4. نصّ النبيّ ﷺ على وجود اثني عشر إمامًا في مناسبات عديدة، وهنالك بعض الروايات عنه ﷺ تنصّ على أسمائهم؛ كالرواية المرويّة عن جابر الأنصاريّ.

الدرس الثامن

المعاد والآخرة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يشرح أهمّيّة البحث عن المعاد.

2 . يعدّد دلائل المعاد في القرآن الكريم.

3 . يدرك العلاقة بين مفهومي العدل والمعاد.

تمهيد

قلنا إنّ الله سبحانه وتعالى إنّما خلق الإنسان لهدف معيّن، وحدّد له المسار الصحيح الذي يجب أن يسير عليه، وأن يخطوَ كلّ الخطوات في اتّجاه تحقيق الهدف الإلهيّ، وبعد أن يسعى الإنسان لتحقيق ذلك الهدف، يجب أن تكون النتيجة منتظرة، وشاخصة أمام أعينه، والناس في السعي لتحقيق ذلك الهدف الإلهيّ على نحويْن؛ فمنهم من يسعى فعلًا مع الاتّجاه الصحيح، ومنهم من يسعى عكس هذا الاتّجاه بشكل كامل، بل يسعى إلى معارضة الاتّجاه الأوّل وتدميره، وزرع كلّ العراقيل أمامه. لذا، لا بدّ من محاكمة لكلا الاتّجاهين، لكي يتميّز المؤمن من الفاسق، ويتميّز صاحب العادل من الظالم، فجعل الله سبحانه وتعالى المعاد ليكون هو الحكم والفصل بين الاتّجاهين يوم القيامة.

أهمّيّة بحث المعاد

إنّ لبحث المعاد أثرًا كبيرًا على صعيد الحياة الدنيويّة، وعلى صعيد السعادة الأخرويّة؛ من حيث إيجاد محفّز ودافع قويّ لسير الإنسان نحو تكامله. لهذا، كان البحث في المعاد محطّ اهتمام جميع الأديان، وفي كلّ العصور، حتّى أنَّ أحد وجوه الحكمة في بعث أصحاب الكهف هو إثبات المعاد لوجود الجدل الكبير حينها بين الناس، فكان إحياؤهم دليلًا قاطعًا أمام المنكرين. يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾[1]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾[2]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ

(1) سورة الكهف، الآية 9.

(2) سورة الكهف، الآية 12.

ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾[1]. ولو ألقينا نظرة على القرآن الكريم، لوجدنا أنّ ثلث القرآن يتكلّم عن المعاد؛ أي ما يقرب من 1200 آية من مجموع آياته. وقد قرن الله تعالى في الكثير من الآيات بين اليوم الآخر والإيمان باللّه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات التي ناهزت الثلاثين آية.

أسماء المعاد في القرآن

عبَّر القرآن الكريم في مئات الآيات الكريمة بتعبيرات متنوّعة عن المعاد، وكلّ تعبير يتناول بعدًا من أبعاده. أهمّ هذه الأسماء هي:

1. قيام الساعة.
2. إحياء الموتى.
3. البعث.
4. الحشر.
5. النشر.
6. المعاد والعود.
7. لقاء الله.
8. الرجوع.
9. القيامة.
10. اليوم الآخر.
11. يوم الحساب.
12. يوم الدين.
13. يوم الفصل.
14. يوم الخروج.
15. اليوم الموعود.
16. يوم الخلود.
17. يوم الحسرة.
18. يوم التغابن.

إلى غير ذلك ممّا يقارب السبعين اسمًا.

دلائل المعاد في القرآن الكريم

هنالك طرق كثيرة في القرآن الكريم يمكن إثبات المعاد من خلالها.

1. آيات الخلق الأول:

يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[3]. ففي هذه الآيات الكريمة، يبيّن الله تعالى إمكان إثبات المعاد بدليل أنّ الذي خلقها وكوّنها في أوّل مرّة قادرٌ على إحيائها وخلقها من

(1) سورة الكهف، الآية 21.
(2) سورة البقرة، الآية 177.
(3) سورة يس، الآيتان 78 ـ 79.

جديد مرّة ثانية؛ لأنّ القدرة واحدة، بل لعلّ الخلق الثانيَ أهون وأيسر بنظر المخلوقين، ولكنّ عند الله تعالى أيسر في كلّ المراحل؛ لأنّ قدرته متساوية لجميع الأشياء.

2. آيات القدرة الإلهيّة المطلقة:

البحث في المعاد يأتي بعد إثبات التوحيد والصفات الثبوتيّة والسلبيّة. وإنّ إحدى صفاته تعالى «**قدرته غير المحدودة**»، والتي ظهرت في خلق السماوات والأرض والمجرّات والكواكب، وتنوّع المخلوقات ودقّة النظام، وذلك كلّه لدليل على قدرته تعالى. يقول تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]. ففي هذه الآيات المباركة، يقيس اللّه تعالى إحياء الموتى بخلق السموات والأرض. فالذي يخلق هذا الخلق العظيم قادرٌ على إعادة الإنسان الذي خلقه أوّلًا.

3. آيات إحياء الأرض:

إحياء النباتات الميّتة هي ظاهرة أخرى من الظواهر الدالّة على المعاد، والتي أشار إليها القرآن الكريم في عدد من آياته. فذلك النظام وتلك الحالة المتكرّرة والمتجدّدة في كلّ عام دليلٌ صريحٌ على المعاد؛ حيث إنّ كلّ من على الأرض يرى هذه النباتات كيف تموت وكيف تُحيا في كلّ عام وعند كلّ موسم، إذا تهيّأت لها ظروف الحياة. وإنّ الحاكم على موت هذه النباتات وعلى إحيائها هو نظام واحد في كلّ الموارد، وحتّى على الإنسان وباقي المخلوقات. يقول تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]. في هذه

(1) سورة غافر، الآية 57.
(2) سورة العنكبوت، الآية 20.
(3) سورة ق، الآيات 9 – 11.
(4) سورة الحج، الآيتان 5 ـ 6.

الآيات أيضًا، يقيس اللّه تعالى إحياء الإنسان بإحياء النباتات بعد موتها؛ لأنّها تابعة للقانون نفسه، وهو أمرٌ يحتاج إلى تأمّل وتفكُّر، ونحن لا نعتني كثيرًا بهذا التغيير في النباتات؛ لأنّنا اعتدنا مشاهدته في كلّ عام فصار أمرًا عاديًّا، وإلّا فإنّه تابعٌ لنظام دقيق.

4. آيات تطوّر مراحل خلق الإنسان:

إنّ التغيّرات التي تطرأ على النطفة منذ استقرارها في الرحم حتى الولادة، وتقلّبها وتبدّلها في تلك المرحلة، خيرُ دليل على ثبوت المعاد؛ لأنّه نموذج من نماذجه. فإنّ الإنسان بموته ينتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى، يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا... ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[2].

ففي هذه الآيات، يشير القرآن الكريم إلى مراحل الإنسان الأربع «**التراب، النطفة، العلقة، المضغة**». وكلّ مرحلة تُعتبر بنفسها عالمًا عجيبًا.

نماذج قرآنيّة على المعاد

بالإضافة إلى الأدلّة القرآنيّة التي مرَّت حول إمكان المعاد، فإنّ القرآن الكريم ذكر شواهد على المعاد في آيات وحوادث متعدّدة، منها:

قصّة أصحاب الكهف التي ذكرناها في بداية البحث؛ حيث بعثهم اللّه تعالى بعد ثلاثمئة وتسع سنوات، لكي يكونوا دليلًا حيًّا على المعاد. يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾[3].

(1) سورة الحج، الآيتان 5 ـ 6.
(2) سورة القيامة، الآيات 37 – 40.
(3) سورة الكهف، الآية 21.

قصّة النبيّ عزير عليه السلام الذي أماته اللّه تعالى مئة عام، ثمّ بعثه عندما مرَّ على قرية مهجورة، فأراد أن يشاهد إحياء الموتى بنفسه، ليكون ذلك دليلًا قاطعًا أمام المنكرين.

يقول تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

قصّة النبيّ إبراهيم عليه السلام مع الطيور الأربعة عندما طلب من اللّه تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى حتى يطمئنّ قلبه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ [2] إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3]. هذا بالإضافة إلى شواهد أخرى ذكرها القرآن الكريم، وكذلك إحياء النبيّ عيسى عليه السلام للموتى دليل واضح على ذلك.

العدل دليلٌ على المعاد

إنّه من المسلّم أنّ في هذه الدنيا يوجد ظالمون ومظلومون، ولكنّ حقّهم لا يأخذونه في هذه الدنيا بصورة كاملة. فمقتضى العدالة الإلهيّة أن يقتصّ اللّه تعالى من الظالمين للمظلومين بمحاسبة عادلة، وهذا لا يتحقّق في الدنيا؛ لأنّهم قد يموتون من دون تحقّق ذلك، فلا بدّ أن يوجد عالم يحاسبون فيه، ويؤخذ الحقّ منهم، وهو عالم الآخرة. يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[4].

وذلك مقتضى عدالة الله سبحانه وتعالى؛ لأنّه لا يظلم مثقال ذرّة كما مرَّ في مبحث

(1) سورة البقرة، الآية 259.
(2) صرهنّ: أضممهنّ.
(3) سورة البقرة، الآية 260.
(4) سورة الجاثية، الآية 21.

العدل. ويقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[1]، فيبعث اللّه تعالى البشر حتّى يحاسبهم.

محكمة العدل الإلهيّ

إنّ أهمّ منزل من منازل يوم القيامة مرحلة حساب الخلائق في محكمة العدل الإلهيّ، فيسأل الإنسان فيها عن الصغيرة والكبيرة: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[2]. ويقول تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[3].

فهذه الآيات تتحدّث عن حضور جميع الأمم أمام اللّه تعالى في محكمة عدله، ليقفوا على جميع ما قدَّموه في حياتهم الدنيا، واللّه تعالى يأخذ الحقوق، ويحكم بينهم يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[4]، و﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[5].

واللّه تعالى في تلك المرحلة يُعطي البدن حتّى الجلد القدرة على التكلّم والنطق، وكلّ عضو من الأعضاء يجيب عمّا فعله، والمذنبون يعاتبون جلودهم على شهادتهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[6]، ويجيبونهم بأنّ الأمر وكلّ شيء بيد اللّه وقدرته.

(1) سورة الأنبياء، الآية 47.
(2) سورة الكهف، الآية 49.
(3) سورة يس، الآية 32.
(4) سورة الحج، الآية 69.
(5) سورة ق، الآية 21.
(6) سورة النور، الآية 24.

ميزان الأعمال

عند ذلك، توضع الموازين الدقيقة لتزن أعمال العباد؛ صغيرها وكبيرها، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[1].

فكلّ شيء يوزن بهذا الميزان، سواء أكان كبيرًا أم صغيرًا، حتى وإن كان بمقدار حبّة خردل فسوف يأتي بها اللّه تعالى، وقيل إنّ ما يوزن هو صحيفة الأعمال، وإنّ الميزان هم الأنبياء والأوصياء[2].

وقد ورد في الروايات أيضًا أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو ميزان الأعمال، لذلك نقول في الزيارة المطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام: «**السلام على ميزان الأعمال**»[3]، وهو قسيم الجنّة والنار، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر عندما سئل: «**لمَ صار أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب قسيم الجنّة والنار؟**»، قال: «**لأنّ حبّه إيمان وبغضه كفر، وإنّما خلقت الجنّة لأهل الإيمان وخلقت النار لأهل الكفر فهو عليه السلام قسيم الجنّة والنار**»[4].

(1) سورة الأنبياء، الآية 47.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص419.

(3) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج97، ص287. الشيخ عبّاس القمّيّ، مفاتيح الجنان، تعريب السيّد محمّد رضا النوريّ النجفيّ، مكتبة العزيزيّ، إيران - قم، 1385ش - 2006م، ط3، ص521، الزيارة المطلقة.

(4) الصدوق، الشيخ محمّد بن علّي بن بابويه، علل الشرائع، تقديم السيّد محمّد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدريّة، العراق - النجف الأشرف، 1385هـ - 1966م، لا.ط، ج1، ص162.

المفاهيم الرئيسة

1. إنّ لبحث المعاد أثرًا كبيرًا على صعيد الحياة الدنيويّة والأخرويّة، فإنّه يوجد محفّزًا للاهتمام والعمل.
2. إنّ ثلث الآيات القرآنيّة تتحدّث عن المعاد وخصوصيّاته، وما يقرب من 1200 آية.
3. للمعاد أسماءٌ عدّة في القرآن الكريم، منها: «**قيام الساعة، إحياء الموتى، البعث، الحشر، القيامة...**».
4. هنالك طرق كثيرة في القرآن الكريم يمكن إثبات المعاد من خلالها منها:
   أ. آيات الخلق الأوّل.
   ب. آيات القدرة الإلهيّة المطلقة.
   ج. آيات إحياء الموتى.
   د. آيات تطوّر مراحل خلق الإنسان.
5. هذا بالإضافة إلى نماذج واقعيّة كثيرة ذكرت في القرآن الكريم لأناس ماتوا ورجعوا؛ «**كالنبيّ عزير** عليه السلام **وأصحاب الكهف**».

الدرس التاسع

حقيقة الموت

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعرف حقيقة الموت والبرزخ.

2 . يدرك أحوال المؤمنين والفاسقين عند الموت.

3 . يعدّد خصوصيّات عالم البرزخ.

تمهيد

إنّ الله سبحانه وتعالى جعل الموت سنّة إلهيّة تجري في كلّ المخلوقات، وقهر بهذه السنّة كلّ المخلوقات، فهو الحيّ القيّوم الذي لا يموت، والموت لا يعني الفناء والاندثار، والتحوّل إلى سراب، بل الموت عبارة عن انتقال من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، ومع هذا تجد الكثير من الناس يفرّون منه هربًا وفزعًا لعدم فهمهم لحقيقة هذا الأمر، أو لخوفهم من سوء وعاقبة أعمالهم التي عملوا بها في الدنيا. ثمّ بعد الموت يأتي على الإنسان عالم البرزخ الذي يمهّد للإنسان الانتقال إلى يوم القيامة.

الموت حقيقة لا مفرَّ منها

إنّ الموت هو حقيقة لا مفرَّ منها ولا مهرب، وكلّ إنسان يُذعن بأنّ مصيره إلى التراب في آخر المطاف، ولكنّ كثيرًا من الناس يتعاملون مع الموت معاملة الشكّ، مع أنّهم لا يرتابون فيه. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**ما خلق اللّه عزَّ وجلَّ يقينًا لا شكّ فيه أشبه بشكّ لا يقين فيه من الموت**»[1]. وتضافرت الآيات الكريمة التي تتحدّث عن حتميّة الموت، وأنّ اللّه تعالى هو الواحد الباقي. يقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[2]، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[3].

لكلّ أمّة ونفس جعل اللّه سبحانه وتعالى أجلًا، وإذا جاء الأجل لا يمكن الهروب

(1) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، إيران- قم، لا.ت، ط2، ج1، ص195.

(2) سورة آل عمران، الآية 185.

(3) سورة الزمر، الآية 30.

منه. يقول تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[1]. ويحدّثنا القرآن الكريم عن أولئك الذين يفرُّون من الموت ماذا أصابهم، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾[2].

حقيقة الموت

الموت ليس زوالًا وانعدامًا للإنسان، بل هو الحياة الحقيقيّة؛ لأنّ الإنسان خلق في هذه الدنيا ليبقى ويتكامل لا لينعدم ويزول. يقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما خلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء وإنّما تنقلون من دار إلى دار**»[3]. إنّما هي الأرواح باقية حيّة في عالم آخر وفي دار غير هذه الدار، وإنّ كلّ ما حصل بالموت هو أنّ الأرواح فارقت الأبدان، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[4]. وقد سُئل الإمام الحسن عليه السلام: «**ما الموت الذي جهلوه؟**» فقال عليه السلام: «**أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، وأعظم ثبور يرد على الكافرين إذا نقلوا عن جنّتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفد**»[5]. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر والموت جسر هؤلاء إلى جنّاتهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم**»[6].

لماذا الخوف من الموت؟

إنّ للموت صورةً مريعةً عند الناس عامّة، وإنّ لهذا الخوف منشأً ولم يأتِ من فراغ وبلا سبب. ويمكن تلخيص أسباب الخوف بالأمور الآتية:

الجهل بحقيقة الموت وما ينتظر الإنسان بعد الموت: فلو عرف الإنسان حقيقة الموت،

---

(1) سورة ق، الآية 19.

(2) سورة البقرة، الآية 243.

(3) محمّد صالح المازندرانيّ، شرح أصول الكافي، تعليقات الميرزا أبو الحسن الشعرانيّ، ضبط وتصحيح السيّد علي عاشور، دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1421هـ - 2000م، ط1، ج6، ص70.

(4) سورة آل عمران، الآية 169.

(5) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج6، ص154.

(6) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ بن بابويه، معاني الأخبار، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، إيران - قم، 1379هـ - 1338 ش، لا.ط، ص289.

وأنّه ليس انعدامًا، وإنّما هو قنطرة تعبر بنا من عالم إلى عالم، وأنّ الحياة الحقيقيّة هي في الآخرة، لو علم الإنسان ذلك وكان من المؤمنين المطيعين، فبالطبع ستتغيّر نظرته ورؤيته حول الموت؛ لأنّ الموت هو مخلوق من قبل اللّه تعالى، كما أنّ الحياة مخلوقة كما عبّر اللّه تعالى عنها، وهذا التعبير يعني الإيجاد وليس الانعدام. يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1].

ارتكاب الذنوب في عالم الدنيا: فإنّ الإنسان إذا قصّر في واجباته، وارتكب الذنوب والآثام، ولم يطهّر نفسه، فإنّه حتمًا سيخاف من الموت وربّما سيكرهه أيضًا؛ لأنّه يخاف أن ينتقل من نعيم إلى جحيم. يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]. أمّا عن حال المؤمنين فيقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

عمران الدنيا ونسيان الآخرة: إنّ الغفلة عن الحياة الآخرة، والانشداد الدائم إلى عالم الدنيا والعمل لها من خلال التكاثر والتفاخر بالمال والبنين، سيؤدّي مع الوقت إلى كراهة النفس لترك ما عمّرته في هذا العالم، والانتقال إلى عالم آخر لم يكن حاضرًا في حسابها، ولم تعمل لأجله يومًا. يقول تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾[5]. ورُوِيَ أنّ رجلًا جاء إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «**يا رسول اللّه ما لي لا أحبّ الموت؟**»، فقال له: «**ألك مال؟**»، قال: «**نعم**»، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**فقدّمته؟**»، قال: «**لا**»، قال: «**فمن ثمّ لا تحبّ الموت**»[6]. وقيل للإمام الحسن عليه السلام: «**يا ابن رسول الله ما بالنا نكره الموت ولا نحبّه؟**»، قال:

(1) سورة الملك، الآية 2.
(2) سورة النحل، الآية 28.
(3) سورة النحل، الآية 32.
(4) سورة الأنفال، الآية 28.
(5) سورة التكاثر، الآيتان 1 ـ 2.
(6) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ بن بابويه، الخصال، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، إيران - قم، 1403هـ - 1362ش، لا.ط، ص13.

فقال الحسن عليه السلام: «**لأنّكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم وأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب**»[1].

قبض الأرواح

إنّ الآيات الواردة في هذا المجال على ثلاثة أقسام:

الأول: إنّ اللّه تعالى هو الذي يقبض الأرواح: يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾[2].

الثاني: إنّ الذي يتولّى ذلك الملائكة، لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[4].

الثالث: إنّ الذي يتولّى ذلك ملك الموت. قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[5].

ويشرح الإمام الصادق عليه السلام هذه الآيات المباركة، عندما سُئِل عنها، قال عليه السلام: «**إنّ اللّه تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعوانًا من الملائكة يقبضون الأرواح، بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الأنس يبعثهم في حوائجه، فتتوفّاهم الملائكة ويتوفّاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو ويتوفّاها اللّه عزَّ وجلَّ من ملك الموت**»[6].

حال المؤمنين والظالمين عند سكرات الموت

إنّ حال المؤمنين لا يشبه حال الظالمين عند حلول الموت وسكراته؛ لأنّ نتائج أعمالهم واعتقاداتهم سوف تظهر تدريجيًّا في هذه اللحظة، وتبدأ الحسرة والندامة، أو الفرح والسرور.

---

(1) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، مصدر سابق، ص 390.
(2) سورة الزمر، الآية 42.
(3) سورة الأنعام، الآية 61.
(4) سورة النحل، الآية 32.
(5) سورة السجدة، الآية 11.
(6) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، ج1، ص136.

1. حال الظالمين عند الموت:

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾[1].

توضح هذه الآية المباركة حال الظالمين كيف أنّهم حتّى عند الموت لم يكونوا خاضعين للّه تعالى، وكذبوا ونفوا أنّهم كانوا يعملون السوء، لذا أتى في ذيل الآية الكريمة: ﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ﴾، ثمّ أمر بهم إلى النار. يقول تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾[2].

فالآية تبيِّن حالهم عند الموت بأنّ الملائكة تستقبلهم بالضرب على وجوههم وأدبارهم.

2. حال المؤمنين عند الموت:

في قبال حال الظالمين، يأتي المشهد الآخر وهو حال المؤمنين الذين يستقبلون الموت بكلّ اطمئنان، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[3]، وعندئذٍ ينادي منادٍ من قبل ربّ العزة من بطنان العرش يقول: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾[4][5].

---

(1) سورة النحل، الآيتان 28 ـ 29.
(2) سورة محمد، الآية 27.
(3) سورة النحل، الآية 32.
(4) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج6، ص164.
(5) سورة الفجر، الآيتان 27 ـ 30.

المفاهيم الرئيسة

1. الموت حقيقة لا مفرَّ منها ولا مهرب، وكلّ إنسان يذعن أنّ مسيره إلى التراب، ولكنّ كثيرًا من الناس يتعاملون معه معاملة الريب والشكّ.
2. الموت ليس زوالًا وانعدامًا للإنسان، بل هو الحياة الحقيقيّة؛ لأنّ الإنسان خلق في هذه الدنيا ليبقى ويتكامل، لا لينعدم ويزول.
3. الآيات الواردة حول من يقبض الأرواح على ثلاثة أقسام:
   أ. إنّ اللّه تعالى هو الذي يقبض الأرواح.
   ب.الذي يتولّى ذلك الملائكة.
   ج. إنّ الذي يتولّى ذلك ملك الموت.
4. إنّ للموت صورةً مريعةً عند الناس عامّة، وإنّ لذلك أسبابه ومناشئه.

الدرس العاشر:

عالم البرزخ

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى معنى البرزخ وحقيقته.

2 . يبيّن حقيقة البرزخ في الآيات والروايات.

3 . يشرح أهمّ خصائص عالم البرزخ.

معنى البرزخ

البرزخ لغة: هو الحائل بين شيئين أو مرحلتين، ففي الآية الشريفة: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[1].

البرزخ اصطلاحًا: المراد منه هنا هو العالم الذي يتوسّط بين الدنيا وعالم الآخرة، أي إنّ الروح بعد انفصالها عن الجسم وقبل عودتها إليه يوم القيامة، فإنّها سوف تبقى في عالم يتوسّط العالمين يسمّى عالم البرزخ.

البرزخ في القرآن الكريم

وردت في القرآن الكريم آيات عدّة تتحدّث عن عالم البرزخ، وتعرَّضت هذه الآيات إلى ذكر بعض الخصوصيّات، وهي:

الآية الأولى: يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2].

ففي هذه الآية المباركة، يذكر اللّه تعالى حال الكفّار والظلمة بعد الموت مباشرة، وبداية دخولهم في عالم البرزخ وقد طلبوا العودة إلى دار الدنيا للعمل الصالح؛ حيث أدركوا حجم الخسارة التي وقعوا بها. كما يشير إلى ذلك أمير المؤمنين بقوله: «**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**»[3]. ولكن يأتي الجواب من اللّه تعالى، بعدم العودة وبداية العالم الجديد الذي هو عالم البرزخ، ويبقون فيه إلى يوم القيامة. وجاء في الحديث عن الإمام الصادق:

---

(1) سورة الرحمن، الآية 20.

(2) سورة المؤمنون، الآيتان 99 ـ 100.

(3) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج4، ص43.

«**أتخوَّف عليكم في البرزخ**». فسأله الراوي: «**ما البرزخ؟**»، فقال عليه السلام: «**القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة**»[1].

الآية الثانية: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[2].

الآية الثالثة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3].

هاتان الآيتان تتحدّثان عن الشهداء والذين يُقتلون في سبيل اللّه تعالى، وعن بعض التفاصيل في حياتهم من الفرح والاستبشار والحياة والرزق، وعدم الخوف والحزن، وهما تدلاّن على عالم البرزخ بالبيان التالي.

إنّ الآيتين تتحدّثان عن الحياة بعد الموت، فأين هي هذه الحياة؟ بالطبع، ليست في الدنيا؛ لأنّ الكلام بعد الموت، وليست في الآخرة أي يوم القيامة لأنّها لم تأت بعد، فالنتيجة إنّهم أحياءٌ في عالم متوسّط بين الدنيا والآخرة، وهذه الحياة متناسبة مع تلك النشأة وآثارها، وهذا ما سمّاه القرآن وأهل البيت عليهم السلام بالبرزخ.

ونلاحظ في هاتين الآيتين أنّ اللّه تعالى يتكلّم عن حياة الشهداء، ولكن هذا لا ينفي حياة غيرهم، بل لعلّ اللّه تعالى خصَّص ذكر الشهداء إمّا لمدخليّة أسباب النزول، حيث نزلتا بحقّ شهداء بدر وأحد، وإمّا لأنّ الآيتين تبيّنان فضل الشهداء وكيفيّة حياتهم البرزخيّة من النعيم والرزق الكريم الذي اختصّوا به وميّزوا به عن سواهم من الأموات.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[4].

هذه الآية المباركة إشارة واضحة إلى عالم البرزخ، حيث تتحدّث عن آل فرعون كيف يتعذّبون في عالم البرزخ، فيعرضون على النار صباحًا ومساءً، ويدلّ على ذلك ذيل الآية

(1) السيد هاشم البحرانيّ، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة / مؤسسة البعثة، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ص120.

(2) سورة البقرة، الآية 154.

(3) سورة آل عمران، الآيتان 169 ـ 170.

(4) سورة غافر، الآية 46.

التي تحدّثت عن دخولهم في النار عند قيام الساعة المعبَّر عنه بأشدّ العذاب، وصار يظهر الفرق بين العالمين والعذابين حيث إنّهم في عالم البرزخ يعرضون عرضًا على النار أي لا يدخلونها، فيعذّبون فيها عن بعد ومن وهجها كما لو مرَّ إنسان بجانب نار ودنا منها، فإنه قد يحرق نفسه من وهجها، وبالمقابل لو مرَّ إنسان بجانب بستان مليء بالأشجار، فإنّه من نسيمه يشعر بالانتعاش حتّى لو لم يدخله، أمّا يوم القيامة فإنّهم يدخلون إلى النار ويلقاهم أشدّ العذاب.

وقد رُوِيَ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤيّد هذا المعنى: «**إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنّة فمن الجنّة، وإن كان من أهل النار فمن النار، يقال هذا مقعد حين يبعثك اللّه يوم القيامة**»[1]. وقال عليه السلام: «**القبر إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران**»[2].

الآية الخامسة: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾[3].

الآية المباركة تتحدّث عن مؤمن آل يس الذي ساند ودعم رسل السيّد المسيح عليه السلام، والذين بعثوا إلى مدينة إنطاكية، ودعا الناس ونصحهم باتّباع الرسل، لكنّ هؤلاء القوم لم يكترثوا به وقتلوه، وبعد قتله قيل له ادخل الجنّة قال يا ليت قومي يعلمون.

هذه الآية تدلّ على عالم البرزخ بالبيان الآتي: إنّ الجنّة عرضت عليه مباشرة بعد قتله، بدليل أنّ قومه ما زالوا أحياءً، وتمنّى لهم أن يعلموا بما وصل إليه. وبالطبع، إنّ هذه الجنّة هي ليست جنّة القيامة؛ لأنّ القيامة لم يأت موعدها بعد، وليست هذه الجنّة في الدنيا قطعًا لذهابه بموته عن هذه الدنيا، فلا بدّ أن يكون هنالك عالمٌ آخر، فينحصر ذلك في عالم البرزخ. وهذه الآية تشير بشكل واضح إلى نعيم القبر والبرزخ بالنسبة إلى المؤمنين.

نكتفي بهذا المقدار من ذكر الآيات التي يمكن إثبات عالم البرزخ من خلالها، ولكي يكتمل البحث نشير إلى بعض الروايات الواردة في هذا المجال.

---

(1) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج6، ص276.
(2) المصدر نفسه.
(3) سورة يس، الآيتان 26 - 27.

البرزخ في الأحاديث الشريفة

إنّ الروايات التي تتحدّث عن عالم البرزخ كثيرة. وفي الحديث المشهور عن النبيّ ﷺ: أنّه عندما ألقوا بأجساد قتلى مشركي مكّة الذين قتلوا في غزوة بدر في أحد الآبار وقف النبيّ على البئر وقال: «**يا أهل القليب**[1] **هل وجدتم ما وعد ربّكم حقًّا؟ فإنّي وجدت ما وعدني ربّي حقًّا**»، قالوا: «**يا رسول اللّه هل يسمعون؟**»، قال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن اليوم لا يجيبون**»[2].

وذكر أمير المؤمنين في نهج البلاغة أنّه عندما كان عائدًا من حرب صفّين، وقف على مقبرة تقع خلف باب الكوفة، وتحدّث إلى الأموات بهذه الكلمات: «**أنتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق، أمّا الدور فقد سكنت وأمّا الأزواج فقد نكحت، وأمّا الأموال فقد قسمت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟**»، فالتفت إلى أصحابه وقال: «**أمَّا لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أنّ خير الزاد التقوى**»[3].

ورُوِيَ عن الإمام الصادق أنّه عندما سُئل عن أرواح المؤمنين أجاب: «**في حجرات في الجنّة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها، ويقولون ربّنا أقم الساعة لنا وأنجز لنا ما وعدتنا**»[4].

خصوصيّات عالم البرزخ

القرآن الكريم لم يتعرّض إلّا لبعض حالات عالم البرزخ؛ كالحياة، والفرح، والاستبشار، وعدم الخوف بالنسبة إلى المؤمنين مقابل العذاب الذي يعيشه الظالمون، والعرض على النار في الصباح والمساء. أمّا الخصوصيّات التفصيليّة لعالم البرزخ، فإنّ القرآن الكريم لم يتعرّض لذكرها، بل تعرَّضت لها الروايات عن النبيّ وأهل بيته عليهم السلام. نذكر بعضًا منها:

1. السؤال في القبر:

عندما يوضع الميت في القبر، يأتيه الملكان فيسألانه عن ربّه ودينه ونبيّه وأئمّته وكتابه

(1) القليب: هو البئر والمراد منه بئر بدر.
(2) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج6، ص254.
(3) نهج البلاغة، مصدر سابق، الكلمات القصار، ص 130.
(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج3، ص244.

وقبلته، وكيف قضى عمره وأنفق ماله وغير ذلك. ورُوِيَ عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «**ألا وإنّ أوّل ما يسألانك عن ربّك الذي كنت تعبده، وعن نبيّك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولّاه، ثمّ عن عمرك فيما أفنيته ومالك من أين اكتسبته وفيما أتلفته...**»[1].

2. **ضغطة القبر:**

ورد ذكر ضغطة القبر في الأحاديث كثيرًا، وهي تكون على البعض أشدّ منها على بعضها الآخر، وتعتبر كفّارة للذنوب. قال عندما دفن الصحابيّ سعد بن معاذ: «**إنّه ليس من مؤمن إلّا وله ضُمّة**»، ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: «**ضغطة القبر للمؤمن كفّارة لما كان منه من تضييع النعم**»[2]. وإنّ الذي لا يدفن في الأرض يضغطه الهواء كالمصلوب أو الماء كالغريق.

في رواية عن الإمام الصادق: «**إنّ ربّ الأرض هو ربّ الهواء فيوحي اللّه عزّ وجلّ إلى الهواء فيضغطه ضغطة أشدّ من ضغطة القبر**»[3].

3. **التزاور:**

روي عن الإمام الصادق: «**إنّ المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحبّ ويستر عنه ما يكره وإنّ الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحبّ**»[4].

4. **انتفاع الأرواح بأعمال الآخرين:**

توجد روايات كثيرة تدلّ على أنّ عمل الخير عن أرواح الأموات تنفعهم في عالمهم البرزخيّ، وتصل إليهم على شكل هدايا. وورد في الرواية أنّ المسيح مرَّ على أحد القبور، فوجد صاحبه في العذاب، وعندما مرَّ في العام القابل وجده في النعيم. فعندما سأل اللّه تعالى عن ذلك: «**خوطب بأنّ السبب هو فعل خيرٍ أدّاه ابن مؤمن له...**»[5].

(1) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج6، ص223.
(2) المصدر نفسه، ج6، ص 271.
(3) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ص266.
(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج3، ص230.
(5) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج6، ص220.

المفاهيم الرئيسة

1. البرزخ لغة هو الحائل بين شيئين أو مرحلتين، ففي الآية الشريفة: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾.
2. وردت في القرآن الكريم آياتٌ عدّة تتحدّث عن عالم البرزخ، وتعرّضت إلى ذكر بعض الخصوصيّات كحال المؤمنين وحال الكافرين وأحوال الشهداء.
3. عن النبي ﷺ: «القبر إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار».
4. يوجد أحاديث كثيرة تحدّثت عن أحوال البرزخ وعقباته وجنّاته، وحال المؤمنين وانتفاعهم بأعمال الآخرين، والتزاور بينهم، وكذلك حال الكافرين وسؤالهم، وضغطة القبر وغير ذلك.

المحور الثاني

الأحكام الشرعيّة

الدرس الحادي عشر

أحكام التقليد

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يبيّن شروط التكليف الشرعي.

2 . يعرّف التقليد، ويعدّد شروط مرجع التقليد.

3 . يشرح كيفية إثبات الاجتهاد والأعلميّة.

مدخل

إنّ من عادة عقلاء الناس جميعاً أن يرجعوا إلى أصحاب الاختصاص الموثوق بهم في مختلف أمور حياتهم، فالمريض يرجع إلى الطبيب المتخصّص، ومن أراد أن يبني منزلاً يرجع إلى المهندس... وهكذا. فالجاهل بأيّ اختصاص يرجع إلى العالم به. وهذا الأمر بنفسه يجري في الأمور الدينية أيضاً، فنرى أنّ الجاهل بالأمور الدينية ليصحّح رؤيته وأفكاره، والجاهل بالأحكام الشرعية يرجع إلى العالم بها؛ ليقتدي به ويعمل وفق فتواه، ونفس رجوع العامّيّ إلى العالم ليأخذ عنه يُعرف بالتقليد. وكان هدف الإنسان من أصل ذلك الرجوعِ هو تأمين الحياة السعيدة، والبعيدة عن الخطأ والالتباس والاشتباه، فيما يصبو إلى العمل به.

فكما أنّ الإنسان يحتاج إلى من يرشده إلى تأمين السعادة الدنيوية الحقيقية، فكذلك يرمو إلى السعي إلى من يرشده إلى السعادة الأخروية الحقيقية، وهذا ما بيّنه الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عجبتُ لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء، كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار»[1].

والباب الوحيد الذي يمكن للإنسان أن يدخله ليصل إلى مبتغاه هو في معرفة أصول الدين وفهمها، والالتزام العملي بالفروع من خلال التقليد؛ لأنّ التقليد هو المفتاح الأساس لمعرفة كل الأحكام الشرعية، والعمل بها، فليس بمقدور كل إنسان أن يترك حياته ويذهب للتفقه في الأحكام الفقهية، ويتفرغ لذلك، بل مَن لم يكن قادراً- كما هو الغالب في عامة

(1) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة - مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، إيران - قم، 1417هـ ط1، ص247.

الناس- يرجع في ذلك إلى أهل الاختصاص والمعرفة، وهم العلماء المجتهدون في أحكام الشريعة.

المسائل التي يجب تعلّمها

1. يجب تعلّم أجزاء العبادات الواجبة على المكلَّفة، وشروطها، وموانعها، ومقدّماتها.
2. يجب تعلّم مسائل الشّكّ والسهو وغيرها ممّا هو محلّ الابتلاء غالباً، إلّا إذا اطمأنّت من نفسها بعدم الابتلاء بها.

شروط التكليف

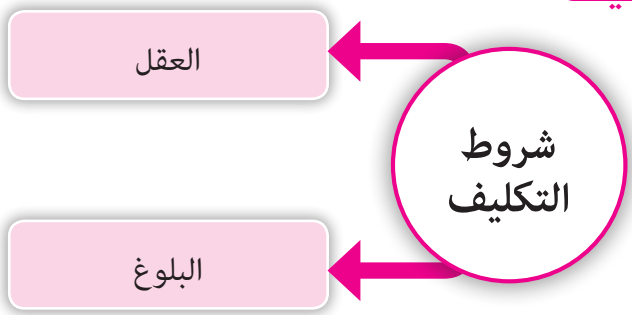

يجب على كلّ فتاة اجتمعت فيها شروط التكليف أن تلتزم بأحكام الله تعالى، ومع فقدها أو فقد واحد منها لا تكون مكلّفة بالأحكام الشرعيّة. وهذه الشروط هي:

1. العقل: فلا تكليف على المجنونة إذا كان جنونها مطبقاً، وكذا على المجنونة إدوارياً[1] في حال الجنون. أمّا في حال الإفاقة، فيجب عليها الالتزام بالأحكام الشرعيّة (في أوقات إفاقتها).
2. البلوغ: فلا تكليف على الصغيرة. ويتحقّق البلوغ بتحقُّق إحدى العلامات الآتية:
3. نبات الشعر الخشن على العانة.
4. خروج المنيّ بالاحتلام أو غيره[2].

(1) وهي التي يذهب عقلها في بعض الأوقات، فيكون لها دور جنون ودور عقل.
(2) في يقظة كان أو في منام، في الحلال كان أو في الحرام.

5. إكمال تسع سنوات (9) قمريّة[1].

ملاحظة: الدم الذي تراه الفتاة قبل إتمام التاسعة من عمرها ليس من علامات البلوغ، كما أنَّه ليس بحيض.

التقليد وشروط المرجع

التقليد هو العمل استناداً إلى فتوى فقيه معيَّن.

وهذا الفقيه هو المجتهد الجامع لشروط الإفتاء والمرجعية. ومن هذه الشروط:

1. الاجتهاد: بأن يكون قادراً على استنباط (استخراج) الحكم الشرعيّ من مصادره[2]، مع العلم والمعرفة بأوضاع أهل زمانه الّتي لها مدخليّة في الحكم الشرعيّ.
2. الذكورة: فلا يصحّ تقليد المرأة.
3. العدالة: وهي الحالة النفسانيّة الباعثة دوماً على ملازمة التقوى، المانعة من ارتكاب المحرّمات الشرعيّة. ويكفي في إحرازها حُسْنُ الظاهر الكاشفُ عنها.
4. ويشترط في مرجع التقليد مضافاً إلى ذلك: التسلّطُ على النفس الطاغية، وعدمُ الحرص على الدنيا على الأحوط وجوباً.
5. الحياة: فلا يصحّ تقليد المجتهد الميّت ابتداءً على الأحوط وجوباً.

نعم يجوز البقاء على تقليد الميت الجامع للشروط إذا كانت تقلّده قبل وفاته، إلّا إذا كان الحيّ أعلم، فالأحوط وجوباً العدول إليه. وإذا عدلت المكلّفة بعد موت مرجعها إلى أعلم الأحياء، فلا يجوز على الأحوط وجوباً لها الرجوع مجدّداً إلى الميّت.

6. الأعلميّة: يجب تقليد المجتهد الأعلم على الأحوط وجوباً، وهو الأقدر على استنباط الأحكام الشرعيّة من أدلّتها.

(1) أي 8 سنوات و267 يوماً ميلادياً تقريباً.

(2) مصادر الحكم هي الأدلّة الشرعية، وعمدتها القرآن الكريم والسنّة الشريفة.

شروط المرجع

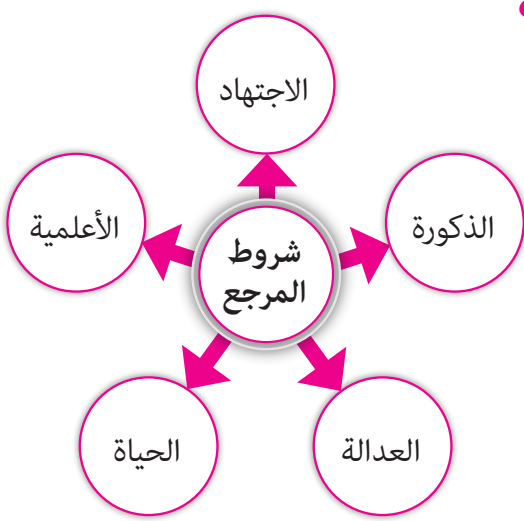

تقليد الميّت

1. لا يجوز تقليد الميّت ابتداءً على الأحوط وجوباً، نعم يجوز البقاء على تقليده بعد تحقّقه بالعمل ببعض المسائل مطلقاً، فيجوز تقليده في كلّ المسائل، ولو في المسائل الّتي لم يعمل بها، ولكن لا يجوز البقاء على تقليد الميّت إلّا بعد الاعتماد على فتوى الحيّ في جواز البقاء.
2. إذا عملت المكلفة عملاً على طبق فتوى مَن تقلّده، فمات ذلك المجتهد، فقلّدت من يقول ببطلانه، فيجوز لها البناء على صحّة الأعمال السابقة.

إثبات الاجتهاد والأعلمية

يثبت الاجتهاد، والأعلميّة أيضاً، بإحدى الوسائل الآتية:

1. الاختبار، إذا كانت المكلّفة من أهل الخبرة، وقادرة على ذلك.
2. شهادة عدلين من أهل الخبرة.
3. الشياع المفيد للعلم أو الاطمئنان[1].

(1) الاطمئنان هو الاعتقاد الراسخ المتاخم للعلم الذي يوجب سكون النفس، وقد يسمّى علمًا عرفاً. راجع: استفتاء خطّي للإمام الخامنئي دَامَ ظِلُّهُ، رقم 1507.

طرق ثبوت الفتوى

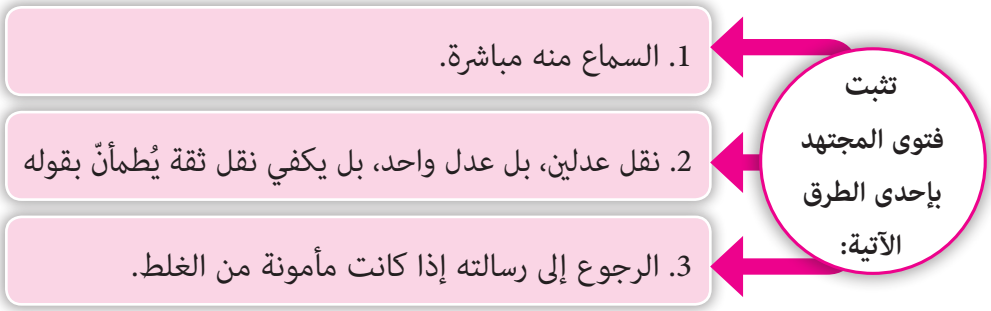

الدرس الثاني عشر

أحكام التخلّي

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يفرّق بين أنواع المياه شرعاً.

2 . يفصّل أحكام تطهير أقسام الماء المختلفة.

3 . يعرف أحكام التخلّي والاستنجاء.

أنواع المياه[1]

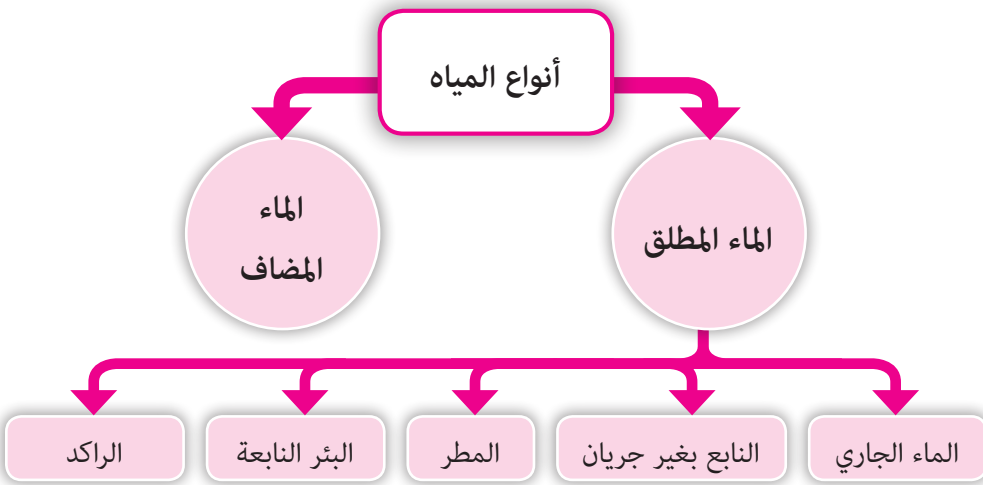

الماء نوعان: مطلق ومضاف.

1. الماء المطلق: هو ما يصحُّ إطلاق لفظ الماء عليه من دون إضافته إلى شيء، كمياه الأنهار والبحار.
2. الماء المضاف: هو المعتصِر من الأجسام، كماء الرمّان، أو الممتزج بغيره ممّا يُخرِجه عن صدق اسم الماء، كماء السكّر والملح.

أقسام الماء المطلق

1. الجاري (وهو النابع السائل).
2. النابع بغير جريان.

(1) سيأتي كيفية التطهير بالماء في درس المطهِّرات.

3. المطر.
4. البئر: وهي البئر النابعة، وليست بئر الجمع.
5. الراكد (الواقف): وينقسم إلى نوعين:

أ- كُرّ، وهو ما بلغ وزنه 377،419 كلغ أو أكثر. وبحسب المساحة هو ما بلغ ثلاثة وأربعين شبراً إلّا ثمن شبر، الطول ضرب العرض ضرب الارتفاع.

ب- غير كُرّ، وهو ما كان أقلّ من ذلك، ويُسمّى بالماء القليل.

حكم الماء المضاف

1. الماء المضاف طاهر في نفسه، غير مطهّر لغيره، لا من الحدث ولا من الخبث.
2. لو لاقى الماء المضاف نجساً يتنجّس جميعه، إلّا إذا كان جارياً من العالي إلى السافل ولو بنحو الانحدار مع الدفع بقوّة، فإنّ النجاسة تختصّ بموضع الملاقاة.
3. إذا تنجّس الماء المضاف لا يمكن تطهيره مع بقائه مضافاً.

حكم الماء المطلق

1. الماء المطلق طاهر في نفسه ومطهّر لغيره من الحدث والخبث.
2. يتنجّس الماء المطلق بجميع أقسامه فيما إذا تغيّر بسبب ملاقاة النجاسة أحدُ أوصافه الثلاثة، وهي: اللون والطعم والرائحة.
3. المعتبَر تأثّر الماء بأوصاف النجاسة لا المتنجّس، فلو تنجّس القميص بدم قليل، ثمّ وُضع في ماء كُرّ ونحوه، فتغيّر الماء بسبب لون القميص لا الدم، فلا يتنجّس الماء طالما بقي على إطلاقه.
4. الماء الجاري والراكد المتّصل بالجاري والراكد الكُرّ وماءِ المطر حالَ نزوله من السماء لا ينجُس بالملاقاة إلّا بالتغيّر السابق.
5. الماء القليل غير المتَّصل بمادّة ينجُس بمجرّد ملاقاة النجاسة، وإن لم تتغيّر أوصافه.
6. المطلق الكثير المتنجِّس يطهر بالامتزاج بالمعتصم بعد زوال تغيّره.
7. الماء المطلق القليل المتنجِّس يطهر بالامتزاج بالماء المعتصم (كالجاري والكُرّ).

أحكام التخلّي

1. يجب على المرأة حالَ التخلّي، وفي سائر الأحوال، ستر العورة عن الناظر المحترَم، رجلاً كان الناظر أو امرأة، حتّى عن الناظر المجنون والطفل المميِّزَين.
2. العورة في المرأة أثناء التخلّي (بالنسبة للرجل من محارمها وللمرأة) هي: القبل والدبر، والأحوط وجوباً الاجتناب عن الشعر النابت في أطراف العورة، ناظراً ومنظوراً.

يحرم حالَ التخلّي استدبارُ القبلة واستقبالُها، والمعيار هو الاستقبال والاستدبار العرفيّان بمقاديم البدن (الصدر والبطن).

أحكام الاستنجاء

1. الاستنجاء: هو تطهير مخرج البول والغائط.
2. أحكامه:

أ. لا يطهر مخرج البول إلا بالماء.

ب. يكفي في طهارة مخرج البول الغَسلُ بالماء الكثير مرّة واحدة بعد زوال عين النجاسة، أو بالماء القليل مرّتين على الأحوط وجوباً، وفي مخرج الغائط يجب الغسل حتّى زوال عين النجاسة وآثارها[1].

3. يمكن غسل موضع الغائط بالماء حتى ينقى، ويمكن مسحه بالأحجار أو الخرق ونحوها من الأجسام القالعة للنجاسة، والغسلُ أفضل، والجمع بين الغسل والمسح أكمل، هذا إذا لم تتعدَّ النجاسةُ الموضع.
4. يتعيّن الغَسل بالماء في مخرج الغائط، ولا يجزي المسح في حالتين:

أ. إذا تعدَّى الغائط المخرجَ الطبيعي.

ب. إذا وصل إلى المحلّ نجاسة من الخارج، أو خرج مع الغائط نجاسة أخرى، كالدم مثلاً.

(1) المقصود بالآثار: الأجزاء الصغار التي لا ترى، والتي لا تزول عادة إلا بالماء (وليس منها اللون والرائحة).

5. يشترط في الجسم القالع للنجاسة (حجراً أو غيره) أمران:

أ. أن يكون طاهراً.

ب. أن يكون جافّاً.

6. يحرم الاستنجاء بالأجسام المحترَمة في الشريعة المقدَّسة (كالخبز، والأحجار الكريمة، والورق المكتوب عليه أسماء الجلالة وآيات قرآنيّة).

7. يحرم الاستنجاء بالرَّوث[1] والعظم على الأحوط.

- لو استنجى المكلّف بالأجسام المحترمة، أو بالعظم والروث، فالأحوط وجوباً عدم البناء على حصول الطهارة؛ فيلزم عليه التطهير بجسم آخر.

8. يجب المسح حتّى يحصل النقاء (نظافة المخرج)، ويجب أن يكون المسح بثلاث قطعات من القماش أو الأحجار، أو بثلاث جهات من القطعة الواحدة. وإن لم تكفِ القطع الثلاث يمسح بقطع أخرى إلى أن يحصل النقاء.

(1) الروث: الغائط الطاهر من الحيوانات (في معاجم اللغة: الروث هو رجيع الحيوان ذي الحافر، كالبقرة والفرس... وقد يستعمل في رجيع كلّ الحيوانات).

الدرس الثالث عشر

النجاسات وأحكامها

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعدّد النجاسات وشروطها.

2 . يستذكر الأحكام الشرعية المترتّبة على النجاسات.

3 . يشرح النجاسات المعفوّ عنها في الصلاة.

تمهيد

حدّدت الشريعة الإسلاميّة النجاسات

الأول والثاني: البول والغائط:

1. البول والغائط من الحيوان ذي النفس السائلة وغير المأكول اللحم[1] نجسان (انظر التفصيل مع الأمثلة في الجدول).
2. غائط الحيوان المأكول اللحم طاهر، وكذلك بوله.
3. فضلات الطيور (البول والغائط) طاهرة، وإن كانت غير مأكولة اللحم، كفضلات الدجاج والغراب والصقر وغيرها.

البول والغائط				
مصدرهما	إنسان	حيوان مأكول اللحم ذو نفس سائلة	حيوان غير مأكول اللحم ذو نفس سائلة	حيوان ليس له نفس سائلة[2] (مأكول اللحم أو غير مأكول اللحم)
مثاله	الرجل - الطفل	الغنم - الدجاج	القطة - الجرذ	السمك - الصرصار
حكمه	نجس	طاهر	نجس	طاهر

(1) محرّم أكل لحمه.

(2) المقصود بالحيوان «ذي النفس السائلة» الحيوان الّذي يخرج منه الدم عند ذبحه بدفق وقوّة، ويسمّى أيضاً (ذا الدم الحارّ)، كالغنم والبقر والدجاج. أمّا الحيوان «غير ذي النفس السائلة» فهو الّذي لا يخرج دمه بدفق عند ذبحه، ويسمّى (ذا الدم البارد)، كالسمك والحيّة والوزغ.

الثالث والرابع والخامس: الدم والمنيّ والميتة:

1. هذه الأمور نجسة إذا كانت من الإنسان، أو من الحيوانات ذات النفس السائلة، نعم نجاسة المنيّ من الحيوان ذي النفس السائلة مبنيّة على الاحتياط، سواء أكان الحيوان مأكول اللحم أم لا. (انظر التفصيل مع الأمثلة في الجدول).
2. لو أُدخلت إبرة في الشريان ولاقت الدم، ثم أُخرجت الإبرة من دون أيّ أثرٍ للدم عليها، فإنّها تكون محكومة بالطهارة، لأنّ التنجيس لا يحصل في باطن جسم الإنسان.
3. الدم المتخلّف في الذبيحة طاهر، فلو ذبحت الشاة مثلاً، وخرج منها الدم المتعارف خروجه، ثم طُهِّر المذبح، فإنّ كلّ دم تراه المكلّفة بعد ذلك داخلَ الذبيحة محكوم بالطهارة، ولكن لا يجوز أكله إلّا إذا صار مستهلكاً مع غيره[1].
4. نقطة الدم في البيضة طاهرة، ولكن يحرم أكلها إلّا إذا استهلكت مع غيرها.
5. عرق الجنب من الحرام طاهر، ولكنّ الأحوط وجوباً عدم الصلاة به.

مستثنيات الميتة النجسة

يستثنى من الميتة النجسة أمور:

1. ميتة الإنسان المسلم بعد إتمام غسله بالأغسال الثلاثة، فإنّها تطهر بعدها.
2. جسد الشهيد الذي أصيب واستُشهد في أرض المعركة طاهر على تفصيل في محلّه.
3. كلّ جزء في الحيوان لا تحلّه الحياة، كالشعر والسنّ والظفر والصوف والوبر والقرن وغيرها، فإنّها طاهرة، ما عدا أجزاء الكلب والخنزير، فكلّها نجسة.
4. ما ينفصل بنفسه من القشور من جلد اليدين ومن الشفاه والبثور وغيرها محكوم بالطهارة.

حكم الجلود مشكوكة التذكية

1. المستوردة من البلاد الإسلاميّة محكومة بالطهارة ويجوز الصلاة بها.

(1) المستهلك الذي لم يبق له أثر.

2. المستوردة من غير البلاد الإسلاميّة:

أ - إن عُلِم عدم تذكيتها فهي نجسة ولا يجوز الصلاة بها.

ب - مع الشكّ في كونها مذكّاة أم لا فهي طاهرة، ولكن لا يجوز الصلاة بها.

الدم والمنيّ والميتة				
مصدرهما	إنسان	حيوان مأكول اللحم ذو نفس سائلة	حيوان غير مأكول اللحم ذو نفس سائلة	حيوان ليس له نفس سائلة (مأكول اللحم أو غير مأكول اللحم)
مثاله	الرجل - المرأة	الغزال - الحمار	الفأرة - الأرنب	الوزغ - الحيّة - السمك
حكمه	نجس	نجس	نجس	طاهر

السادس والسابع: الكلب والخنزير:

1. الكلب والخنزير البريّان نجسان بجميع أجزائهما (دون البحريَّين)، حتّى الأجزاء الّتي لا تحلّها الحياة، كالشعر والأنياب واللعاب.

كلب الصيد نجس كباقي الكلاب، ويجب تطهير فريسته بعد اصطيادها إذا لاقاها بفمه أو جسده مع رطوبة مسرية.

الثامن: المسكر المائع بالأصل:

المسكر المائع بالأصل[1] نجس بجميع أقسامه على الأحوط وجوباً، كالخمر، وكذا باقي المسكرات المائعة[2].

(1) المائع بالأصالة كالمتّخذ من عصير العنب.

(2) مادّة الكحول، ومنها السبيرتو، إذا لم تكن من الكحول المائعة بالأصالة، كالمتّخذة من الخشب، أو كانت مشكوكة، فهي محكومة بالطهارة.

التاسع: الفقّاع[1]:

1. الفقّاع نجس، سواء أسْكر أو لم يُسكر على الأحوط وجوباً.
2. المسكر الجامد بالأصل كالحشيشة طاهر، لكن لا يجوز تناوله.
3. العصير العنبيّ إذا غلى بالنار ولم يذهب ثلثاه فشربه حرام، ولكنّه ليس نجساً.

العاشر: الكافر:

وهو من لم ينتحل أيّ دينٍ أصلاً، أو انتحل ديناً غير الإسلام، أو انتحل الإسلام وجحد ما يُعلم من الدين ضرورة (كالصلاة)، بحيث يرجع جحوده إلى إنكار الرسالة أو تكذيب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، أو تنقيص شريعته المطهَّرة، أو صدر منه ما يقتضي كفره من قولٍ أو فعل.

والكافر على أقسام:

1. المُلْحِد: وهو من ينكر وجود الله تعالى.
2. الناصبيّ: وهو من ينصب (يعلن) العداء لأهل البيت عليهم السلام.
3. المُغالي: وهو الذي يعتبر أمير المؤمنين عليه السلام، أو أحد الأئمة الأطهار عليهم السلام إلهاً.
4. الكتابيّ: وهو كلّ من ينتمي إلى دين إلهيّ، ويعتبر نفسه من أمّة نبيّ من أنبياء الله تعالى، ويكون له كتاب من الكتب السماويّة النازلة على الأنبياء عليهم السلام، كاليهود والنصارى والصابئة والزازدشتيّين.

- كلّ فرد من هذه الأقسام محكوم بالنجاسة الذاتيّة، إلّا القسم الأخير، وهو الكافر الكتابيّ، فإنّه طاهر.

أحكام النجاسات

1. يشترط في صحّة الصلاة، واجبة كانت أو مستحبّة:

أ. طهارة بدن المصلي وتوابعه من شعره وظفره ونحوهما، ولو كانت النجاسة بمقدار رأس الإبرة.

ب. طهارة ثيابه كذلك، إلا الثياب التي لا تتمّ بها الصلاة، كما سيأتي.

(1) هو شراب مخصوص متّخذ من الشعير غالباً، ومنه ما يُسمّى «البيرة»، وليس منه ماء الشعير الذي يصفه الأطباء.

2. يشترط في صحّة الصلاة طهارة محلّ السجود، وهو المكان الذي توضع عليه الجبهة، دون غيره من مواضع السجود.
3. يحرُم تنجيس المسجد، ويجب المبادرة إلى إزالة النجاسة وتطهيرهُ، حتّى على غير الشخص الّذي نجّسه، وكذلك يحرم تنجيس الأماكن المقدّسة والمصحف الشريف والتربة الحسينيّة وكتب الأحاديث عن المعصومين عليهم السلام.
4. إذا شكّ إنسان بوجود الرطوبة المسرية، يحكم بعدم النجاسة.
5. الشيء الملاقي للنجاسة مع الرطوبة المسرية يتنجّس، وهذا المتنجّس إذا لاقى شيئاً طاهراً مع الرطوبة المسرية ينجِّس أيضاً، أمّا المتنجّس الثاني فينجِّس الثالث على الأحوط وجوباً، وما بعده (أي: الثالث وما بعده) ينجّس.
6. تثبت النجاسة بإخبار ذي اليد، من قبيل المرأة أو الخادمة إذا أخبرت بنجاسة ما في يدها من ثياب الزوج أو أثاث البيت ونحوها.

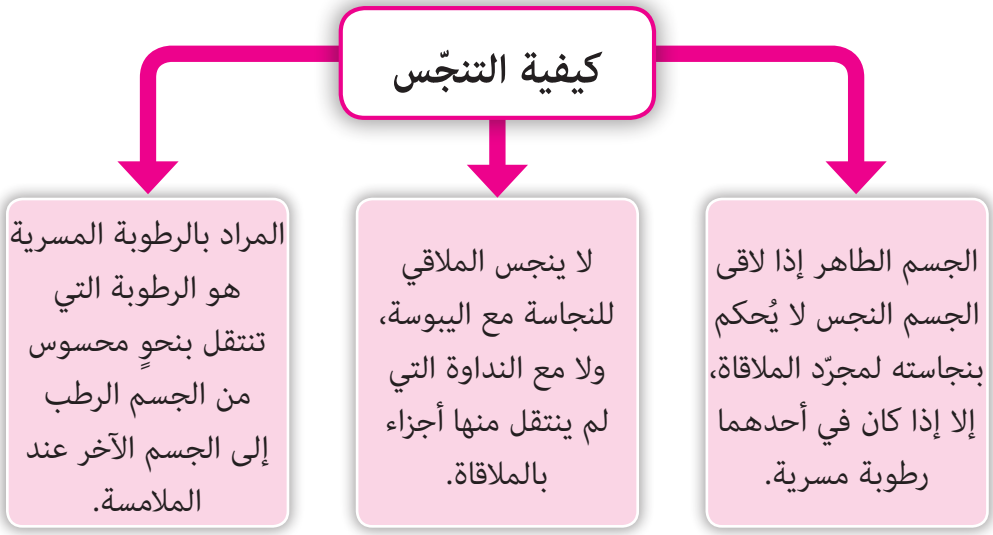

الدرس الرابع عشر

المطهِّرات وأحكامها

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعدّد المطهِّرات.

2 . يبيّن كيفية التطهير بالماء.

3 . يشرح أحكام التطهير بكل مطهِّر.

المطهّر الأوّل: الماء

هناك فرق في كيفيّة التطهير بين الماء القليل والماء الكرّ، لذلك نستعرض موارد التطهير في هذا الجدول لبيان أحكامهما:

المتنجّس	نوع النجاسة	بالمطر	بالجاري والكُرّ	بالقليل	ملاحظات
الماء	أي نجاسة	بالامتزاج	بالامتزاج	لا يطهر	بعد ذهاب أوصاف النجاسة المذكورة
الآنية	ولوغ الكلب	مرّة واحدة	مرّة واحدة	مرّتان	بعد التعفير بالتراب، والأحوط وجوباً في التعفير أن تمسحه بالتراب الخالص أوّلاً ثم تغسله بوضع الماء عليه بما لا يخرجه عن صدق اسم التراب
	موت الجرذ وشرب الخنزير	مرّة واحدة	سبع مرّات على الأحوط وجوباً	سبع مرّات	بعد إزالة عين النجاسة
	النجاسات الأخرى	مرّة واحدة	مرّة واحدة	ثلاث مرّات	بعد إزالة عين النجاسة

المتنجّس	نوع النجاسة	بالمطر	بالجاري والكُرّ	بالقليل	ملاحظات
الثياب ونحوها	بالبول	يكفي استيلاؤه على المتنجس	مرّة واحدة مع خروج ماء الغسالة	مرّتان مع العصر ونحوه	بعد إزالة عين النجاسة
	بغير البول	مرّة واحدة دون عصر	مرّة واحدة مع خروج ماء الغسالة	مرّة واحدة مع العصر ونحوه	بعد إزالة عين النجاسة
الأشياء الأخرى كالبدن ونحوه	بالبول	مرّة واحدة	مرّة واحدة	مرّتان	بعد إزالة عين النجاسة
	بغير البول	مرّة واحدة	مرّة واحدة	مرّة واحدة	بعد إزالة عين النجاسة

ملاحظة: لا يشترط خصوص العصر في تطهير القماش وأمثاله ممّا يقبل العصر إذا كان التطهير بالماء الكرّ أو الجاري، بل يكفي أيّ عمل يوجب خروج الماء من الداخل، ولو كان مثل التحريك العنيف.

المطهّر الثاني: الأرض

وهي تطهّر باطن القدم وأسفل الحذاء، ولكن بشروط، وهي:

1. أن تكون النجاسة عليهما حاصلة من المشي على الأرض.
2. زوال عين النجاسة عنهما.
3. حصول المشي على الأرض بمقدار عشر خطوات تقريباً، أو المسح بها.
4. أن تكون الأرض جافّة حين المسح أو المشي عليها.
5. أن تكون الأرض طاهرة.

مسألة: الأرض المفروشة بمثل الزفت لا تطهّر باطن القدم وكعب الحذاء بالمشي عليها.

المطهّر الثالث: الشمس

تطهّر الشمسُ الأرضَ، وكلّ ما لا يُنقل، مثل البناء وما اتّصل به كالحائط، وما أُثبت فيه كالأخشاب والأبواب ونحوها، وكذلك تطهّر الأشجار وما عليها من الأوراق والثمار قبل قطفها.

تطهـّر الشمس هذه الأمور بالشروط الآتية:

1. زوال عين النجاسة عن الشيء المتنجّس.
2. أن يكون المكان المتنجّس رطباً رطوبة مسرية حين شروق الشمس عليه.
3. أن يستند جفاف المكان المتنجس، بل يبوسته، إلى إشراق الشمس عليه دون واسطة.

إذا جفّ المكان المتنجّس قبل إشراق الشمس عليه، يمكن رشّ الماء عليه (الطاهر أو المتنجّس)، فيطهر بإشراق الشمس عليه بعد تجفيفها إيّاه.

المطهّر الرابع: الاستحالة

1. الاستحالة هي تحوّل الجسم النجس أو المتنجّس إلى جسم آخر، كالخشب المتنجّس يصبح رماداً، والماء يصبح بخاراً، والكلب يصبح رماداً.
2. إذا تغيَّرت بعض أوصاف النجس أو المتنجّس من دون تحقّق الاستحالة واقعاً، فإنّه يبقى على حالته من التنجّس، كالحليب المتنجّس إذا صار جبناً، أو الماء المتنجّس إذا صار ثلجاً.

المطهّر الخامس: الانقلاب

إذا انقلب الخمر خلّاً بنفسه أو بعلاج، فإنّه يطهر مع الإناء الّذي حصل فيه الانقلاب، إلّا إذا لاقى نجاسة خارجيّة فإنّه لا يطهرُ، حتّى لو صار خلّاً على الأحوط.

المطهّر السادس: الانتقال

إذا انتقل شيء نجس إلى جسم طاهر، بحيث أصبح جزءاً منه فإنّه يطهر، مثل دم الإنسان الّذي ينتقل إلى البعوض، فإنّه يُحكم بطهارته إذا انفصلت البعوضة عن جسم الإنسان وصار الدم جزءاً منها.

المطهّر السابع: التبعيّة

إذا أسلم الكافر، أباً كان أو أمّاً أو جدّاً، يتبعه أولاده غير البالغين في الإسلام والطهارة، ويتبع الميّتَ بعد تمام غُسله آلاتُ التغسيل والخرقةُ الّتي تستر عورته، وكذلك المغتسَلُ الّذي يُغسَّل عليه ويدا المغسِّل.

المطهّر الثامن: الإسلام

إذا أسلم الكافر، كما إذا نطق بشهادة «**أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنَّ محمّداً رسول الله**»، بقصد الإسلام، فإنّه يصبح طاهراً ذاتاً، أمّا النجاسة العرضيّة الّتي تكون على جسمه كالبول والخمر وغيرهما من النجاسات، فتحتاج إلى التطهير بالماء.

المطهّر التاسع: الغَـيبة

غَيبة المسلم عن بيته وغيره تعتبر من المطهّرات لثيابه وفراشه وأوانيه ومنزله وكلّ توابعه، فتعاملها معاملة الطاهرة، بشروط أربعة:

1. عدم العلم ببقاء النجاسة.
2. أن يكون واضعُ اليد على النجس عالماً بالنجاسة.
3. أن يكون ذو اليد عالماً بأحكام الطهارة والنجاسة.
4. أن يتعامل ذو اليد مع الشيء الذي تنجّس معاملة الطاهر.

إذا عُلِمَ ببقاء النجاسة في منزل المسلم أو ثيابه أو بدنه بعدم تطهيرها، فإنّ المكلّفة تحكم في هذه الحالة بالنجاسة.

المطهّر العاشر: زوال عين النجاسة

بالنسبة إلى بواطن الإنسان، كالدم في الفم وبين الأسنان، أو عن جسم الحيوانات، كمنقار الدجاج المتنجّس، وفم الهرّ الملوَّث بالدم، فإنّه يطهر بمجرّد زوال عين النجاسة.

الدرس الخامس عشر

الوضوء

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتوضَّئ بشكل صحيح.

2 . يستذكر شروط صحّة الوضوء.

3 . يعدّد نواقض الوضوء.

واجبات الوضوء

يجب عند الوضوء أمران:

الأوّل: غَسل الوجه واليدين، على التفصيل الآتي:

الوجه: يجب غسله:

طولاً: من قصاص الشعر إلى أسفل الذقن.

عرضاً: ما دارت عليه الإبهام والوسطى.

اليدان: يجب غسل اليد اليمنى واليسرى من المرفق إلى رؤوس الأصابع. والمناط في صدق الغسل إيصال الماء إلى تمام العضو، باليد أو بغيرها، ولكن المسح باليد الرطبة وحده غير كافٍ.

الثاني: مسح الرأس والقدمين، على التفصيل الآتي:

الرأس: يجب مسح مقدَّمه، ويجوز النكس. والأحوط وجوباً أن يكون المسح على الرأس باليد اليمنى.

الرجلان: يجب مسحهما من رؤوس الأصابع إلى مفصل الساق، والأحوط وجوباً عدم النكس[1].

(1) الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ: إلى الكعبين؛ أي قبّة ظهر القدم.

أحكام الوضوء

1. صبّ الماء غَرْفَتين أو أكثر على الوجه واليدين لا إشكال فيه، لكن غسلهما أزيد من مرّتين غير جائز.
2. لا يصحّ المسح على الشعر المستعار إلّا إذا كان في رفعه حرج ومشقّة لا تتحمّل عادة، فيجوز المسح عليه.
3. لا يصحّ المسح على الجوارب مهما كانت شفّافة.
4. إذا كان نزع الحذاء لأجل مسح الرجلين صعباً جدّاً وحرجاً على المكلّفة (كأصحاب الاحتياجات الخاصّة) فالمسح عليه مجزٍ وصحيح.
5. يجب أن يكون المسح بمقدار يصدق عليه عرفاً أنَّه مسح، والأحوط استحباباً المسح على الرأس والقدمين بمقدار إصبع من اليد عرضاً، وأحوط منه المسح بمقدار ثلاثة أصابع.
6. لا يجب المسح على بشرة (جلدة) الرأس، بل يكفي المسح على مقدّم الرأس.

لو كان الشعر النابت على مقدّم الرأس طويلاً، فجُمع وجُعل على المقدّم، لم يجز المسح عليه.

شروط صحّة الوضوء

1. **شروط المتوضّئ:**

أ. **النيّة:** وهي قصد وإرادة الفعل قربة إلى الله تعالى، فلو قامت المكلّفة بعمليّة الوضوء وهي غافلة وغير ملتفتة لعملها، فلا يصحّ منها هذا العمل. ولا يشترط فيها التلفّظ. وكما تجب في أوّل العمل، يجب استدامتها إلى آخره.

- الوضوء بنيَّة الكون على الطهارة راجح شرعاً، وتجوز الصلاة بالوضوء الاستحبابيّ.
- لو توضّأت قبيل دخول وقت صلاة الظهر مثلاً بنيَّة الظهر، فيصحّ وضوؤها وصلاتها.

ب.عدم وجود الحاجب على أعضاء الوضوء:

- من الشروط عدم وجود حاجب على أعضاء الوضوء، والحاجب هو ما له جرم على البدن يمنع من وصول الماء إليه.
- الدهون الّتي يفرزها الجسم بشكل طبيعيّ على الشعر والبشرة لا تُعدّ حاجباً، إلَّا إذا كانت بمقدار تراها المكلّفة مانعة من وصول الماء إلى البشرة والشعر.
- الوشم على الجسد إذا كان مجرَّد لون ولا يمنع من وصول الماء إلى البشرة فالوضوء صحيح، وكذا لو كان الوشم تحت الجلد.
- الحبر إذا كان له جرم يمنع من وصول الماء إلى البشرة فهو حاجب، وإلا فلا إشكال فيه. وتشخيص المواضيع في هذه الأمور بيد المكلّفة.

اللون الصناعي (الصباغ) الّذي تستعمله النساء في تلوين شعر الرأس أو الحواجب، إذا لم يكن له جرم يمنع من وصول الماء إلى الشعر، وكان مجرّد لون، فالوضوء يكون صحيحاً.

ج. أن تكون أعضاء المسح طاهرة وجافّة:

- يشترط أن تكون أعضاء المسح (الرأس والقدمان) طاهرة.
- كما يشترط أن تكون جافّة (أي ليس عليها رطوبة مسرية)(1)، حتّى يكون التأثير من الماسح على الممسوح، دون العكس.

2. شروط ماء الوضوء:

-يشترط في الماء المستعمل في الوضوء أمور:

أ. الطهارة:

- إذا توضّأت المكلّفة بماء متنجّس يقع وضوؤها باطلاً، بلا فرق بين حالة العلم والجهل والنسيان.

(1) النداوة المحضة التي لا تنتقل ولا تعلق باليد لا تضّر بالوضوء.

- إذا انكشف للمكلّفة بطلان وضوئها بعد مدّة زمنيّة، وكانت قد أدّت أعمالاً عباديّة بهذا الوضوء، فيجب عليها إعادة هذه الأعمال المشروطة بالطهارة.

ب.إطلاق الماء: التوضّؤ بالماء المضاف مبطل للوضوء، سواء أكان الوضوء عن جهل أم عن نسيان.

ج. إباحة الماء: من توضّأت بماء مغصوب وغير مأذون التصرّف به:

- إذا كانت جاهلة بالغصب، فالوضوء صحيح.
- إذا كانت ناسية للغصب فوضوؤها صحيح، سواء أكانت هي الغاصبة أم لم تكن.
- إذا كانت عالمة فوضوؤها باطل.

3. شروط الوضوء:

أ. الترتيب: يجب الترتيب في عمليّة الوضوء، بأن تغسل الوجه أوّلاً، ثمَّ تغسل اليدين اليمنى فاليسرى، ثمَّ تمسح مقدّم الرأس باليد اليمنى على الأحوط وجوباً، ثمَّ تمسح القدم اليمنى ثم اليسرى بما تشاء من يديها، ولا يجوز تقديم الرجل اليسرى على اليمنى على الأحوط وجوباً.

ب.الموالاة:

- هي أن لا تؤخِّر غسل العضو اللاحق، بحيث يحصل بسبب التأخير جفاف جميع الأعضاء السابقة.
- لو تابعت في وضوئها عُرفاً، ولكن حصل الجفاف بسبب شدّة الحرارة والهواء، لم يبطل وضوؤها.
- يبطل الوضوء عند الإخلال بالموالاة، ولو كان نسياناً.

ج. المباشرة:

- على المكلّفة أن تباشر بنفسها أعمال الوضوء، ولا يصحّ لغيرها أن يوضِّئها في حالة الاختيار والقدرة على فعل ذلك بنفسها.
- من لم تستطِع أن تباشر الوضوء بنفسها، يجوز لغيرها أن يوضّئها، لكن يجب في المسح على الرأس والرجلين أن يمسح عليها المُسْتَنَاب بِيَدِ المكلّفة العاجزة إن

استطاع ذلك، وإلّا فيمسح المستناب عليهما برطوبة يد المكلّفة[1].

لا يُعتبر صبّ الماء من قِبَل الغير بيد المتوضِّئة إخلالاً بشرط المباشرة، فلا يضرّ هذا الأمر بصحّة الوضوء.

د. عدم النكس:

- لا يجوز النكس في غسل الوجه واليدين وفي مسح القدمين، بل يجب غسل الوجه من الأعلى إلى الأسفل[2]، وغسل اليدين من المرفق إلى رؤوس الأصابع، ومسح القدمين من رؤوس الأصابع إلى مفصل الساق، فلا يجوز النكس على الأحوط وجوباً، أمّا الرأس فيجوز فيه النكس في المسح، وإن كان الأحوط استحباباً المسح عليه من الأعلى إلى قصاص الشعر.

نواقض الوضوء

ينتقض الوضوء بأحد الأمور الآتية:

الأوّل والثاني: خروج البول والغائط.

- ينتقض الوضوء بخروج البول والغائط من المخرج الطبيعيّ أو من غيره.
- لا فرق في بطلان الوضوء بالبول والغائط بين قليله وكثيره.

الثالث: خروج الريح: خروج الريح من الدبر إذا كان من المعدة أو الأمعاء.

الرابع: ما يُذهِب العقل: مثل الجنون والسكر والإغماء، فإنّه ينقض الوضوء، سواء مع العمد حصل هذا الأمر أم بدونه.

الخامس: النوم: النوم الغالب على حاسّتي السمع والبصر يبطل الوضوء، وينتقض الوضوء بالنوم، سواءً أعن اختيار حصل أم عن اضطرار.

السادس: مسّ الميّت:

(1) إذا لم يكن للمتوضّئة كفٌّ واستنابت للوضوء، أخذ النائب الرطوبة عن الذراع ومسح بها، وإن لم يكن لها ذراع أخذ الرطوبة عن الوجه ومسح بها الرأس والرجلين.

(2) على الأحوط وجوباً عند الإمام الخميني قدس سره.

- مسّ ميتة الإنسان بعد برده وقبل إتمام غسله ينقض الوضوء.
- مسّ بدن الشهيد الّذي لا يُغَسَّل لا يبطل الوضوء.

السابع: الجنابة والحيض والنفاس: من نواقض الوضوء أيضاً كلّ ما يوجب الغسل، كالجنابة والحيض والنفاس.

أحكام الوضوء

1. من تيقَّنت الحدث وشكّتَ في الطهارة تبني على الحدث وتتطهَّر، ومن تيقَّنت الطهارة وشكَّت في الحدث تبني على الطهارة.
2. يحرم على غير المتوضّئة مسّ اسم الجلالة وسائر صفاته تعالى وأسمائه، والأحوط وجوباً إلحاق أسماء الأنبياء والأوصياء وأسماء أهل البيت والسيّدة الزهراء عليهم السلام.
3. يجوز للمحدِثة لبس القلادة التي نُقش عليها آيات قرآنية أو أسماء الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، إلّا أنَّه لا يجوز أن يلامس النقش البدن.
4. لو كان لفظ الجلالة ضمن اسم مركّب لأشخاص (كعبد الله)، فلا يجوز مسّه من دون طهارة.

الدرس السادس عشر

الأغسال

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى أسباب الجنابة.

2 . يعدّد ما يحرم على الجنب.

3 . يعرف واجبات الغسل.

أقسام الأغسال

تنقسم الأغسال إلى قسمين:

الأول: الأغسال الواجبة: كغسل الحيض، وغسل النفاس، وغسل الجنابة، وغسل مسّ الميت، وغسل الأموات .

الثاني: الأغسال المستحبّة: وهي على أقسام:

1. **أغسال زمانيّة، منها:**
   أ. غسل الجمعة.
   ب. غسل يومي العيدين (الفطر والأضحى).
   ج. غسل ليالي الأفراد من شهر رمضان (الليلة الأولى والثالثة وهكذا).
   د. غسل يوم المبعث (وهو السابع والعشرون من رجب).

2. **أغسال مكانيّة منها:**
   أ.غسل دخول حرم مكّة.
   ب. غسل دخول المسجد الحرام.
   ج. غسل دخول حرم المدينة.
   د. غسل دخول المسجد النبويّ.

3. **أغسال فعليّة منها:**
   أ. غسل الإحرام.
   ب. غسل الطواف.
   ج. غسل التوبة.

غسل الجنابة

1. **أسباب الجنابة:**

سبب الجنابة أمران:

الأوّل: خروج المنيّ بأيّ سبب كان، سواء أكان في حالة النوم أم اليقظة.

الثاني: الجُماع: ويتحقّق بغيبوبة الحشفة في القبل أو الدبر، سواء أكان الجماع حلالاً أم حراماً.

2. **مسائل في الجنابة:**

أ. إذا خرج المنيّ وجب الغسل من الجنابة للعبادة التي يُشترط فيها الطهارة من الجنابة، كالصوم والصلاة والطواف.

ب. إذا تحرّك المنيّ في الداخل ولم يخرج، فلا تحصل الجنابة، ولا يجب الغسل.

ج. إذا تحقّق الدخول، ولو بمقدار الحشفة، وجب الغسل، حتى ولو لم يخرج المنيّ، أو لم تتحقق ذروة اللذّة.

د. علامتا الجنابة في المرأة هما: الشَّهوة، وخروج السائل.

هـ. إذا وصلت المرأة إلى الشهوة وخرجت منها رطوبة، تحقّقت لديها الجنابة، ووجب عليها الغسل، ولكن إذا شكّت في وصولها إلى الحالة المذكورة أو في خروج الرطوبة، فلا شيء عليها.

و. صحّة غسل الجنابة أثناء الحيض محلّ إشكال، فالأحوط وجوباً إعادته بعد النقاء.

ز. إذا كان على المرأة غسل جنابة وغسل حيض، وجب عليها غسل الجنابة مضافاً إلى غسل الحيض، ويجوز لها في مقام العمل أن تكتفي بغسل الجنابة فقط، لكن الأحوط استحباباً أن تنوي الغسلين أثناء الغسل.

3. **كيفية غسل الجنابة:**

لغسل الجنابة كيفيّتان، هما:

الأولى: الغُسل الترتيبي: ويتحقَّق بـ:

أ. غَسل تمام الرأس (ومنه العنق)، ويجب غسل بعض الجسد مقدّمة للعلم بأنّ الرقبة قد غُسلت بتمامها.

ب. ثمّ غسل تمام النصف الأيمن، مُدخلة لبعض الأيسر وبعض العنق مقدّمة للعلم بأنّ تمام النصف الأيمن قد غُسل.

ج. ثمّ غسل تمام النصف الأيسر، مُدخلة لبعض الأيمن والعنق كذلك.

- الترتيب المذكور بين الجانبين الأيمن والأيسر مبنيٌّ على الاحتياط الوجوبي.

الغُسل الارتماسي: وهو غمس تمام البدن في الماء غمسةً واحدةً، بنحو يكون تمام البدن في الماء في آن واحد على الأحوط وجوباً، فلو خرج بعض البدن من الماء قبل أن ينغمس بعضه الآخر فلا يتحقّق الارتماس.

ما يحرم على الجنب:

يحرم على المكلّفة الجنب أمور هي:

1. مسّ اسم الجلالة (الله) وسائر صفاته وأسمائه تعالى الخاصّة به، وغير الخاصّة به إن كتبت غير الخاصّة صفة له تعالى، كـ (الرحيم).
2. مسّ كتابة القرآن الكريم، وكلّ ما يتعلّق به من حركات.

3. مسّ أسماء الأنبياء والأئمّة والسيّدة الزهراء عليهم السلام على الأحوط وجوباً.
4. الدخول إلى المسجد الحرام والمسجد النبويِّ الشريف مطلقاً.
5. دخول المساجد والمكث فيها، إلّا إذا كان الدخول بنحو الاجتياز، بأن تدخل من باب وتخرج من باب آخر.
6. وضع شيء في المسجد (ولو في حال الاجتياز أو من خارجه)، ولا يحرم أخذ شيء منه.
7. قراءة آيات السجدة من سور العزائم الأربع (العلق، النجم، السجدة، فصّلت)، ولا يحرم قراءة باقي الآيات منها[1].

واجبات الغسل

وهي على ثلاثة أقسام:

1. **واجبات المُغْتَسِله:**

- تجب النيّة في الغسل كما مرَّ في الوضوء، ولا يشترط فيها التلفُّظ.
- لا يصحّ الغسل مع وجود حاجب يمنع وصول الماء إلى البشرة، كما مرَّ في أحكام الوضوء.
- الغسل لتطهير البدن يجب أن ينفصل عن الاغتسال للجنابة، ولكن لا يجب تطهير كلّ البدن قبل الشروع بالغسل، بل يكفي في غسل كلّ عضو أن يكون طاهراً حينه، وعليه، فلو طهَّرت العضوَ قبل غسله كان الغسل صحيحاً، أمّا لو لم تطهِّر العضو قبل غسله، فالغسل باطل مع تنجّس ماء الغسل.

إذا أحدث مَن يغتسل غسل الجنابة في أثنائه بالحدث الأصغر، فلا يجب عليه الاستئناف (إعادة الغسل)، بل يتمّ غسله ويقع صحيحاً، ولكن عليه الإتيان بالوضوء بعده للأعمال المشروطة بالطهارة من الحدث الأصغر.

- إذا اجتمعت على المكلّفة أغسال متعدّدة، مستحبّة أو واجبة، فإن كان بينها

(1) يحرم قراءة تمام السور الأربعة، ولو البسملة بقصدها عند الإمام الخمينيّ قدس سره.

غسل الجنابة وقصدته، فيكفيها عن بقيّة الأغسال.

- يجب إيصال الماء إلى تمام بشرة الرأس، والأحوط وجوباً غسل تمام الشعر، بل يجب غسل الشعر الدقيق الصغير الذي يعدّ جزءاً من البدن.

2. **شروط ماء الغسل:**

- يشترط في الماء الّذي تغتسل به أن يكون: -1 مطلقاً. -2 طاهراً. -3 مباحاً.

3. **شروط الغسل:**

- يُشترط في غسل الجنابة المباشرةُ من قِبَل المكلّفة في حال الاختيار، أمّا في حال الاضطرار فيسقط شرط المباشرة، ويجوز لغيرها أن يغسّلها مع مراعاة أحكام النظر وستر العورة.
- لا تشترط الموالاة في الغسل الترتيبيّ، فيجوز للمكلّفة الجنب أن تغسل رأسها ورقبتها، ثمّ بعد ساعة– مثلاً- تعود وتغسل القسم الأيمن من البدن، ثمّ بعد ذلك الأيسر.
- لا يشترط الترتيب في الغسل الارتماسيّ، فيجوز الارتماس ابتداءً من الرأس أو ابتداءً من الرجلين، ولكن يجب أن يحصل ارتماس الجسد في الماء دفعة واحدة عُرفيَّة.
- غسل الجنابة هو الغسل الوحيد، بين الأغسال الواجبة والمستحبّة، الّذي يجزِي عن الوضوء.

الدرس السابع عشر

التيمُّم وأحكامه

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعدِّد مسوِّغات التيمم.

2 . يتيمّم بشكل صحيح.

3 . يعرف شروط التيمم وما يُتيمَّم به.

مسوّغات التيمُّم

المقصود منه تحصيل الطهارة بالتراب ونحوه بدل الماء، عند وجود مانع من استعمال الماء. ومن الموانع:

1. عدم وجود الماء.
2. ضيق الوقت عن استعمال الماء في الوضوء أو الغسل.
3. الخوف من الوصول إلى الماء (على النفس أو العيال أو المال، من اللصوص أو السباع).
4. الحَرَج والمشقّة في استعمال الماء (كحالات البرد الشديد الّذي لا يُحتمل، أو حصول الإهانة في تحصيله).
5. كون استعمال الماء مضرّاً بالمكلف، سواء أوجب حدوث مرض، أو زيادته، أو بطء برئه (كوجود الرمد المانع من استعمال الماء إذا كان مكشوفاً).
6. عدم التمكّن من استعمال الماء لمانع شرعيّ، كوجوب استعماله في غسل نجاسة مما لا يقوم غير الماء مقامه.

ما يُتيمَّم به

وهو على ثلاث مراتب، متقدّم بعضها على بعض، وهي:

المرتبة الأولى: وهي الصعيد؛ أي مطلق وجه الأرض، من التراب والصخور والرمل، ولا

بأس بالتيمّم بالاسمنت والموزاييك، وإن كان الأحوط استحباباً الترك، ويصحّ التيمّم على كلّ ما هو من الأرض، كأحجار الكلس والجصّ، بل لا يبعد صحّة التيمّم على المطبوخ منها أيضاً ومن الآجر أيضاً ونحوها.

المرتبة الثانية: لو فقدت الصعيد، تتيمّم بالغبار بعد تجميعه، فإن لم يمكن تجميعه تتيمّم على شيء فيه غبار.

المرتبة الثالثة: لو فقدت الغبار، تتيمّم بالوحل، نعم لو أمكن تجفيف الوحل فيجب، ويكون من المرتبة الأولى.

شروط التيمم

كيفيّة التيمّم

أوّلاً: ضرب باطن الكفّين دفعة واحدة على الأرض.

ثانياً: مسح تمام الجبهة والجبينين باليدين معاً، من منبت الشعر إلى الحاجبين وأعلى الأنف، ابتداءً من الأعلى إلى الأسفل، والأحوط وجوباً المسح على الحاجبين أيضاً.

ثالثاً: مسح ظاهر الكفّ اليمنى بباطن الكفّ اليسرى.

رابعاً: مسح ظاهر الكفّ اليسرى بباطن الكفّ اليمنى.

خامساً: الأحوط وجوباً ضرب الأرض مرّةً ثانية، ومسح ظاهر الكفّ اليمنى بباطن الكفّ اليسرى، وظاهر الكفّ اليسرى بباطن الكفّ اليمنى.

أحكام عامّة

1. يجوز ترتيب كلّ الآثار الشرعيّة للتيمّم البديل عن الوضوء أو الغسل، كالصلاة والدخول إلى المساجد، ومسّ أسماء الله والآيات القرآنيّة وغيرها، إلّا إذا كان التيمّم بسبب ضيق الوقت، فإنّه لا يجوز فيه إلّا الصلاة.
2. إذا لم تتمكّن المكلّفة من الوضوء والتيمّم، فالأحوط وجوباً الصلاة في الوقت، ثمّ القضاء خارج الوقت مع الوضوء، أو التيمّم مع تعذّر الوضوء.

الدرس الثامن عشر

مقدِّمات الصلاة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعدّد أقسام الصلاة.

2 . يحدّد أوقات الصلاة الواجبة وفق شروطها الشرعية.

3 . يشرح شروط لباس المصلّي ومكانه.

أقسام الصلاة

تنقسم الصلاة إلى قسمين:

القسم الأوّل: الصلاة الواجبة، وعددها خمس، وهي:

1. الصلاة اليوميّة، وهي: الصبح، الظهر، العصر، المغرب، العشاء. ومنها:

أ. قضاء الولد الذكَر الأكبر عن والده، والأحوط وجوباً القضاء عن أمّه.

ب. صلاة الجمعة، ووجوبُها تخييريّ؛ بمعنى أنّ المكلّفة مخيّرة بينها وبين صلاة الظهر.

2. صلاة الآيات.
3. صلاة الطواف الواجب.
4. الصلاة التي التزمتها المكلّفة بنذر أو إجارة وغيرها.
5. صلاة الأموات (الصلاة على الميت).

القسم الثاني: الصلاة المستحبّة (النوافل)

وهي كثيرة، منها:

1. **نوافل الصلاة اليومية**، وهي:

نافلة الصبح	ركعتان قبل صلاة الصبح.
نافلة الظهر	ثماني ركعات قبل صلاة الظهر
نافلة العصر	ثماني ركعات قبل صلاة العصر.
نافلة المغرب	أربع ركعات بعد صلاة المغرب.
نافلة العشاء	ركعتان من جلوس بعد صلاة العشاء، تسمّى (الوتيرة).

2. **صلاة الليل:** إحدى عشرة ركعة. صلاة الليل ثمان ركعات، ثمّ ركعتا الشفع، ثمّ ركعة الوتر، وهي مع الشفع أفضل مِن صلاة الليل، وركعتا الفجر أفضل منهما.

- وهذه كلّها تسمّى بالرواتب، ومجموعها أربعٌ وثلاثون ركعة.

3. **صلاة الغُفَيلة**[1]**:** وهي ركعتان.

وقت الصلاة

يعتبر في جواز الدخول في الصلاة أن تعلم المكلّفة بدخول وقت الصلاة[2]، ويجب تحصيل العلم أو الاطمئنان بدخول الوقت. وأمّا أوقات الصلوات فهي على النحو الآتي:

1. صلاة الصبح: وقتها من طلوع الفجر الصادق[3] إلى طلوع الشمس.
2. صلاتا الظهر والعصر: وقتهما واحد: من الزوال إلى المغرب، وتختصّ الظهر بأوّله بمقدار أدائها، والعصر بآخره كذلك.
3. صلاتا المغرب والعشاء:

أ. وقت العشاءين للمختارة من المغرب إلى نصف الليل، ويختص المغرب بأوله بمقدار أدائها، والعشاء بآخره كذلك بحسب حاله، وما بين المغرب ونصف الليل مشترك بينهما.

ب. للمضطرة: الأحوط وجوباً لمن أخرّتَهما عن نصف الليل اضطراراً لنوم أو نسيان أو حيض أو غيرها، أو عمداً، الإتيان بهما إلى طلوع الفجر بقصد ما في الذمة.

---

(1) هي ركعتان بين صلاة المغرب وسقوط الشفق الغربي على الأقوى، تقرأ في الأولى بعد الحمد: {وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين}، وفي الثانية بعد الحمد:{وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين}، فإذا فرغت رفعت يديها وقالت: «اللهمّ إنّي أسألك بمفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا أنت، أن تصلّي على محمد وآل محمد، وأن تفعل بي كذا وكذ»، فتدعو بما أرادت، ثمّ تقول: «اللهمّ أنت وليّ نعمتي، والقادر على طلبتي، تعلم حاجتي، فأسألك بحقّ محمّد وآل محمّد، عليه وعليهم السلام، لَمَّا قضيتها لي».

(2) فلا يجوز لها الدخول في الصلاة قبل أن يحصل لها العلم بدخول الوقت، بل يجب عليها تأخير الصلاة إلى حين حصول العلم بدخول الوقت.

(3) الفجر الصادق هو الفجر الثاني المعترض في الأفق.

ج. يتحقّق المغرب بزوال الحمرة المشرقيّة (التي تظهر في جهة الشرق بعد غياب الشمس).

القِبلة

1. يجب التوجّه إلى القبلة، وهي المكان الواقع فيه البيت العتيق، أثناء الصلاة الواجبة، وكذلك الصلاة المستحبّة، إذا أتت بها المكلّفة على الأرض حال الاستقرار.
2. إذا تعذَّر على المكلّفة معرفة جهة القبلة بالعلم واليقين، تعمل بظنّها، وإذا تعذَّر الظنّ عندها تصلّي إلى الجهات الأربع على الأحوط وجوباً، ومع ضيق الوقت تصلّي بالمقدار الذي يسع الوقت.
3. يصحّ الاعتماد على الشاخص أو بوصلة القبلة إذا حصل منها الاطمئنان للمكلّفة بجهة القبلة.

الستر والساتر في الصلاة

يجب على المرأة حال الصلاة أن تستر كلّ بدنها، عدا الوجه بالمقدار الواجب غسله في الوضوء، والكّفين إلى الزندين، والقدمين إلى الساقين، ولا بدّ من ستر شيء مما هو زائد عن الحدّ الواجب من باب المقدّمة. هذا إذا لم يكن هناك رجل أجنبيّ ينظر إليها، وإلّا وجب عليها ستر القدمين أيضاً، فإن لم تسترهما في هذه الحالة فصلاتها لا تبطل، ولكنّها تأثم.

اللباس في الصلاة

يشترط في لباس المصلّية أمور:

1. **الطهارة:**

يشترط في لباس المصلي أن يكون طاهراً، فلا تصحّ الصلاة في الثوب المتنجّسن مع العلم بالنجاسة فيه. ويستثنى من ذلك كلّ ما لا تتمّ به الصلاة منفرداً.

أ. من صلّت بالنجاسة في بدنها أو لباسها جاهلة بوجودها فيهما، ثم بعد الفراغ من

الصلاة التفتت إلى نجاستهما فصلاتها صحيحة. نعم، لو كانت عالمة بالنجاسة سابقاً ثم نسيتها وصلّت فصلاته باطلة.

ب. إذا التفت المصلّي إلى تنجّس بدنه أو لباسه أثناء الصلاة، فإن أمكنه إزالة النجاسة بدون أن يأتي بما ينافي الصلاة وجب عليه إزالتها، ويكمل صلاته، وإن لم يتمكّن من إزالة النجاسة مع حفظ هيئة الصلاة، وكان لديه متّسع من الوقت وجب قطع الصلاة واستئنافها من جديد بالبدن واللباس الطاهرين.

ما يُعفى في الصلاة

يُعفى في الصلاة عن أمور، منها:

أ. دم الجروح والقروح[1] في البدن أو اللباس حتّى تبرأ، إذا لم يمكن إزالته أو تطهيره أو تبديله لاستلزامه الحرج والمشقّة.

ب. الدم في البدن واللباس إن كانت سعته أقلّ من عقدة السبّابة، ولكن يشترط فيه أن لا يكون من دم الميتة أو نجسَ العين أو غيرَ مأكول أو دمَ الحيض، والأحوط وجوباً أن لا يكون من دم النفاس والاستحاضة.

ج. كلّ ما لا تتمّ فيه الصلاة منفرداً (كالجوارب والقفّازات والحزام والخاتم والسوار وغير ذلك). نعم لا يُعفى عمّا كان مُتَّخذاً من نجس العين كالميتة.

د. ما صار من البواطن والتوابع للبدن (كالخيط النجس أو المتنجس الّذي خيط به الجرح)، فهو معفوّ عنه في الصلاة.

2. **الإباحة: يشترط في لباس المصلّي أمور:**

أ. أن يكون مباحاً غير مغصوب؛ بأن يكون إمَّا ملكاً لها أو مأذونة في التصرّف فيه.

ب. أن يكون من حيوان مذكّى (إذا كان اللباس من أجزاء الحيوان، كالجلد).

3. **أن يكــون من حيوان مأكول اللحم (إذا كان اللباس من أجزاء الحيوان، وإن كانت لا تحلّها الحياة، كالصوف والوبر).**

(1) القروح: الدماميل. وهي بثور حمراء تفسد وتتشقق، فيخرج منها القيح والدم.

أ. لا تصحّ الصلاة بأجزاء ما لا يؤكل لحمه، حتّى الأجزاء التي لا تحلّها الحياة، كوبر الهرة.

ب. يجوز للمرأة أن ترتدي الذهب أو الحرير الخالص أثناء الصلاة.

مكان المصلّي

يشترط في مكان المصلّية عدّة أمور:

1. **الإباحة:** لا فرق بين غصبيّة المكان، أو ما تقف عليه مثل الحصير والسجَّاد، فالصلاة على جميع هذه الأمور باطلة.
2. **الاستقرار:** يشترط مراعاة الاستقرار أثناء الصلاة حال الاختيار، فلا تصحّ الصلاة في مكان متزلزل كالقارب مثلاً. أمّا حالَ الاضطرار، بحيث لا تتمكّن من الاستقرار مطلقاً داخل الوقت، فيسقط هذا الشرط، وتصحّ صلاتها.
3. **الطهارة:** هذا الشرط يختصّ بموضع سجود الجبهة فقط، أمّا في بقية أعضاء السجود، فلا يشترط الطهارة، إذا لم يكن هناك رطوبة مسرية تنقل النجاسة إلى اللباس أو البدن.

يجب السجود على الصعيد، وهو ما يصدق عليه أنّه أرض، كالرمل والحجارة، ويصحّ السجود على ما أنبتته الأرض، بشرط أن لا يُؤكل ولا يُلبس، وكذلك على القرطاس.

1. يجوز السجود على المحارم الورقيّة المصنَّعة إذا كانت قرطاساً، والتشخيص على المكلّفة. وكذا يجوز السجود على الإسمنت والبلاط (الموزاييك).
2. يُشترط فيما يُسجد عليه أن تتمكن المكلّفة من تثبيت الجبهة عليه، فلا يصحّ السجود على الوحل غير المتماسك، ولا على التراب الذي لا تستقرّ الجبهة عليه.
3. 2يشترط في موضع سجود الجبهة أن لا يكون أعلى أو أدنى من موضع الركبتين وإبهامي الرجلين بأكثر من أربعة أصابع مضمومة.

الدرس التاسع عشر

أفعال الصلاة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يميّز بين أجزاء الصلاة الركنية والعادية.

2 . يشرح مع التطبيق الشروط المعتبرة في القراءة والأذكار.

3 . يضبط الشروط التفصيلية الخاصة بأركان الصلاة.

الأجزاء الركنيّة وغير الركنيّة

تتألّف الصلاة من أحد عشر جزءاً، وهذه الأجزاء على قسمين:

القسم الأول: الأجزاء الركنيّة (الأركان):

الأجزاء الركنيّة				
1. النيّة.	2. تكبيرة الإحرام.	3. القيام (حال تكبيرة الإحرام، والقيام السابق للركوع).	4. الركوع.	5. السجود (السجدتان معاً).
حكمها				
تبطل الصلاة بزيادتها أو نقصانها عمداً أو سهواً				

القسم الثاني: الأجزاء غير الركنيّة:

الأجزاء غير الركنية		
1. القراءة.	2. الذكر.	3. التشهُّد.
4. التسليم.	5 . القيام أثناء القراءة والتسبيحات.	6. القيام بعد الركوع.
حكمها		
تبطل الصلاة بزيادتها أو نقصانها عمداً فقط		

واجبات الصلاة

1. **النيّة:**

وهي عبارة عن قصد الفعل والقربة إلى الله، فلا يشترط فيها التلفُّظ، ولا الإخطار بالبال تفصيلاً. ويعتبر فيها التقرُّب إلى الله تعالى، وتعيين نوع الصلاة ولو إجمالاً.

2. **تكبيرة الإحرام:**

أ. وصورتها (الله أكبر)[1]، ويجب أن تأتي بها حال القيام منتصبةً، ولا يجوز وصلها بما قبلها على الأحوط وجوباً، بل تلفظ منفردة.

ب. يستحبّ رفع اليدين أثناء التكبير إلى الأذنين، أو حيالَ الوجه، مبتدئة بالتكبير بابتداء الرفع، ومنتهية بانتهائه.

3. **القيام:**

- يجب مع الإمكان الاعتدالُ في القيام والانتصاب بحسب حال المصلّية.
- غير القادرة على القيام إن كانت تحتمل القدرة على القيام في آخر الوقت، فالأحوط وجوباً الانتظار، ولو أتت بها في أوّل وقتها من جلوس بسبب عدم القدرة على القيام، ولم يرتفع العذر إلى آخر الوقت، فالصلاة صحيحة، ولا يجب إعادتها وإذا تيقّنت باستمرار العذر إلى آخر الوقت، فصلّت في أوّله من جلوس، ثمّ اتفق ارتفاعه آخر الوقت، وجبت الإعادة.
- إن لم تقدر المصلّية على القيام بأيّ شكل من الأشكال، ولو مستندة إلى شيء، فتصلّي بحسب الترتيب التالي:

أ. من جلوس، تركع على ركبتيها، وتسجد بشكل طبيعيّ.

ب. إن لم تتمكّن من الجلوس تصلّي مضطجعة على الجانب الأيمن.

ج. وإن لم تتمكّن على الجانب الأيمن تصلّي على الأيسر.

د. وإن لم تتمكّن على الأيسر تصلّي مستلقية على ظهرها كالمحتضرة، مومِئةً إلى الركوع والسجود برأسها إن أمكن، وإلّا فبعينيها.

(1) تكبيرة الإحرام هي لفظ (الله أكبر)، ورفعُ اليدين بمحاذاة الوجه مستحبّ حال التكبير، وليس جزءاً من الواجب أو شرطاً فيه. وسمّيت تكبيرة الإحرام بذلك لأنّه يحرم على المصلي بعدها ما كان جائزاً قبلها، مثل القهقهة والكلام بغير ذكر الله. وتسمّى أيضاً تكبيرة الافتتاح؛ لأنه بها تُفتتح الصلاة.

4. **القراءة:**

أ. يجب في الركعتين الأولى والثانية من كلّ صلاة (فريضة أو نافلة) قراءة سورة الفاتحة، ويجب، في خصوص الفريضة، قراءة سورة كاملة بعدها على الأحوط وجوباً.

ب. لا يجب تعيين البسملة للسورة، فلو بسملت ثمّ عيّنت سورة صحّ ذلك.

ج. لا يجوز قراءة سور العزائم في الصلاة (العلق، النجم، فصّلت، السجدة).

د. من قرأت إحدى سور العزائم في الصلاة، ووصلت إلى آية السجدة وقرأتها، فالأحوط وجوباً أن تسجد سجود التلاوة وهي في الصلاة، ثم تقوم وتكمل صلاتها، وبعد ذلك تعيد الصلاة، وأمَّا إذا لم تقرأ آية السجدة، فالأحوط وجوباً ترك السورة وقراءة غيرها، ثم تكمل الصلاة وتعيدها.

هـ. يجب الإخفات في القراءة في صلاتيّ الظهر والعصر.

و. تتخيّر المرأة بين الجهر والإخفات في الصلوات الجهرية مع عدم وجود الأجنبي.

ز. ليس الميزان في الإخفات ترك جوهر الصوت، بل هو عدم إظهار جوهر الصوت، في مقابل الجهر الذي ميزانه إظهار جوهر الصوت.

5. **الذِكر: ويشمل ثلاثة موارد:**

أ. الذكر الذي يحلّ محلّ القراءة في الركعتين الثالثة والرابعة، وصورته: «**سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلّاَ اللهُ، واللهُ أكبر**» مرّة واحدة، والأحوط استحباباً ثلاث مرّات. ويمكن استبداله بقراءة الحمد دون السورة.

ب. ما يجب في الركوع: المكلّفة مخيَّرة فيه بين أمرين:

الأوّل: أن تقول: سبحان ربّي العظيم وبحمده (مرّة واحدة).

الثاني: مطلق الذكر، مثل سبحان الله (3 مرّات)، ويجب أن يكون مساوياً لقول «**سبحان الله**» ثلاث مرات.

ج. ما يجب في السجود: فالمكلّفة مخيّرة أيضاً بين أمرين:

الأوّل: أن تقول: سبحان ربّي الأعلى وبحمده (مرّة واحدة).

الثاني: مطلق الذكر، مثل سبحان الله (3 مرّات)، ويجب أن يكون مساوياً لقول «**سبحان الله**» ثلاث مرات.

6. **الركوع:**

وكيفيّته: أن تنحني المكلّفة، بقصد الركوع والخضوع لله تعالى، بمقدار تصل فيه رؤوس أصابع يديها إلى ركبتيها[1]. ويجب فيه الذكر كما مرّ.

تعتبر الطمأنينة في الأذكار الواجبة والمستحبّة التي يؤتى بها في حالة خاصّة، كالركوع والسجود.

7. **السجود:**

أ. يتحقّق السجود بأن تضع المكلّفة جبهتها على الأرض على هيئة السجود الخاصّة المعروفة، بقصد الخضوع لله تعالى. ويعتبر في صحّته وضع بقية المساجد الستة على الأرض[2]، وهي: راحتا الكفّين، والركبتان، ورأسا إبهاميّ القدمين.

ب. الذِكر والطمأنينة شرطان أيضاً هنا كما في الركوع، ويجب أن تكون الأعضاء السبعة في أماكنها حال الذِكر، فلو أرادت المصلّية تحريك يدها مثلاً، فعليها أن تسكت أوّلاً، ثمّ تحرّك يدها وتعيدها إلى الأرض، وبعدها تكمل الذِكر[3].

8. **التشهّد:**

والواجب فيه أن تقول:

أ. أشهد أن لا إله إلّا الله[4]، وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ، اللهمَّ صلِّ على محمّدٍ وآل محمّد.

ب. يجب التشهّد حال الجلوس مطمئنةً في المواضع الآتية:

الأول: في الثنائيّة مرّة واحدة في الركعة الثانية.

---

(1) الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ: الأحوط وجوباً أن تنحني بمقدار تصل فيه الكفّان إلى الركبتين.

(2) المدار في تحقّق مفهوم السجدة على وضع الجبهة على هيئة خاصّة (على وجه يسمّى الشخص ساجداً في نظر العرف)، وعلى هذا مدار الركنية والزيادة العمدية والسهوية. أمّا الشروط الأخرى، كالسجود على ستّة أعضاء، فليست دخيلةً في تحقّق مفهوم السجود.

(3) الإمام الخامنئي دَامَ ظِلُّهُ: سؤال: امرأة كانت تسجد على التربة، وجبهتها مغطاة بالحجاب، خاصّة موضع السجود. جواب: لا يجب عليها الإعادة فيما إذا لم تكن حين السجود ملتفتة إلى وجود الحائل.

(4) الإمام الخامنئي دَامَ ظِلُّهُ: ويجزي «ألّا» بدل «أن لا».

الثاني: في الثلاثيّة مرّتين، واحدة في الركعة الثانية، والأخرى في الثالثة.

الثالث: في الرباعيّة مرّتين، واحدة في الركعة الثانية، والأخرى في الرابعة.

9. **التسليم:**

أ. يجب التسليم حال الجلوس مطمئنّةً في الركعة الأخيرة بعد التشهّد.

ب. الصيغة الأفضل للتسليم هي: «**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**»[1].

شروط الأفعال:

1. الترتيب بين أفعال الصلاة.
2. الموالاة: بمعنى عدم الفصل بين أفعالها على وجه تنمحي صورتها، بحيث يصحّ سلب الاسم عنها (أي لا يسمّى مجموع هذه الأفعال صلاةً، بل أفعالاً متفرّقة)، سواء أكان ذلك بين الأفعال، كالفصل الطويل بين الفاتحة والسورة، أم في الفعل نفسه، كقراءة الفاتحة مثلاً، فلا يصحّ الفصل الطويل بين الآيات.

الأفعال المستحبّة:

1. **القنوت:** وهو مستحبّ في الركعة الثانية قبل الركوع، ويكون بمطلق الذِكر والدعاء.
2. **التعقيب:** يستحبّ بعد الفراغ من الصلاة مباشرة، ولو كانت نافلة، ويتأكّد بعد الفريضة. والمراد به الاشتغالُ بالدعاء والذكر وقراءة القرآن ونحو ذلك.

والأفضل قراءة التعقيبات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، ولا سيّما تسبيح الصدّيقة الطاهرة الزهراء عليها السلام، وهو:

أوّلاً: أربع وثلاثون تكبيرة (الله أكبر).

ثانياً: ثلاث وثلاثون تحميدة (الحمد لله).

ثالثاً: ثلاث وثلاثون تسبيحة (سبحان الله).

(1) وأمّا «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» فهي مستحبة وليست واجبة، وهي من توابع التشهد، لا يحصل بها تحليل، ولا تبطل الصلاة بتركها عمدا ولا سهواً، لكن الأحوط المحافظة عليها.

الدرس العشرون

مبطلات الصلاة

أحكام الشكّ في الصلاة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعدّد مبطلات الصلاة.

2 . يعرف حكم الشكّ في أصل الصلاة وفي عدد الركعات.

3 . يعرف كيفيّة صلاة الاحتياط، وسجدتي السهو، وقضاء الأجزاء المنسيّة.

مبطلات الصلاة

مبطلات الصلاة	
1. ما يبطل إذا وقع عمداً أو سهواً.	2. ما يبطل إذا وقع عمداً فقط.

أوّلاً: ما يُبطل عن عمدٍ أو سهوٍ:

1. **الحدث الأكبر والأصغر:** فهو مبطِل للصلاة، ولو وقع عند حرف الميم من التسليم؛ أي في آخر كلمة (عليكم).
2. **ما يمحو صورة الصلاة:** مثل الرقص والتصفيق.
3. **زيادة ركن أو نقصانه:** عمداً أو سهواً.

ثانياً: ما يبطل عن عمدٍ فقط:

1. **زيادة جزء أو نقصانه:** في غير الأركان.
2. **التكفير:** وهو وضع إحدى اليدين على الأخرى، فلو فعلت المصلّية ذلك بقصد أنّه من أفعال الصلاة لبطلت.
3. **الالتفات:** وهو تارة يكون بكل البدن إلى اليمين أو اليسار أو الخلف، أو ما بين اليمين واليسار بحيث تخرج به عن استقبال القبلة، فإذا تعمّدت ذلك تبطل صلاتها، بل تبطل صلاتها إذا خرج البدن عمّا بين اليمين واليسار أيضاً، ولو كان سهواً أو قسراً.وأخرى يكون الالتفات بالوجه فقط مع بقاء البدن مستقبل القبلة، فهنا إذا كان الالتفاتُ يسيراً فلا تبطل الصلاة، ولكنه مكروه، وأمَّا إذا كان فاحشاً بحيث تجعل صفحة وجهها بحذاء يمين القبلة أو يسارها، فإنه مبطل لو تعمّدته، بل الأحوط وجوباً البطلان لو فعلت ذلك سهواً أيضاً.

4. **الكلام:** وفيه تفصيل:

أ. إذا تلفَّظت بحرف واحد، ولم يكن له معنى، ولم تقصد به إفهام الآخرين شيئاً معيّناً، فهو غير مبطل، وأمَّا إذا كان له معنىً وقصدته فتبطل الصلاة، بل تبطل حتى وإن لم تقصده على الأحوط.

ب. تعمّد التلفّظ بحرفين فصاعداً مبطِل مطلقاً، سواء أَفْهَمَت بهما أم لم تُفهم، بل لو لم يكن لهما معنىً ولكنها قصدت التفهيم على الأحوط.

ج. إذا سلَّم شخص على المصلِّية، وجب عليها ردّ السلام أثناء الصلاة بالصيغة نفسها، وهي (السلام عليكم) مع مراعاة ما يلي:

الأوّل: أن تكون المصلّية مقصودةً بالسلام.

الثاني: أن يكون السلام بالصيغة الشرعيّة (السلام عليكم).

الثالث: أن تتمكّن المصلّية من إسماع المسلِّم الجواب.

5. **القهقهة:** وهي الضحك المشتمل على الصوت والترجيع، أو على الصوت وحده على الأحوط؛ أمّا التبسّم فهو غير مبطل.

6. **البكاء:** والمقصود به البكاء مع صوت، فهو مبطل. ولو كان قهراً كما إذا كان لفوات أمر دنيويّ، كخسارة المال مثلاً، فهو مُبطل للصلاة.

7. **الأكل والشرب:** (ولو كانا قليلين على الأحوط وجوباً).

8. **قول آمين بعد الفاتحة عمداً:** ومعناها (اللّهم استجب)، إلّا مع التقيّة فلا بأس به[1].

أنواع الشكّ في الصلاة

1. الشكّ في أصل الصلاة.	3. الشكّ في أفعال الصلاة.
2. الشكّ في عدد الركعات.	4. الشكوك التي لا اعتبار بها.

(1) الإمام الخامنئي دَامَظِلُّهُ: لو اقتضت التبعيّة قول «آمين» عند المشاركة في صلاة الجماعة للإخوة أهل السنَّة، فلا مانع منه، وإلا فهو غير جائز.

الشكّ في أصل الصلاة

1. مَنْ شكّتَ أنها صلَّت أم لا فهنا صورتان:

الأولى: أن يكون الشكّ بعد خروج وقت الصلاة المشكوك بها، فلا شيء عليها.

الثانية: أن يكون ذلك قبل خروج الوقت، فعليها أداء ما تشكّ فيه.

2. لو شكّت، أثناء صلاة العصر، أنّها قد صلَّت الظهر أم لا، فإن كان في الوقت المختصّ بالعصر لم تلتفت، وإن كان في الوقت المشترك بين الظهر والعصر تبني على عدم الإتيان بالظهر، فتعدل بنيّة الصلاة التي بيدها إلى الظهر، وتكملها على أنّها الظهر، ثمّ تأتي بالعصر بعدها.

3. إن شكّت في بقاء الوقت وعدمه تبني على بقائه. فلو شكّتَ مثلاً في بقاء النهار وعدمه، فهنا تبني على بقاء النهار، وتأتي بالصلاة التي لم تصلِّها.

4. حكم الظنّ هنا كحكم الشكّ، فلو ظنّتَ المكلّفة بإتيان صلاة الظهر، ولم تعلم به، وجب عليها الإتيان بها مع الشروط المتقدّمة.

5. كثيرة الشكّ[1] في أصل الصلاة عليها الاعتناء بشكّها.

6. الوسواسية[2] لا تعتني بشكّها، وإن كان داخل الوقت، بمعنى أنّه حتّى لو شكّتَ المُوَسْوَسَة أنّها صلَّت أم لا، فإنّها تبني على الإتيان بالصلاة.

الشكّ في أفعال الصلاة

مَنْ شكّتَ في فعل من أفعال الصلاة أنّها قد أتت به أم لا، سواء أكان ركناً أم غيره، فهنا صورتان:

الأولى: أن يكون الشكّ في الفعل قبل الدخول في فعل آخر بعده، فهنا وجب الإتيان بالمشكوك به، كما لو شكَّت في أنّها قد قرأت الفاتحة أم لا، ولم تبدأ بعدُ بقراءة السورة الّتي تلي الفاتحة، فهنا يجب عليها قراءة الفاتحة.

(1) المرجع في كثرة الشك هو العرف، ولا يبعد تحقّقه فيما إذا لم تخلُ منه ثلاث صلوات متوالية.

(2) الوسواسية: من بلغت كثرة الشكّ عندها من الكثرة حتّى وصلت إلى حالة مرضيّة.

الثانية: أن يكون الشكّ في الفعل بعد الدخول في فعل آخر بعده، فهنا لا شيء عليها، وتبني على الإتيان به، كما لو شكّت في أنّها قد قرأت الفاتحة أم لا وهي في الركوع.

لو عملت الشاكّة بما يجب عليها حسب القاعدة التي مرَّت، ثم تبيّن بعد ذلك في الصلاة أو بعد الانتهاء منها أنّها قد أتت بما كانت قد شكّتَ به، فهنا موردان:

1. إن كان ما أتت به مرّة ثانية ركناً فصلاتها باطلة، كما لو شكَّت أنّها أتت بالركوع، ولم تدخل في فعل بعده، فأتت به، ثمّ علمت بعد ذلك أنّها قد أتت بالركوع، فهنا تبطل الصلاة، لزيادة الركن.
2. إن كان ما أتت به مرّة ثانية جزءاً غير ركنيّ فصلاتها صحيحة، ولو كان الجزء الزائد مما يوجب سجود السهو، فيجب عليها سجود السهو بعد الصلاة.

لو شكّت في صحّة ما وقع وفساده فقط لم تلتفت، كما لو أتت بالركوع أو السجود أو القراءة، وبعد الإتيان بذلك شكّت أنّها قد أتت بها على النحو الصحيح أم لا، تبني على الصحّة.

الشكّ في عدد الركعات

الشكّ في عدد ركعات الصلاة له صورتان:

الأولى: أن يكون ذلك في الصلاة الثنائيّة كالصبح، أو الظهر والعصر والعشاء حال السفر الموجب للقصر أو الثلاثيّة كالمغرب، وهو مبطل للصلاة مطلقاً أينما وقع.

الثانية: أن يكون ذلك في الصلاة الرباعيّة، وفيه أحكام:

1. ما لا يمكن علاجه، وهو مبطل للصلاة، أبرزه:
   أ. أن يكون الشكّ بين الركعة الأولى والثانية.
   ب. أن يكون الشكّ بين الركعة الثانية وأيّ ركعة أخرى قبل إكمال السجدتين؛ أي قبل رفع الرأس من السجدة الثانية.
2. ما يمكن علاجه، وهو في الجدول الآتي:

صورة الشكّ	حالته	العلاج
3 - 2	بعد إتمام السجدتين	تبني على الثالثة، وتكمل صلاتها، وتأتي بركعة احتياط من قيام، أو ركعتين من جلوس.
4 - 3 - 2	بعد إتمام السجدتين	تبني على الرابعة، وتكمل صلاتها، وتأتي بركعتي احتياط من قيام وركعتين من جلوس، وتقدّم ركعتي القيام على ركعتي الجلوس.
4 - 2	بعد إتمام السجدتين	تبني على الرابعة، وتكمل صلاتها، وتأتي بركعتي احتياط من قيام
4 - 3	في أيّ موضع كان	تبني على الرابعة، وتكمل صلاتها، وتأتي بركعة احتياط من قيام أو ركعتين من جلوس.
5 - 4	بعد رفع الرأس من السجدة الأخيرة	تبني على الرابعة، وتكمل صلاتها، وتأتي بسجدتي السهو.
5 - 4	حال القيام	تهدم قيامها، وتبني على الرابعة، وتكمل صلاتها، وتأتي بركعة احتياط من قيام أو ركعتين من جلوس.
5 - 4 - 3	حال القيام	تهدم قيامها، وتبني على الرابعة، وتكمل صلاتها، وتأتي بركعتي احتياط من قيام وركعتين من جلوس.
5 - 3	حال القيام	تهدم قيامها، وتبني على الرابعة، وتكمل صلاتها، وتأتي بركعتي احتياط من قيام.

صلاة الاحتياط

صلاة الاحتياط هي الركعات التي يؤتى بها فور الصلاة التي وقع فيها الشكّ، من دون الإتيان بشيء ينافي الصلاة، بحسب الموارد المحدّدة في جدول الشكوك، تداركاً للنقص المحتمَل فيها.

1. **صورتها: (إذا كانت ركعة واحدة):**

أ. النيّة.

ب. تكبيرة الإحرام.

ج. قراءة الفاتحة فقط إخفاتاً، حتّى البسملة على الأحوط وجوباً.

د. الركوع.

هـ. السجود.

و. التشهّد والتسليم.

وإن كانت ركعتين فهي كصلاة الصبح من دون قراءة السورة بعد الفاتحة، ولكنّ البسملة للفاتحة يجب أن تكون إخفاتيّة.

2. **أحكامها:**

أ- صلاة الاحتياط واجبة لا يجوز تركها واستئناف الصلاة من جديد.

ب- يجب الإتيان بصلاة الاحتياط بعد التسليم مباشرة وبدون فصل، فلو فصلت أو أتت بالمنافي فالأحوط وجوباً الإتيان بها ثمّ إعادة الصلاة.

ج- لا يوجد قنوت في صلاة الاحتياط، حتّى وإن كانت ركعتين.

سجود السهو

1. **كيفيته:**

أ. النيّة.

ب. السجود بعد النيّة مباشرة، على غير المأكول والملبوس على الأحوط وجوباً.

ج. رفع الرأس من السجود، والسجود ثانية.

د. رفع الرأس ثمّ التشهّد والتسليم.

2. **موجباته:**

أ. الكلام أثناء الصلاة سهواً.

ب. نسيان السجدة الواحدة وفوات محلّ تداركها[1].

ج. نسيان التشهّد وفوات محلّ تداركه على الأحوط وجوباً.

د. التسليم في غير محلّه على الأحوط وجوباً.

هـ. الشكّ بين الركعتين الرابعة والخامسة بعد إكمال السجدتين (على نحو ما مرَّ معنا).

3. صورته

سجود السهو سجدتان متواليتان، وتجب فيه نية القربة، ولا يجب فيه تكبير، والأحوط فيه وضع الجبهة على ما يصحّ السجود عليه، والأحوط الأولى وضع سائر المساجد أيضاً، ومراعاة جميع ما يُعتبر في سجود الصلاة، من الطهارة والاستقبال والستر وغير ذلك، والأحوط استحباباً الإتيان بالذكر في كلّ واحد منهما، فتقول: «**باسم الله وبالله، السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته**».

4. أحكامه:

أ. سجود السهو واجب، لا يجوز تركه.

ب. وقته بعد الانتهاء من الصلاة مباشرة.

ج. من تركته عمداً أثمت، ولا تبطل صلاتها، ويجب الإتيان به ما دامت حيّة.

د. من تركته سهواً أتت به عندما تتذكَّر، وإن طال الزمن.

هـ. يتعدّد السجود بتعدّد موجبه.

(1) يتحقّق فوات محلّ الجزء المنسّي بأمور: الأوّل: الدخول في الركن اللاحق، وهو الركوع اللاحق هنا، فلو نسيت المصلّية السجدة الثانية من الركعة الأولى مثلاً، وتذكّرت بعد الدخول في ركوع الركعة الثانية، فلا يمكنها في هذه الحالة الرجوع والإتيان بالسجدة المنسية وما بعدها على الترتيب (ما هو مترتّب عليها)، فتعيد التسبيح ثمّ تعيد الركوع؛ لأنّ ذلك سيلزم منه زيادة ركن، وهو مبطل.

الثاني: الخروج من الصلاة، فمن نسيت إحدى السجدتين (السجدة الواحدة) حتى سلّمت ولم تأتِ بالمنافي، فإنّها ترجع وتتدارك السجدة المنسيّة، وتتمّ صلاتها (تأتي بالتشهّد والتسليم) وتسجد سجدتي السهو على الأحوط (للتسليم في غير محلّه). وإذا ذكرت ذلك بعد الإتيان بالمنافي صحّت صلاتها ومضت، وعليها قضاء السجدة، وكذا الإتيان بسجدتي السهو. الثالث: الخروج من الفعل الذي يجب فيه فعل ذلك المنسيّ، كمن نسيت الذكر في الركوع أو السجود حتى رفعت رأسها، فإنّها تمضي في صلاتها.

الأجزاء المنسية

1. لا يُقضى من أجزاء الصلاة المنسية إلَّا السجدة الواحدة، وكذلك التشهّد على الأحوط وجوباً (إذا نسيت السجدة أو التشهد، ولم تذكر إلا بعد الدخول في الركوع).
2. تأتي بالجزء المنسيّ بعد الانتهاء من الصلاة، وقبل الإتيان بسجدتيّ السهو أو بالمنافي، ولا يحتاجان في القضاء إلى تكبير وتسليم، بل بعد النيّة تأتي بالتشهّد أو السجود.

الدرس الواحد والعشرون

صلاة الجماعة . صلاة الآيات . صلاة القضاء

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى أحكام صلاة الجماعة.

2 . يتعرّف إلى شروط وجوب صلاة الآيات وكيفيّة إقامتها.

3 . يبيّن موارد وجوب صلاة القضاء.

صلاة الجماعة

وهي من المستحبّات الأكيدة في الفرائض، وخصوصاً اليوميّة، ويتأكّد استحبابها في الجهريّة كالصبح والعشاءين، ولها ثواب عظيم.

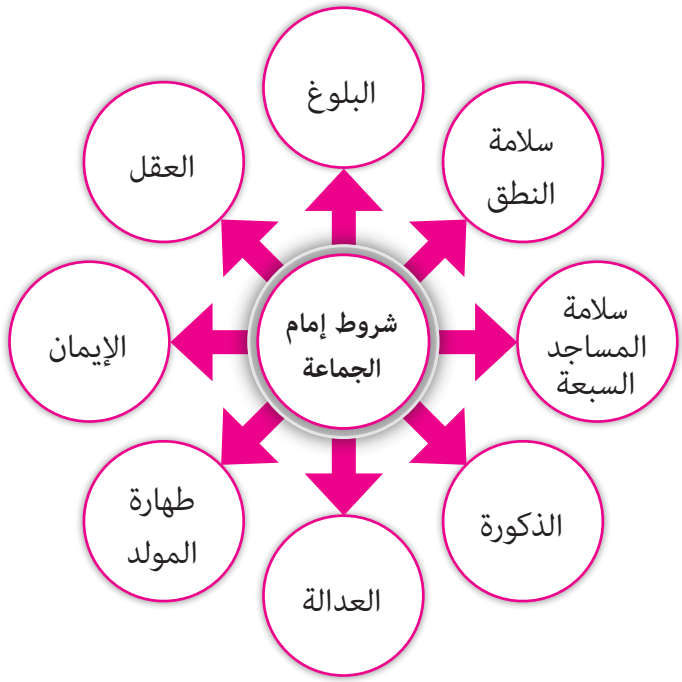

تفصيل أحكام الشروط:

1. يكفي في إحراز العدالة حسنُ الظاهر الكاشفُ عنها.
2. لا تصحّ إمامة المرأة للرجل، وتجوز إمامة المرأة في صلاة الجماعة للنساء خاصة.

شروط المأمومة

- تجب نيّة الجماعة من المأمومة حتّى تصحّ صلاتها، فلو لم تنوِ الاقتداء بصلاة الجماعة فلا تصحّ جماعتها، بل تقع صلاتها فرادى.
- يجب معرفة الإمام في صلاة الجماعة.
- يجب وحدة إمام الجماعة.

شروط صلاة الجماعة

أوّلاً: أن لا تتقدّم المأمومة على الإمام، بل الأحوط وجوباً تأخّرها عنه ولو يسيراً.

ثانياً: مراعاة المسافة في التباعد بين موقف الإمام وموضع سجود المأمومة، بحيث لا يكون أكثر من خطوة متعارفة، وكذلك الأمر بين المأمومات أنفسهنَّ من جهة الطول والعرض.

ثالثاً: أن لا يعلو موقفُ الإمام موقفَ المأمومات، أمَّا علوّ موقف المأمومة عن موقف الإمام أو موقف المأمومات فلا إشكال فيه، رجالاً ونساءً، بشرط عدم كون العلوّ مفرِطاً وغير متعارف.

رابعاً: لا بأس بوجود الحائل بين الرجال والنساء في صلاة الجماعة، وأمَّا وجود الحائل بين النساء أنفسهن فإنّه لا يصحّ ذلك.

أحكام صلاة الجماعة

- يشترط أن لا يقلّ عدد الجماعة عن اثنين (الإمام والمأموم).
- يجب على المأمومة متابعة الإمام في الأفعال، فلا يجوز لها التقدّم عليه بأيّ فعل من الأفعال.
- لو كبَّرت المأمومة سهواً قبل الإمام فهي بالخيار: إمّا أن تكمل صلاتها منفردة وتتمّها، أو تعدل بها إلى النافلة وتتمّها ركعتين، ثمَّ تعاود الدخول في الجماعة.
- إذا تقدَّمت المأمومة على الإمام سهواً، فتارةً يكون التقدّم في الأجزاء غير الركنية، وأخرى في الأركان ما عدا تكبيرة الإحرام، فإن كان في الأجزاء غير الركنية فلا شيء عليها، وصحَّت صلاتها، وتُتابع مع الإمام.

- وإن كان التقدّم في الأركان، كأن رفعت رأسها من الركوع قبل الإمام، فإن كان الإمام لا يزال راكعاً فعليها العودة إلى الركوع، ولا تضرّ الزيادة الركنيَّة في هذه الحالة، وأمّا إذا رفع الإمام رأسه من الركوع، فتتابع المأمومة الصلاة جماعة ولا شيء عليها. وكذلك الحال لو حصل هذا الأمر بالسجود، فإن سجدت قبل الإمام، فإنّ عليها العود إلى الجلوس ثمّ السجود مع الإمام، وتصحّ صلاتها جماعة.
- لا يتحمّل الإمام عن المأمومة في صلاة الجماعة إلَّا القراءة في الركعتين الأوليين، أمّا كلّ الأقوال والأذكار في الصلاة فتبقى واجبة على المأمومة.

لا يشترط اتِّحاد الصلاة بين الإمام والمأمومة من جهة الأداء والقضاء أو القصر والتمام أو الظهر والعصر، إذا كان كلّ منهما يصلّي اليوميّة، فيجوز لمن تصلي القصر الاقتداء بمن يصلّي تماماً، وكذلك من تصلّي قضاء أن تقتدي بمن يصلّي أداءً، وكذا من تصلّي الظهر أن تقتدي بمن يصلّي العصر. نعم لا يصحّ اقتداء من تصلّي اليوميّة بمن يصلّي غير اليوميّة، كصلاة الآيات أو العيد.

صلاة الآيات

1. وجوب صلاة الآيات:

هي واجبة عند حدوث إحدى هذه الأمور:

أ. كسوف الشمس، ولو جزئيّاً.

ب. خسوف القمر، ولو جزئيّاً أيضاً.

ج. الزلزال.

د. كلّ آية مخوّفة عند غالب الناس، كالريح السوداء أو الخسف أو الصيحة أو الهدّة.

2. كيفيّة صلاة الآيات:

صلاة الآيات مؤلّفة من ركعتين، في كلّ ركعة خمس ركوعات وسجدتان.

ولها كيفيّتان، وهي على الشكل الآتي:

الأولى:

أ. النيّة.

ب. تكبيرة الإحرام.

ج. تركع خمس مرّات بعد أن تقرأ قبل كلّ ركوع الفاتحة مع سورة كاملة.

د. السجود.

وبعد الانتهاء من الركعة الأولى تقوم للثانية، وتفعل كما فعلت في الأولى.

هـ. التشهّد.

و. التسليم.

الثانية:

وهي مثل الأولى، إلّا أنّها تقرأ قبل الركوع الأوّل الفاتحة مع آية واحدة من سورة أخرى[1]، ثمّ تقرأ قبل كلّ ركوع بعضاً آخر من تلك السورة بدون الفاتحة حتّى تنهيها قبل الركوع الخامس، وعندها لا يكون هناك قراءة لسورة الفاتحة إلّا مرّة في كلّ ركعة، ثمّ تفعل في الركعة الثانية كما فعلت في الركعة الأولى، ثمّ تتشهّد وتسلّم.

3. **وقت صلاة الآيات:**

أ. صلاة الكسوف والخسوف أداؤها من حين بدء الآية إلى حين الشروع في الانجلاء، ولو أخّرت عنه أتت بها بنيّة القربة المطلقة إلى تمام الانجلاء.

ب. صلاة الزلزلة والآيات الأخرى تجب المبادرة إليها بعد التمكّن من أدائها فوراً، ولو أخّرت أتت بها بنيّة الأداء مطلقاً.

4. **أحكام صلاة الآيات:**

أ. تتكرّر صلاة الآيات بتكرّر موجبها.

ب. يستحبّ فيها الجماعة والجهر بالقراءة.

---

(1) الإمام الخامنئي دَامَ ظِلُّهُ: باعتبار عدم ثبوت كون البسملة جزءاً من كلّ سورة فيما عدا الفاتحة، فالأحوط وجوباً عدم ترتيب آثار الجزئيّة عليها، فلا تكفي وحدَها.

ج. إنّما تجب صلاة الآيات فقط على من كانت في بلد الآية والبلد المتّصل بها.

د. إنّ ما ينطبق من أحكام وشروط على الفرائض اليوميّة ينطبق هنا أيضاً (من الطهارة والإباحة وغير ذلك).

هـ. من لم تعلم بالآية إلّا بعد انتهائها فلها حالتان:

- إن كانت زلزالاً أو آية مخوّفة، فهنا صورتان:

الأولى: أن تعلم بها في الوقت المتّصل مباشرة بالآية، فيجب عليها إتيانها.

الثانية: أن تعلم بها بعد الوقت المتّصل بالآية، فلا يجب عليها الإتيان بها، وإن كان الأحوط استحباباً ذلك.

- إن كانت كسوفاً أو خسوفاً، وهنا صورتان:

الأولى: أن يكون جزئيّاً، فلا شيء عليها.

الثانية: أن يكون كلّيّاً، فعليها القضاء.

صلاة القضاء

1. أحكام القضاء:

- يجب قضاء الصلاة اليوميّة التي فاتت عن عمد أو سهو أو جهل، ولا يجب على الصبيّة أن تقضي ما فاتها قبل تكليفها، ولا على المجنونة، ولا على المُغمى عليها إذا لم يكن الإغماء بفعلها.
- النائمة يجب أن تقضي ما فاتها من الصلوات أثناء نومها، وكذلك المغمى عليها إذا كان الإغماء بفعلها على الأحوط وجوباً.
- لو بلغت الصبيّة أو أفاقت المجنونة والمغمى عليها، ولم يبقَ من الوقت إلا مقدار ركعة واحدة ولو مع التيمّم، وجب عليها الأداء، وإلّا تقضي هذه الصلاة.

جميع الصلوات التي تصلّى حال الجنابة أو أيّ حدث، ولو عن جهل (كما قد يحدث في بدايات البلوغ) أو لجهة بطلان الغسل أو الوضوء، يجب قضاؤها.

2. **وقت صلاة القضاء:**

- لا تجب الفورية في القضاء، بل هو واجب موسَّع ما دام العمر، إذا لم يُعتَبر تهاوناً ومسامحة في أداء التكاليف.
- يجوز قضاء الفرائض في كلّ وقت، من ليل أو نهار أو سفر أو حضر، وتصلّي في السفر ما فاتها في الحضر تماماً، وتصلّي في الحضر ما فاتها في السفر قصراً.
- لو كانت في أوّل الوقت حاضرة وفي آخره مسافرة، أو بالعكس، فالعبرة بحال الفوت؛ أي آخر الوقت.
- النوافل والصلوات المستحبّة تحتسب قضاءً عن الصلوات الفائتة.
- إذا علمت المكلّفة بفوات صلوات، ولم تعلم مقدارها، فيجوز لها الاكتفاء بالقدر المتيقَّن، كما لو شكّت بأنّ الفائت عشر صلوات أو خمس عشرة، فيجوز في هذه الحالة الاكتفاء بعشر صلوات، وإن كان الأحوط استحباباً الإتيان بالخمس الباقية.
- لا يجب تقديم صلاة القضاء على الفريضة، بل الأحوط استحباباً تقديم الفائتة، خصوصاً فائتة اليوم نفسه، على الفريضة، كتقديم قضاء الصبح على صلاة الظهر من اليوم نفسه.

3. **كيفيّة صلاة القضاء:**

أ. إذا تعدّدت الفوائت، فالأحوط استحباباً تقديم السابق على اللاحق، أمّا ما يعتبر فيه الترتيب في أدائه شرعاً، كالظهرين والعشاءين من اليوم نفسه، فيجب فيه الترتيب[1].

ب. إذا قدّمت في القضاء بما يخالف الترتيب بين المرتّبتين، فإن كانت جاهلة عن قصور فلا تعيد.

ج. يوجد طريقتان لقضاء الصلوات الفائتة (الأحوط استحباباً اتّباعهما)، وهي:

الأولى: أن تقضي كلّ يوم بيومه على نحو الصلاة اليوميّة.

(1) الإمام الخامنئي دَامَ ظِلُّهُ:

الثانية: أن تصلّي كلّ فرض عدداً معيّناً، ثمّ تصلّي الفرض الثاني (كأن تصلّي الصبح خمس مرّات، ثمّ الظهر والعصر خمس مرّات،... وهكذا)، مع مراعاة الترتيب الذي ذكرناه بين الظهرين والعشاءين.

د. من لم تتمكن من الصلاة التامّة لعذر، وعلمت بارتفاع العذر بعد ذلك، فالأحوط وجوباً تأخير القضاء إلى زمان رَفع العذر، ويجوز لها البدار إذا علمت بعدم ارتفاعه إلى آخر العمر.

الدرس الثاني والعشرون

اليمين . النَّذرْ . العهد

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعرف معنى اليمين وأقسامَه.

2 . يعدِّد شروط انعقاد اليمين، وشروط الحالف، وأحكام اليمين.

3 . يعدِّد شروط انعقاد النذر، وشروط الناذر، وأحكام النذر.

أوّلاً: اليمين

1. أقسام اليمين:

ويُطلق عليها الحلف والقسم، وهي ثلاثة أقسام:

الأوّل: ما يقع تأكيداً وتحقيقاً للإخبار بوقوع شيء في الماضي، أو الحال، أو المستقبل، كقولها: «**واللهِ لقد حصل كذا**».

الثاني: يمين المناشدة، وهي ما يُقرَن بها الطلبُ والسؤال، ويقصد بها حثُّ المسؤول على إنجاح المقصود، كقول السائلة: «**أسألك باللهِ أن تفعل كذا**».

الثالث: يمين العقد، وهي أن تحلف المكلَّفة لتأكيد وتحقيق ما بَنَتْ عليه والتزمت به، من إيقاع أمر أو تركه في الزمان الآتي، كقولها: «**واللهِ لأصومنّ**».

2. أحكام اليمين:

أ. لا تنعقد اليمين من القسم الأوّل. نعم، إذا كانت كاذبة في إخبارها عن عمد فإنّها تأثم. وكذلك لا تنعقد اليمين من القسم الثاني أيضاً، ولا يترتّب عليها شيء.

ب. تنعقد اليمين من القسم الثالث عند اجتماع الشروط، ويجب برّها والوفاء بها، ويحرم حنثها، ويترتّب على حنثها الكفّارة.

3. شروط انعقاد اليمين:

شروط انعقاد اليمين أربعة:

الأوّل: أن تكون باللفظ أو ما يقوم مقامه، كإشارة الأخرس، ولا تنعقد بالكتابة.

الثاني: أن يكون الحلف بالله تعالى، فكلّ ما صدق عرفاً أنّه حلف به تعالى انعقدت اليمين به.

الثالث: أن لا يكون متعلّق اليمين مرجوحاً: بمعنى أنّ اليمين تنعقد لو تعلّقت بفعل واجب أو مستحبّ، أو بترك حرام أو مكروه، ولا تنعقد لو تعلقت بفعل حرام أو مكروه، أو بترك واجب أو مستحبّ. وأمّا المباح المتساوي الطرفين (الفعل والترك)، فإن كان الفعل أو الترك راجحاً عقلائيّاً انعقدت اليمين إذا تعلّقت بالراجح، وإذا تساوى طرفاه بحسب الدنيا فتنعقد أيضاً. نعم لا تنعقد إذا تعلقت بالمرجوح.

الرابع: أن يكون متعلّق اليمين مقدوراً، وإذا كان مقدوراً ثمّ طرأ عليها (المكلَّفة) العجز انحلّت اليمين إذا كان العجز مستوعباً لتمام الوقت.

4. صيغة اليمين:

تنعقد اليمين لو أنشأتها بصيغتي القسم والحلف، كأن تقول: «**أقسم بالله...**»، أو «**أحلف بالله...**»، أو بصيغة «**وحقِّ الله...**»، و«**بجلالِ الله...**»، و«**بعظمة الله...**». وتنعقد اليمين بإنشائها بحروفها[1]، كأن تقول: «**واللهِ**»، أو «**باللهِ**»، أو «**تاللهِ**»... .

لا تنعقد اليمين بالحلف بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمّة عليهم السلام، وسائر النفوس المقدّسة المعظّمة، ولا بالقرآن الكريم، ولا بالكعبة المشرّفة، ولا بسائر الأمكنة المحترمة.

5. شروط الحالفة:

يعتبر في الحالفة خمسة شروط، وهي:

الأوّل: البلوغ.

الثاني: العقل. الثالث: الاختيار. الرابع: القصد. الخامس: انتفاء الحَجْر في متعلَّق اليمين، فلا تنعقد اليمين من المحجور عليها فيما حُجر عليها فيه، وتنعقد فيما لا حَجْر عليها فيه. وهنا مسائل:

(1) أي حروف القسم، وهي: الواو (و)، الباء (ب)، التاء (ت).

أ. لا تنعقد يمين الابن والابنة من دون إذن الأب.

ب. لا تنعقد يمين الزوجة من دون إذن الزوج.

ج. إذا انعقدت اليمين بشروطها يجوز للأب أو الزوج حلّ اليمين، فإذا حلّها ارتفع أثرها، فلا حنث ولا كفّارة عليها.

6. **أحكام اليمين:**

أ. إذا علّقت اليمين على مشيئة الله تعالى، بأن قالت: «**واللهِ لأفعلنّ كذا، إن شاء الله**»، وكان المقصود التعليق على مشيئته تعالى، لا مجرّد التبرّك بهذه الكلمة، فلا تنعقد اليمين.

ب. مخالفة اليمين جهلاً، أو نسياناً، أو اضطراراً، أو إكراهاً، لا حنث فيها، ولا كفّارة.

ج. يتحقّق الحنث بالمخالفة مرّة واحدة، فلو حنثت انحلّت اليمين، ولو كرّرت المخالفة لم تحنث إلاّ مرّة واحدة، فلا تتكرّر الكفّارة.

7. **كفّارة اليمين:**

كفّارة اليمين مخيَّرة ومرتَّبة، وهي عتق رقبة، أو إطعام عشرة مساكين، (لكلّ مسكين ثلاثة أرباع الكيلو غرام من الطعام)، أو كسوتهم، فإن لم تقدر صامت ثلاثة أيّام متتابعة.

ثانياً: النَّذر

1. **تعريفه:**

هو الالتزام بعملٍ لله تعالى على نحو مخصوص، ولا ينعقد بمجرّد النية، بل لا بدّ فيه من الصيغة.

2. **شروط النذر**

الأوّل: الصيغة، فلا تكفي النيّة وحدَها من دون إنشائه بالصيغة، وهي ما كان مفادها جعل فعل أو ترك على ذمّتها لله تعالى، بأن تقول مثلاً: «**لله عليَّ أن أصوم، أو أن أترك استماع الغناء**». ولو قالت: «**نذرت لله أن أصوم**» مثلاً، أو: «**للهِ عليّ نذر**

صوم يوم» فينعقد أيضاً، ولا يضر فيه زيادة كلمة (النذر) في الصيغة[1].

الثاني: أن يكون النّذر بالله تعالى، فلا ينعقد بغيره، على ما مرّ في اليمين دون فرق.

الثالث: القدرة على متعلَّق النذر، فلا ينعقد لو لم يكن المتعلّقُ مقدوراً.

الرابع: أن يكون المتعلّق طاعة لله تعالى، من صلاة، أو صوم ونحوهما، أو يكون المتعلّق أمراً نَدَبَ إليه الشرع، ويصحّ التقرّب به، كزيارة المؤمنين، وغيرها، فينعقد النذر بفعل كلّ واجب أو مندوب، وبترك كلّ حرام أو مكروه، أمّا المباح: فإن قصدت بنذرها معنىً راجحاً انعقد، كما لو نذرت أكل طعام، وقصدت بأكله التقوّي على العبادة، أو نذرت ترك أكل طعام، وقصدت بتركه منع النفس عن الشهوة.

الخامس: أن يكون متعلّق النذر فعل الناذر، فلو نذرت أن تفعل أمراً وكان متعلّقه شخصاً آخر، كأن تحلق شعر رأس ابنها مثلاً، ففي انعقاده إشكال، فلا يترك الاحتياط.

3. شروط الناذرة:

أ. وهي خمسة: الأوّل: البلوغ، الثاني: العقل، الثالث: الاختيار، الرابع: القصد، الخامس: انتفاء الحجر في متعلّق النذر.

ب. لا يشترط إذن الأب في انعقاد نذر المرأة.

ج. لا يصحّ نذر الزوجة من دون إذن الزوج فيما إذا كان معها، حتّى لو كان نذرها متعلّقاً بمالها، ولم يكن العمل به مانعاً من حقّه. ولو أذن لها فنذرت، انعقد نذرها، وليس للزوج بعد ذلك حلّه، ولا المنع من الوفاء به.

4. أقسام النذر

النذر ثلاثة أقسام، وينعقد بأقسامه الثلاثة، وهي:

الأوّل: نذر برٍّ، ويقال له: نذر المجازاة، وهو ما عُلّق على أمر، إمّا شكراً لنعمة أخرويّة أو دنيويّة، كأن تقول: «**إن رُزقتُ ولداً فللّهِ عليّ كذا**»، وإمّا استدفاعاً لبليّة، كأن تقول: «**إن شفى الله مريضي فللّه عليّ كذا**».

(1) الإمام الخميني قدس سره: في الفرض المذكور لا ينعقد النذر على إشكال.

الثاني: نذر زجر، وهو ما عُلّق على فعل حرام أو مكروه، زجراً للنفس عن ارتكابهما.
الثالث: نذر تبرّع، وهو ما كان مطلقاً غير معلّق على شيء، كأن تقول: «**للّهِ عليّ أن أصوم غداً**».

5. أحكام النذر:

أ. يجب الالتزام بما تعهّدت به في النذر كما تعهّدت به، فلا يجوز التبديل ولا التغيير، ولا إضافة أمور أخرى إليه بعد انعقاده.
ب. لو نذرت صوماً ولم تعيّن العدد، يكفي صوم يوم واحد، وكذا في الصلاة يكفي صلاة واحدة، ولو مستحبة، إلا أن تكون قصدت غير الرواتب (النوافل اليومية)، فلا يجزي إلا الإتيان بركعتين.
ج. لو نذرت صدقة ولم تعيّن جنسها ومقدارها، يكفي أقلّ ما يصدق عليه الاسم.
د. لو نذرت صوم مدّة (كعشرة أيّام، أو شهر، أو سنة)، فإن قيّدت بالتتابع أو التفريق تعيّن ذلك، وإن لم تقيّد تخيّرت بين التتابع والتفريق.
هـ. لو نذرت زيارة أحد الأئمّة عليهم السلام أو بعض الصالحين، وجب، ويكفي الحضور والسلام على المزور. ولو نذرت شيئاً لأحد الأئمة عليهم السلام، فإن كان النذر لشخص المعصوم، جاز صرفه في وجوه البرّ بقصد إهداء ثوابه إليه، وإن كان النذر للمقام نفسه، فيجب صرفه فيه فقط.
و. لو عجزت الناذرة عن المنذور في وقته إن كان مؤقّتاً، أو عجزت مطلقاً إن لم يكن مؤقّتاً ينحلّ نذرها، ويسقط عنها، ولا شيء عليها. نعم، لو نذرت صوماً فعجزت عنه تصدّقت عن كلّ يوم بثلاثة أرباع الكيلو من الطعام.

6. كفّارة النذر

كفّارة حنث النذر ككفارة حنث اليمين المتقدّمة، مضافاً إلى أن متعلّق النذر إن كان صوماً فيجب قضاؤه أيضاً، وإن كان صلاة فالأحوط وجوباً قضاؤها[1].

(1) الإمام الخميني (قدس): كفارة النذر ككفارة الإفطار عمداً في شهر رمضان.

ثالثاً: العهد

1. يحتاج العهد إلى صيغة، فلا ينعقد بمجرد النيّة. وصورة الصيغة: «**عاهدت اللهَ**»، أو: «**عليّ عهدُ الله**».
2. يقع العهد مطلقاً غير معلّق على شيء، ويقع معلّقاً على شرطٍ كالنذر.
3. يعتبر فيما عاهدتْ عليه أن لا يكون مرجوحاً ديناً أو دنياً، ولا يعتبر فيه الرجحان، فهو كاليمين من هذه الجهة.
4. مخالفة العهد بعد انعقاده توجب الكفّارة مع الإثم، وكفارتها كفارة من أفطر يوماً من شهر رمضان[1].

لا يشترط في العهد إذن الأب ولا إذن الزوج.

(1) وهي: عتق رقبة، أو إطعام ستين مسكيناً، أو صوم شهرين متتابعين.

الدرس الثالث والعشرون

المكاسب المحرّمة

(الغناء، آلات القمار، الغشّ، اليانصيب، السِّحر)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى أحكام الغناء والموسيقى.

2 . يتبيّن الأحكام الشرعية للعب بآلات التسلية.

3 . يفهم الأحكام الشرعية للسحر ونحوه.

الغناء

هو مدّ الصوت وترجيعه بكيفيّة لهويّة مضلّة عن سبيل الله تعالى، وتناسب مجالس اللهو والمعصية. ويحرم على المغنّية والمستمعة[1].

الموسيقى

الموسيقى هي العزف على آلاتها بكيفيّة لهويّة مضلّة عن سبيل الله تعالى، ومتناسبة مع مجالس أهل اللهو والمعصية.

إن كان العزف على الآلات الموسيقية على الشكل المتعارف في مجالس اللهو والعصيان فهي محرّمة على عازفتها وعلى مستمعتها أيضاً، أمَّا إذا لم يكن على ذلك النحو فهي جائزة في نفسها، ولا بأس فيها. نعم قد يكون لشخصية العازفة أو للكلام المصحوب بالألحان أو للمكان أو لسائر الظروف الأخرى مدخلية في اندراج الموسيقى تحت الموسيقى اللهوية المحرّمة، أو تحت عنوان الحرام الآخر، كما إذا صارت لأجل تلك الأمور مؤدّية إلى ترتّب مفسدة.

أحكام الغناء والموسيقى

1. ما يعدُّ في نظر العرف من الموسيقى اللهوية المضلِّة عن سبيل الله تعالى والمتناسبة مع مجالس اللهو والباطل، فهي الموسيقى المحرّمة، بلا فرق في ذلك بين الموسيقى الكلاسيكية وغيرها.
2. لا فرق في الغناء المحرّم بين استعمال الغناء في كلامٍ باطل وبين استعماله في كلام حقّ

(1) المدّ: هو وقوع الصوت من الحلق بنحو الاستطالة، والترجيع: هو ترديد الصوت في الحلق وإدارته، وخفضه ورفعه.

من قراءة القرآن، والدعاء، والمرثيّة، وغيره، من شعر أو نثر، بل يتضاعف عقابه لو استعمله فيما يطاع به الله تعالى.

3. لا فرق في الغناء والموسيقى المحرّمَين بين مجلس زفاف العروس النسائي وغيره من المجالس[1].
4. يحرم فعل الغناء واستماعه والتكسّب به، سواء أكان من الرجل أم من المرأة، وسواء أكان بنحو مباشر أم غير مباشر، وسواء أكان مصحوباً باستعمال آلات اللهو أم لم يكن.

الرقص والتصفيق

1. رقص الرجال حرام على الأحوط، وأمَّا رقص المرأة أمام النساء، فإن صدق عليه عنوان اللهو(كما إذا تحوّل مجلس النساء إلى مجلس رقص) فالأحوط وجوباً تركه، وفي غير هذه الصورة إذا كان بكيفيّة تثير الشهوة، أو كان مستلزماً لفعل محرّم، أو لترتّب مفسدة، أو كان أمام الرجال الأجانب، فلا يجوز القيام به مطلقاً.
2. لا يجوز المشاركة في مجالس الرقص إذا كانت تأييداً لفعل الآخرين الحرام، أو استلزمت فعل محرّم، وحينئذٍ إذا كان ترك ذلك المجلس اعتراضاً على العمل الحرام مصداقاً للنهي عن المنكر فهو واجب.
3. رقص المرأة أمام الأجانب حرام مطلقاً.
4. يجوز رقص الزوجة لزوجها وبالعكس من دون ارتكاب محرّم.
5. الدبكة إذا صدق عليها عرفاً أنها رقص فحكمها حكم الرقص المتقدِّم.
6. يجوز للنساء التصفيق في مجالس الأفراح النسائية كالأعراس على النحو المتعارف، حتى وإن سمعه الأجنبي، ما لم يكن مما تترتب عليه مفسدة.

(1) الإمام الخميني قدس سره: يستثنى من الغناء المحرّم مجلس زفاف العروس النسائي فقط، فيما إذا كان الغناء بالمباشرة منهنَّ.

الحضور في المجالس العامة والاحتفالات

1. يجوز الحضور في المجالس العامة والاحتفالات ما لم يكن المجلس بنحو يصدق عليه مجلس لهو محرّم، ومجلس معصية، ولم يكن في الحضور فيه مفسدة، أو يعدّ عرفاً تأييداً لفعل ما لا يجوز فعله.
2. لا يجوز الحضور في مجالس الغناء والموسيقى المحرّمين فيما إذا أدّى ذلك إلى الاستماع إليها أو إلى تأييدها.
3. إقامة الاحتفالات والمناسبات الدينية في أوقاتها المناسبة من أفضل الأعمال، ومن المستحبات المؤكّدة، ولكن يجب على القيّمين الاجتناب عن إيذاء الآخرين، ومزاحمة الجيران بحسب المقدور. والحذر من أيّ عمل يكون محرّماً في نفسه شرعاً.

اللعب بآلات التسلية

1. اللعب بآلات التسلية مما يعدّ عرفاً من آلات القمار حرام شرعاً مطلقاً، وإن كان اللعب للتسلية ومن دون رهان.

2. لا يجوز اللعب بآلات القمار، سواء أكان اللعب بها بشكل مباشر أم عبر الأجهزة الإلكترونية.

الغشّ

1. يحرم الغشّ بما يخفى في البيع والشراء، كمزج الحليب بالماء، وخلط الطعام الجيّد بالرديء، ومزج الدهن بالشحم، ونحو ذلك، من دون الإعلام.
2. الغشّ، وإن كان حراماً، ولكنه لا يوجب فساد المعاملة رأساً، بل للمشترية بعد الاطّلاع الخيارُ بين الإبقاء وبين الفسخ. نعم، لو كان الغشّ بإظهار الشيء على خلاف جنسه (كبيع المموَّه بالذهب على أنّه ذهب، ونحو ذلك) فسدت المعاملة رأساً.

بطاقات اليانصيب

لا يصحّ بيع وشراء بطاقات اليانصيب، ولا تملّك الفائزة الجائزة، ولا يحقّ لها استلامها.

السحر وما يشبهه

1. **السِّحر:**

أ. **تعريفه:** المراد بالسحر ما يُعمل من كتابة أو تكلّم أو دخنة أو تصوير أو نفث أو عقد ونحو ذلك ما يؤثّر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله، فيؤثّر في إحضاره أو إنامته أو إغمائه أو تحبيبه أو تبغيضه ونحو ذلك.

ب. **حكمه:** السحر حرام فعله وتعليمه وتعلّمه والتكسّب به[1].

ج. يحرم[2] استخدام الملائكة، وإحضار الجنّ وتسخيرهم، وإحضار الأرواح وتسخيرها، وأمثال ذلك.

د. الشعبذة من السحر، وهي محرّمة. والمراد بها خفّة اليد، وسرعة الحركة، ممّا يؤدّي إلى أن يرى الشيء على غير ما هو عليه في الواقع[3].

2. **الكهانة:**

أ. **تعريفها:** المراد بالكهانة تعاطي الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان، بزعم أنّه يُخبر عن بعض الجانّ، أو يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات وأسباب يستدلّ بها على مواقعها.

ب. **حكمها:** الكهانة حرام، ويحرم أخذ الأجرة عليها.

3. **التنجيم:**

أ. **تعريفه:** هو الإخبار على نحو القطع والجزم عن حوادث الكون، من الرخص والغلاء، والجدب والخصب، وغير ذلك من الخير والشرّ؛ اعتماداً على الحركات الفلكيّة، والاتّصالات الكوكبيّة، معتقداً تأثيرها في هذا العالم على نحو الاستقلال، أو الاشتراك مع الله (تعالى عمّا يقول الظالمون).

---

(1) الإمام الخامنئي دَامَتْ ظِلُّهُ: إلاّ إذا كان هناك غرض عقلائي مشروع، وكان بالطرق المحلّلة شرعاً، فيجوز بهذا المقدار فقط، من قبيل موارد العلاج.

(2) الإمام الخامنئي دَامَتْ ظِلُّهُ: تحضير الملائكة والجنّ والأرواح، على فرض صدقه وصحّته، فإنّ حكمه يختلف باختلاف الموارد والوسائل والأغراض.

(3) الإمام الخامنئي دَامَتْ ظِلُّهُ: الألعاب التي تعتمد على سرعة الحركة وخفّة اليد لا بأس بها إذا لم يصدق عليها عنوان الشعبذة.

ب. **حكمه:** فعل التنجيم حرام، والتكسّب به حرام.

ج. يجوز الإخبار عن الخسوف والكسوف، وولادة الهلال، ونحو ذلك، بعد كونه ناشئاً عن أصول وقواعد سديدة.

الدرس الرابع والعشرون

أحكام النظر واللمس

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى أحكام النظر.

2 . يتعرّف إلى أحكام اللمس.

3 . يلتزم بأحكام النظر واللمس.

أحكام النظر واللمس

1. **أوَّلاً: الزوج والزوجة:**

أ. يجوز لكلّ من الزوجين أن يمسّ كلّ عضو من جسد الآخر، ظاهره وباطنه، بأيّ عضو من بدنه، بدون استثناء.

ب.يجوز لكلّ منهما النظر إلى جميع بدن الآخر، بدون استثناء.

ج. يجب على الزوجة أن تستجيب لزوجها بحقّه في الاستمتاع إن لم تكن مريضة مرضاً يمنع من ذلك.

د. لا يجوز مشاهدة الأفلام الإباحية، مع الزوج أو بدونه، وإن كان بقصد التعلّم، لما يترتّب عليه من مفسدة، فإنّ المشاهدة لا تنفكّ عن النظر المحرّم.

2. **ثانياً: نظر ولمس المحارم والمماثل:**

أ. يجوز للمرأة النظر إلى بدن مماثلتها، ما عدا العورة، بدون تلذذ وريبة، وأمّا معها فيحرم، والمراد بالعورة في المرأة القبل والدبر.

ب.يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن محارمها بدون تلذذ وريبة، ما عدا العورة، والمراد بالمحارم من يحرم نكاحهم عليها من جهة النسب أو الرضاع أو المصاهرة.

كل ما يحرم النظر إليه يحرم لمسه مطلقاً، فلا يجوز لمسُ الأجنبي الأجنبية، وكذا لا يجوز للأجنبية لمس الأجنبي.

3. **ثالثاً: النظر واللمس للأجنبية:**

أ. يجب على المرأة أن تستر كامل جسدها عن الناظر الأجنبي، عدا ما استثني، وهما الوجه والكفّان.

ب. الوجه والكفّان: لا مانع من النظر إلى الوجه والكفين من بدن الأجنبية إذا لم يكن بتلذّذ وريبة، وإلا فلا يجوز النظر.

ج. يجوز للرجل سماع صوت الأجنبية، وأن تُسمِع هي صوتَها للرجل، مع عدم التلذّذ والريبة، وإلا فيحرم السماع والإسماع.

د. إذا أجرت الخنثى عملية تغيير الجنس فأصبحت رجلاً واقعاً، فيجب على المرأة التستر عنه، أمّا إذا صارت أنثى فلا يجب التستر عنها.

4. **رابعاً: النظر واللمس للأجنبي:**

أ. يجب على الرجل أن يستر من جسده العورتين فقط، ولا يجب عليه التستر عن النساء، وإن حرم عليهنّ النظر إلى غير ما اعتاد كشفه، كالفخذين والظهر ونحوهما، وإن وجب عليه الستر من باب النهي عن المنكر.

ب. النظر للأجنبي: لا يجوز للمرأة النظر إلى جسد الرجل حتى بدون تلذّذ وريبة، ويستثنى ما تعارف كشفه كالرأس والرقبة ونحو ذلك.

ج. لا مانع من نظر المرأة إلى وجه الرجل ورأسه ورقبته ويديه إلى المرفقين، من دون قصد التلذذ والريبة.

د. مشاهدة المرأة للعب الرجال (كرة قدم مثلاً) وهم يرتدون الملابس القصيرة (الشورت) ويظهر جزء من الفخذ، وقد يخلعون القميص أحياناً؛ إذا كان بالبث المباشر، أو كان بقصد التلذذ والريبة، أو كان فيه خوف الفتنة والفساد فلا تجوز، وإلا فلا بأس بذلك.

تواجد المرأة في أماكن عامة، كسواحل البحار وشطوط الأنهار، ومشاهدة الرجال وهم يرتدون الملابس القصيرة، إذا استلزم من ذلك النظر المحرّم، أو كان النظر بقصد التلذذ والريبة، أو كان فيه خوف الفتنة والوقوع في الحرام، فلا يجوز التواجد فيها، وإلا فلا بأس بذلك.

6. يجوز السلام على الأجنبي إذا لم يترتب على ذلك ريبة أو خوف الفتنة.

7. لا يجوز مصافحة الأجنبي- ولو كان مجنوناً- إذا لم يكن في البين حاجب، حتى لو كان في ترك المصافحة وقوع في الحرج الشديد أمام الآخرين.

5. **خامساً: نظر ولمس المميِّز:**

أ. يجوز النظر واللمس لغير المميّز، إلا إذا أدى ذلك إلى إثارة الشهوة؛ بمعنى أن المميّز خارج عن أحكام النظر واللمس بغير شهوة.

ب.لا يجب على المرأة التستر عن المميّز، نعم إذا بلغ مبلغاً يترتب على النظر منه ثوران الشهوة فعلاً فيجب التستر عنه، بل الأحوط وجوباً ذلك حتى لو كان سيؤدّي ذلك إلى إثارة الشهوة مستقبلاً.

6. **سادساً: موارد جواز النظر أو اللمس**

يستثنى من حرمة النظر واللمس:

أ. مقام المعالجة مع عدم وجود الطبيب المماثل، كمعرفة النبض وجبر الكسر ونحوها إذا لم تمكن بآلة.

ب.مقام الضرورة، كما إذا توقف استنقاذ المكلّف من الغرق على النظر واللمس. ويُقتصر في المقامين على مقدار الضرورة.

الدرس الخامس والعشرون

أحكام الستر والزينة والاختلاط

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . تتعرّف إلى أحكام الستر والحجاب.

2 . تراعي الأحكام الشرعية للزينة.

3 . تفهم أحكام الاختلاط المحرّم وتلتزم بها.

أحكام الستر

يجب على المرأة البالغة التستّر أمام الأجانب (غير المحارم) بتمام بدنها، ما عدا الوجه والكفين، وهنا عدّة أحكام، وهي:

1. حدّ الوجه الجائز كشفه هو نفسه حدّه في الوضوء، وهو من منبت الشعر إلى طرف الذقن (الفكّ الأسفل) طولاً، وما دارت عليه الإبهام والوسطى عرضاً. ويجب ستر شيء من الوجه من باب المقدمة العلميّة (أي: أن تتأكّد أنّها سترت ما يجب ستره).
2. حدّ الكفّين الجائز كشفهما من أطراف الأصابع إلى الزند (الفاصل بين الكفّ والذراع). ويجب ستر شيء من الكفّين من باب المقدّمة العلميّة.
3. لا يجب على المرأة ستر الوجه والكفين إلا إذا خافت الفتنة والفساد.

أحكام اللباس

1. يجب في لباس المرأة أن لا يحاكي تفاصيل الجسد.
2. لا مانع من ارتداء أنواع الثياب التي تشتمل على لون واحد أو عدة ألوان، ما لم يكن ملفتاً لنظر الأجنبي، أو عُدّ زينة عرفاً، أو كان يؤدّي إلى ترتب مفسدة.
3. لا إشكال في الاستفادة من الجورب النسائي الشفاف الذي لا يستر القدمين في البيع أو الشراء واللباس، ما لم تلبسه المرأة أمام الأجانب، ولم يكن ترويجاً للثقافة الغربية، أو مغايراً للآداب الإسلاميّة.
4. لا إشكال في ارتداء المرأة الأحذية بلون واحد أو ألوان متعددة، ما لم يكن ملفتاً، أو يؤدي إلى ترتب مفسدة، أو يعدّ زينةً عرفاً.

5. الأحوط وجوباً عدم جواز لبس المرأة الألبسةَ المختصّة بالرجال.
6. لباس الشهرة: هو اللباس الذي لا يُتوقع من الشخص أن يرتديه، من أجل لونه أو كيفية خياطته، أو من أجل كونه خَلِقاً أو غير ذلك، بحيث لو ارتداه بمرأى من الناس ومنظرهم لَلَفت أنظارهم إلى نفسه، وأشير إليه بالبنان.
7. إذا كانت المرأة مأمونة من نظر الرجال الأجانب ومن ترتب المفاسد، فلا بأس بارتدائها الملابس الضيقة، أو الحاكية لتفاصيل الجسد، أو الملابس الخلاعية في الأعراس ونحوها.
8. يجوز للمرأة بيع الألبسة الرجالية الداخلية، ما لم يكن مستلزماً لترتب مفاسد أخلاقية واجتماعية.
9. لا مانع شرعاً على المرأة من استيراد الألبسة الأجنبية وبيعها وشرائها واستعمالها، ما لم يعدّ نشراً للثقافية الغربية، أو تشبّهاً بثقافة الغرب، أو منافياً للعفّة والآداب الإسلاميّة.

أحكام الاختلاط والخلوة

1. الاختلاط هو اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد، سواء في بيت أو سوق أو طريق... فكلّ لقاء لأحد الجنسين مع الآخر هو نوع من أنواع الاختلاط.
2. الخلوة المحرّمة هي إذا اجتمع الرجل والمرأة في مكان ليس في معرض دخول أو رؤية الغير له.
3. إن كان الرجل والمرأة يخافان الوقوع في الحرام، فيجب أن يتركا المكان.
4. يجوز للمرأة إسماع صوتها للأجانب إذا لم يكن فيه خوف فتنة. نعم، يحرم عليها المكالمة مع الرجال بكيفيّة مهيّجة، بترقيق القول، وتليين الكلام، وتحسين الصوت.
5. يجوز للمرأة الركوب في سيارة سائقها الأجنبي- إذا كان لديها سائق خاص، أو كانت تعمل في مؤسسة ما- ويتمّ إيصالها إلى منزلها، ما لم يصدق عليه الخلوة، وكانت تأمن من الوقوع في الحرام أو المفسدة والريبة.

ضوابط الاختلاط

يجب على المرأة والرجل عند الاضطرار إلى الاختلاط مراعاة الأمور الآتية التي تساعد على جعل الاختلاط غير محرّم، وهي تقريباً الأحكام الفقهية السابقة، ولكن نوردها من باب التوضيح أكثر، وهي:

وتفصيل ذلك:

1. **ترك النظر المحرّم:** يجب عليهما ترك النظر المحرّم على التفصيل المتقدم.
2. **عدم إمعان النظر:** بمعنى أن لا يطيل الرجل النظر إلى المرأة، وكذا العكس، والغضّ هو الخفض والنقصان من الطرف، وغضّ البصر يعني عدم التحديق والإمعان في الشيء.

3. **ترك التبرّج والزينة:** يجب للمرأة ترك التبرج والزينة بجميع أقسامهما في حال الاختلاط ووجود الناظر الأجنبي.
4. **ترك الرائحة والطِّيب:** يجب على المرأة ترك الطيب الذي تنبعث منه الرائحة، إذا كان يؤدي إلى الريبة أو حصول مفسدة.
5. **عدم المصافحة:** حيث يحرم على المرأة أن تصافح الأجنبي، كما يحرم على الرجل أن يصافح الأجنبية.
6. **ترك المزاح والضحك:** ينبغي ترك المزاح والضحك حال الاختلاط، حيث إنّ ذلك لا ينفكّ عن حصول المفسدة بين الطرفين، ولو أدّى إلى المفسدة أو الفتنة والريبة فلا يجوز.
7. **ترك الخضوع في القول:** وهو بمعنى أن يتمّ تأدية الكلام بطريقة تحتوي على الميوعة، مما يثير الريبة بين الطرفين.

أحكام الزينة- التطيّب- التنظيف

مدح الإسلام التزيّن للمرأة بل وجعله من الأمور الواجبة عليها مع الزوج، لكن ضمن دائرة محدّدة من الناس، روي عن رسول الله ﷺ: لامرأة سألته عن حقوق الزوج على زوجته.. قال: «**على المرأة أن تتطيّب بأطيب طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، وتتزيّن بأحسن زينتها...** »[1]. وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**لا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال وهنّ: ...وإظهار العشق له بالخلابة، والهيئة الحسنة لها في عينه**»[2]. ويفهم من هذا أنّ الزينة ممدوحة، بل واجبة أحياناً، ولكنّها محرّمة في موارد أخرى، وهذا ما سنوضحه ضمن أحكام الزينة الشرعية الآتية:

1. لا يجوز إظهار كل ما يعدّ زينة عرفاً إذا أدّى إلى ترتب مفسدة، أو كان ملفتاً لنظر الأجنبي.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص508.
(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج75، ص237.

2. يجوز استخدام جمع أنواع الطيب، إلا إذا ترتبت عليها مفسدة، أو كانت ملفتة لنظر الأجنبي، فلا يجوز.
3. يجوز استخدام مساحيق التجميل التي تؤدي إلى تكبير الشفاه والخدود عن الحد الطبيعي إذا لم تعدّ زينة عرفاً، وإلا فلا يجوز إظهارها أمام الأجنبي.
4. يجوز استخدام كريمات تفتيح البشرة، ما لم تكن ملفتة لنظر الأجنبي أو عدّت زينة عرفاً.
5. يجوز للمرأة حفّ حواجبها، ولا إشكال في ذلك، إلا إذا عدّ زينة عرفاً، فيجب عليها ستره عن الأجنبي.
6. دقّ الحاجب في نفسه جائز، إلا إذا عدّ زينة عرفاً، فيحرم إظهارها أمام الأجنبي.
7. يجوز وضع الحنّاء على الجسد إذا لم يُعدّ إظهارها زينة عرفاً، وإلا حرم ذلك.
8. وضع الوشم على الجسد في نفسه جائز، إلا إذا عدّ إظهاره زينة عرفاً، وإن كان لا ينبغي للمؤمنة فعل ذلك.

الدرس السادس والعشرون

عقد الزواج

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يشرح أحكام عقد الزواج وشروطَه.

2 . يبيّن أحكام أولياء العقد.

3 . يلخّص أحكام المهر.

صيغة العقد

1. لا يتحقّق التزويج بمجرّد الرضا القلبيّ من الطرفين، كما لا يتحقّق بالكتابة، ولا بالإشارة المفهمة من غير الأخرس، بل لا بدّ من صيغة خاصّة يتلفّظ بها الطرفان ليتحقّق الزواج الشرعيّ.
2. يتركّب عقد النكاح من إيجاب من الزوجة وقبول من الزوج، ولا يصحّ الإيجاب من الزوج والقبول من الزوجة. ويتحقّق الإيجاب من الزوجة بعدة صِيَغ، كأن تقول: أَنْكَحْتُكَ نَفْسِي، زَوَّجْتُكَ نفسي، وغيرها.
3. لا بدّ في الإيجاب من أن يكون بلفظ «**أنكحت**»، أو بلفظ «**زوّجت**».
4. يشترط عدم الفصل المعتدّ به بين الإيجاب والقبول.
5. يمكن للزوجين أن يُجريا العقد بنفسَيهما، دون حاجة إلى التوكيل، ويجوز التوكيل في عقد النكاح بأن يأخذ الوكيل وكالة الإيجاب من الزوجة، ولا يشترط في الوكالة صيغة خاصّة، بل تقع الوكالة بأيّ وسيلة مفهمة، ولا يشترط أن تكون باللغة العربيّة، بل تصحّ الوكالة بأيّ لغة مفهمة.

شروط العقد

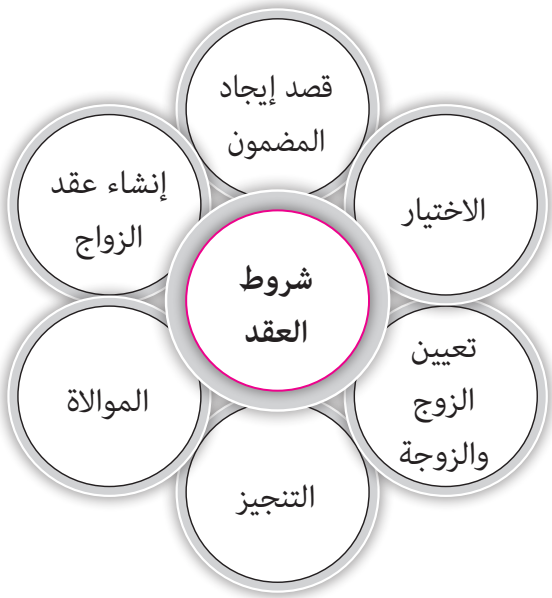

وتفصيل ذلك:

الأوّل: القصد إلى إيجاد مضمونه، وهو يتوقّف على فهم معاني الألفاظ الواردة في العقد، كلفظ (زوّجت).

الثاني: أن يكون قاصداً بقوله: «**أنكحت**» أو«زوّجت» إنشاءَ عقد الزواج، وليس الإخبار والحكاية.

الثالث: الموالاة، بمعنى عدم الفصل المعتدّ به بين الإيجاب والقبول.

الرابع: التنجيز، بمعنى عدم تعليق العقد على فعلٍ أو مجيء زمان، فلو قالت الزوجة مثلاً: «**زوّجتك نفسي على المهر المعلوم بشرط مجيء زيد**» يبطل العقد، ولا يصحّ حتّى لو جاء زيد.

الخامس: تعيين الزوج والزوجة، بحيث يمتازان عن غيرهما.

السادس: الاختيار، فلا يصحّ العقد ممّن أُكرهت على التزويج. نعم لو رضيت المكرَهه فيما بَعْدُ بالعقد صحّ، من دون حاجة إلى تجديد العقد.

لا يصحّ للزوجة أن تشترط على زوجها في عقد الزواج أن لا يتزوّج عليها، فإذا أجري العقد مع هذا الشرط يبطل الشرط، ويصحّ العقد بلا شرط.

أولياء العقد

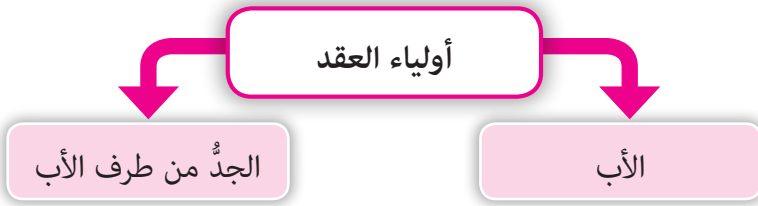

1. الأب، والجدّ من طرف الأب (أي: أب الأب) فصاعداً، لهم ولاية النكاح على البنت البالغة الرشيدة[1] البكر، فيجب عليها أن تستأذن الوليّ على الأحوط وجوباً.
2. إذا مات الأب والجدّ للأب، تستقلّ البالغة الرشيدة البكر في تزويج نفسها، ويستحبّ لها أن تستأذن أخاها، ومع تعدّد الأخ يستحبّ أن تستأذن أخاها الأكبر.
3. لا ولاية للأمّ ولا للعمّ والخال والأخ وأولادهم عليها.
4. إذا تزوّجت البالغة البكر الرشيدة بإذن وليّها، إلّا أنّ بكارتها بقيت، ثمّ طلّقها زوجها، أو مات، وأرادت الزواج من جديد، فالأحوط وجوباً استئذان وليّها.
5. لا ولاية للأب والجدّ للأب على البالغة الرشيدة إذا كانت ثيّباً فيما لو زالت بكارتها بالوطء، نعم يستحبّ لها أن تستأذن أباها أو جدّها، وإن لم يكونا فأخاها، ومع تعدّد الأخ يستحبّ استئذان الأخ الأكبر.

المهر

ويقال له الصداق[2]، ويشترط فيه أن يكون مماّ يَسمح الشرع الحنيف بتملّكه، من عين أو منفعة، كما يُشترط فيه أن يكون مما يُتموّل عرفاً، فلا يصحّ جعله ثواباً على عمل، كقراءة القرآن مثلاً.

---

(1) الرشيد هو من يُحسِن التصّرف على طريقة العقلاء ومسلكهم بالنسبة إلى أمواله تحصيلًا وصرفاً. ويقابله السفيه الذي يمكن خداعه بسهولة، ولا يبالي بانخداعه، ويصرف ماله في غير موضعه، ويتلفه بغير محلّه.

(2) الصداق يجوز بفتح الصاد وكسّرها.

1. **تعيين المهر:**

يشترط تعيين المهر بما يخرجه عن الإبهام، وتكفي المشاهدة. ولا يقدّر المهر بقدر، بل يصحّ كلّ ما تراضى عليه الزوجان، كثيراً كان أو قليلاً.

يجوز أن يجعل المهر كلّه حالّاً بلا أجل، ويجوز أن يجعله كلّه مؤجَّلاً، ويجوز أن يجعل بعضه حالّاً وبعضه مؤجّلاً.

ويستحبّ في جانب الكثرة أن لا يزيد المهر على مهر السُّنّة، وهو خمسمئة درهم، ويعادل 1260 غراماً من الفضّة من العيار الأعلى.

2. **استحقاق المهر:**

أ. تملك المرأة المهر بمجرّد العقد، وتستقرّ ملكيّتها له بتمامه بعد الدخول بها قبلاً أو دبراً. نعم ليس لها المطالبة به إن كان مؤجّلاً، إلا عند حلول أجله.

ب. المهر حقّ للزوجة، يجوز لها أخذه، كما يجوز لها أن تبرئ ذمّة زوجها منه أو من بعضه.

ج. تستحقّ الزوجة المهر المؤجَّل إذا طلّقها زوجها أو مات، كما وتستحقّ المؤجّل إذا ماتت، وينتقل إلى ورثتها.

الدرس السابع والعشرون

الطلاق و العِدَد

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعدّد شروط الطلاق.

2 . يبيّن أنواع الطلاق.

3 . يستذكر أنواع العِدَد وأحكامَها.

شروط الطلاق

يشترط في صحّة الطلاق أمران:

الأوّل: تعيين المطلَّقة.

الثاني: حضور شاهدين عدلين ذكَرين يسمعان إنشاء الطلاق.

شروط المطلَّقة

يشترط في الزوجة التي يراد تطليقها ثلاثة شروط:

الأوّل: أن تكون زوجة دائمة.

الثاني: الطهارة من الحيض والنفاس حال الطلاق، إلّا فيما استثني.

الثالث: أن تكون مستبرأة بحيضة بعد المواقعة، فلا يصحّ طلاقها لو طلّقها في طهر جامعها فيه، أو في طهر لم يجامعها فيه ولكنّه جامعها في الحيض السابق عليه.

موارد صحّة الطلاق في طهر المواقعة

يصحّ طلاق الزوجة في طهر قد جامعها زوجها فيه في أربعة موارد:

الأوّل: اليائسة.

الثاني: الصغيرة، مع كون الدخول بها حراماً.

الثالث: الحامل.

الرابع: المسترابة، بشرط أن يكون طلاقها بعد مضيّ ثلاثة أشهر من زمان آخر مواقعة. والمسترابة هي المرأة التي تكون في سنّ من تحيض، ولكنّها لا تحيض لخِلقة أو عارض.

صيغة الطلاق

1. لا يقع الطلاق إلّا بصيغة خاصّة، وهي: «**أنْتِ طالقٌ**»، أو «**فلانة زوجةُ موكّلي فلانٍ طالقٌ**»، ونحو ذلك.
2. يجب أن تكون الصيغة باللغة العربية مع الإمكان، ومع العجز عن اللغة العربيّة يصحّ بما يرادف العربيّة من سائر اللغات.

أقسام الطلاق

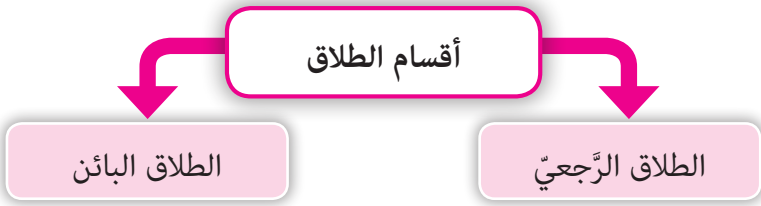

الأوّل: الرَّجعيّ:

1. تعريفه الطلاق الرَّجعي:

هو ما يحقّ للزوج فيه أن يُرجع زوجته إليه ما دامت في العدّة، بلا فرق بين رضاها وعدمه، ولا يحتاج في إرجاعها إلى عقد جديد.

2. أحكام الطلاق الرجعي:

أ. تكون الرجعة بالقول والفعل، ويكون القول بكلّ لفظ دلّ على إنشاء الرجوع، كقوله: «**رَاجَعْتُكِ إلى زواجي**»، والفعل بأن يفعل بزوجته ما لا يحلّ إلّا للزوج، كالتقبيل واللمس والنظر بشهوة، قَصَدَ به الرجوع أم لم يقصد.

ب. لا يعتبر الإشهاد في الرجعة.

ج. المطلَّقة بالطلاق الرجعيّ بحكم الزوجة في الآثار، فيجب على الزوج المطلِّق أن ينفق على مطلّقته، سواء أكانت حاملاً أم لم تكن. ويجب لها على زوجها السُّكنى والكسوة ما لم تَصِرْ ناشزة. وإذا مات أحدهما في العدّة الرجعيّة يتوارثان.

د. لا يجوز للمطلَّقة رجعيّاً أن تخرج من بيت زوجها أثناء عدّتها إلّا بإذنه، نعم يجوز

لها الخروج بدون إذنه لضرورة أو لواجب مضيّق.

الثاني: البائن:

هو ما لا يحقّ للزوج فيه أن يُرجع زوجته إليه إلّا بعقد جديد وبرضاها، أو برجوعها في البذل في مثل الخُلع والمباراة في العدّة، فيُرجعها إذا أراد. ويوجد قسم آخر من البائن لا يجوز فيه الرجوع أصلاً ولو بعقد جديد، كما سيأتي.

أقسام الطلاق البائن:

الطلاق البائن سبعة أقسام:

الأوّل: طلاق الصغيرة، ولا عدّة عليها.

الثاني: طلاق اليائسة، ولا عدّة عليها.

الثالث: طلاق غير المدخول بها، ولا عدّة عليها.

الرابع: طلاق الخُلع مع عدم رجوع الزوجة عمّا بذلته للزوج. (والخُلع طلاق الزوجة الكارهة لزوجها، مع بذلها فداءً ليطلّقها).

الخامس: الطلاق الثالث إذا رجع الزوج بعد الطلاق الأوّل وبعد الطلاق الثاني، بلا

فرق في الرجوع بين كونه بعقد جديد أو بإرجاع في العدّة الرجعيّة، وهكذا الطلاق السادس والتاسع.

السادس: يصير الطلاق الرجعيّ بائناً إذا انقضت العدّة ولم يرجع الزوج إلى زوجته أثناءَ العدّة.

العدد

1. عدّة الوفاة:

أ. إذا مات الزوج وجب على زوجته عدّة الوفاة، بلا فرق بين الصغيرة واليائسة وغيرهما، والمدخول بها وغيرها، والحامل وغيرها.

ب. عدّة غير الحامل أربعة أشهر وعشرة أيّام هلاليّة.

ج. عدّة الحامل المتوفّى عنها زوجها أو المطلَّقة رجعيّاً وقد توفّي زوجها في عدّتها؛ أبعدُ الأجلين من المدّة ووضع الحمل، فتأخذ بالأطول منهما، فلو وضعت حملها قبل أربعة أشهر وعشرة أيّام فعدّتها تنتهي بانتهاء الأربعة أشهر والعشرة أيّام، وإذا انقضت الأربعة أشهر والعشرة أيّام قبل وضع الحمل فتنتهي عدّتها بوضع الحمل.

د. تبدأ عدّة الوفاة من حين وصول خبر الوفاة إلى الزوجة، فلو مات الزوج ولم تعلم الزوجة إلّا بعد مدّة، ولو طويلة، فعندما يصلها خبر وفاته تبدأ بالعدّة.

هـ. يجب الحداد على المرأة ما دامت في عدّة الوفاة.

و. يجب في مدّة الحداد ترك الزينة في البدن واللباس، كالتكحُّل والتطيّب والخضاب وسائر وسائل التجميل، وتترك لباس الزينة. وبالجملة، تترك كل ما يعدّ زينة تتزيّن بها للزوج، وفي الأوقات المناسبة له في العادة، كالأعياد والأعراس ونحوها.

ز. يختلف التزيّن بحسب الأشخاص والأزمان والبلاد، فيُلاحَظ في كلّ بلد ما هو المعتاد والمتعارف فيه للتزيّن.

ح. يجوز للمرأة في مدّة الحداد تنظيف بدنها ولباسها، وتسريح شعرها وتقليم أظافرها، وافتراشها بالفراش الفاخر، والسكن في منزل مزيّن، وتزيين أولادها

وخَدَمها، والخروج للعمل وتأمين حوائجها، ولكلّ أمر راجح كالحجّ والزيارة وعيادة المرضى وزيارة أرحامها، ولا سيّما والدَيها.

2. **عدّة المطلَّقة**

أ. الصغيرة: لا عدّة على الصغيرة غير البالغة.

ب. اليائسة: لا عدّة على اليائسة، حتّى لو كانت مدخولاً بها.

ج. غير المدخول بها: لا عدّة على غير المدخول بها قُبُلاً ودبراً، مهما كان عمرها.

د. عدّة الحامل: عدّة الحامل تنتهي بوضع الحمل، حتّى لو كان الوضع بعد الفراق عن الزوج بلا فصل.

هـ. عدّة الحائل: إذا طُلّقت الحائل (غير الحامل) المدخول بها، ففيها ثلاثُ صور:

الأولى: إذا كانت تحيض فعدّتها ثلاثة أطهار، والطهر الذي وقع الطلاق فيه يُحسَب من الثلاثة، وتنقضي عدّتها عند بدء الحيض بعد انقضاء الطهر الثالث.

الثانية: إذا كانت لا تحيض وهي في سنّ من تحيض (أي: بالغة غير يائسة) فعدّتها ثلاثة أشهر هلاليّة.

الثالثة: إذا كانت تحيض ولكنّ الطهر الفاصل بين حيضتين ثلاثة أشهر أو أزيد، فتكون عدّتها ثلاثة أشهر.

مبدأ عدّة الطلاق

تبدأ عدّة الطلاق من حين وقوع الطلاق، بلا فرق بين وصول خبر الطلاق إلى الزوجة وعدمِه، وبلا فرق بين كون الزوج حاضراً أو غائباً، فلو طلّقها مع كونها غائبة عنه، ولم يبلغها الخبر إلّا بعد مضيّ مقدار العدّة – مثلاً – فقد انقضت عدّتها.

المحور الثالث

المرأة والأسـرة

الدرس الثامن والعشرون

مكانة المرأة في الإسلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى مكانة المرأة في المجتمعات الإنسانيّة.

2 . يشرح مكانة المرأة ودورها في الإسلام.

3 . يلخّص حقوق المرأة في الإسلام.

تمهيد

تُعتبر المرأة العنصر الإنساني المكمّل للحياة البشريّة، فمنذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم، خلق معه زوجه حوّاء، فلا تكامل للحياة إلا بوجود المخلوق الثّاني، وهو المرأة.

إلاّ أنّ المجتمعات الإنسانية الفاسدة سارت عكس الأهداف الإلهية المرجوّة من خلق الإنسان، وكذلك من خلق العنصر المكمّل له، فاعتبرت أنّ المرأة هي كائن ضعيف، لا يمتلك أي اعتبار، بل هي مجرّد مخلوق يقع تحت تملُّك الرجل وتصرّفه.

ولمّا بزغ نور الإسلام، أضحت المرأة في كنف الشريعة الإسلاميّة معززةً مكرَّمة، شامخة، فهي مكرّمة ببُعدها الإنساني.كما منحها حقوقها الإنسانية، وهي مخاطبة بالتّكاليف الإلهيّة كالرّجل، ولديها حقوق وعلى عاتقها أدوارٌ وواجبات في الميادين المختلفة من الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، وغيرها من الميادين في مسيرة التّكامل البشري. وأضحت المرأة كما وصفها الإمام الخميني قدس سره: «**رمزُ تحقق آمال البشرية**»[1].

الهويّة الإنسانيّة للمرأة

خلق الله الإنسان وصوّره في أحسن تقويم؛ قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾[2]، وخلق منه الذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾[3]، فكانت المرأة شريكة الرجل في نيل نعمة الوجود، نشأت معه من نفسٍ واحدة وبحقيقة

(1) الإمام الخميني، صحيفة الإمام (تراث الإمام الخميني قدس سره)، مؤسّسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران - إيران، 1430هـ - 2009م، ط1، ج7، ص341.

(2) سورة التين، الآية 4.

(3) سورة القيامة، الآية 39.

وجوهر إنسانيّ واحد، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[1].

فالمرأة في أصل خلقتها التكوينيّة، كائنٌ مركبٌ من جسد وروح، متقوّمٌ ببُعدين، هما البُعد المادي والبُعد المعنوي:

1. البُعد المادي: هو البُعد الجسديّ الذي يعطي الهويّة الأنثويّة للمرأة، وتتميَّز به عن الرجل، وهذا البُعد هو البُعد الطبيعي التكويني المادّي، والمحدّد منذ الولادة فلا يخضع للاختيار، ولا تحدّده الظّروف البيئيّة، أو العوامل التاريخيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، أي لا يحتاج إليها لتمامه وكماله، فالمرأة تعلم أنّها أنثى بفطرتها، وتحدّد إلى أيٍّ جنس من البشر تنتمي بالعقل والإدراك والشعور، وقبل دخول أي عنصر ينمّي لها هذا البُعد الوجوديّ الأنثوي.
2. البُعد المعنوي: هو البُعد الرّوحي، والفكري والعاطفي والنّفسي، والعقلي الذي يشترك فيه الرجل والمرأة على حدٍّ سواء، ويتميّزان به عن سائر الخلق. وهو البُعد الذي يملك قابليّة حمل القيَم الأخلاقيّة والإنسانيّة، ويشكّل المعيار في درجة التكامل.

والمرأة تتّخذ هويّتها وشخصيّتها على أساس التّلازم بين هذين البُعدين، وانعكاس كلّ منهما على الآخر، حيث أنّه لا يمكن الفصل بين البُعد المادّي بما هو أنثوي والبُعد المعنوي الروحي والفكري بمقتضى الفطرة والوجدان. وانطلاقاً من هذين البُعدين، تتحدّد وظائف المرأة وترتسم معالم أدوارها في مسيرة التكامل الإنساني.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ التّمايز بين الرجل والمرأة أمرٌ واقع، ولكنه ليس محلّاً للأشرفية والأفضلية الإنسانية لأحدهما على الآخر، بل لِما يقتضيه تقسيم الوظائف والأدوار بينهما.

مكانة المرأة في الثقافة الغربية

تحتلّ المرأة في الثقافية الغربية مكانةً خطيرة، لا تنسجم مع طبيعتها ونشأتها، وكذلك لا تنسجم مع الغاية والهدف الذي خلق الله سبحانه وتعالى لأجله المرأة، بل لقد أوصل

(1) سورة الأنعام، الآية 98.

الغرب المرأة إلى مستويات البأس والشقاء الاجتماعي والمعنوي والروحي، حيث كانت تعتبر سلعة بيد الرجال، يقول الإمام الخامنئي دام ظله: « **يعلم المطّلعون على الآداب الغربية والقصص والأشعار والرّوايات والمسرحيات الأوروبية، أنَّ الثقافة الأوروبية منذ القرون الوسطى وما سبقها إلى أواخر القرن الحالي، كانت تنظر إلى المرأة على أنها موجود من الدرجة الثانية، وكلّ ادّعاء يخالف هذه النظرة، فهو ادّعاء باطل، ...الرجل في الآداب الأوروبية هو السيّد والمالك لناصية المرأة**».

عندما تتزوج المرأة في ظلّ تلك الثقافة الأوروبية، لا تصبح هي وحدها مُلكاً للزوج، وإنما تصبح جميع ممتلكاتها وأموالها وكلّ ما لديها من أبيها ومن عائلتها مُلكاً للزوج أيضاً! وهذا ما لا يمكن للغربيّين إنكاره لأنه كان في صلب ثقافتهم...، وكانت العلاقات بين الرجال والنساء عندهم، حتى في ذلك العصر، مُباحةً إلى حدٍّ ما[1].

وحتى أوائل هذا القرن، أي حتى العقدين الثاني والثالث من هذا القرن الميلادي ـ لم يكن للنساء في البلدان الغربية حقّ التملُّك بمعناه الحقيقي! أي أنّ المرأة إذا تزوجت لا يجوز لها التصرُّف بثروتها بدون إذن زوجها[2].

وقد استمرّت الثقافة الغربية تسير على هذه الوتيرة حتى أواسط القرن الحالي، علماً أن هناك حركات قد ظهرت تحت عنوان تحرير المرأة، وبدأت نشاطها منذ أواخر القرن الميلادي التاسع عشر[3].

إنّ أساس الثقافة الغربية كان ولا زال حتى عصرنا الحالي مبني على جعل المرأة بضاعةً لمُتعة الرجل[4].

---

(1) خطاب الإمام الخامنئي دام ظلّه بمناسبة ولادة الصديقة الطاهرة عليها السلام ويوم المرأة، في طهران - ملعب الحرية الرياضي، بحضور جموع غفيرة من النساء المؤمنات، بتاريخ 1418/06/19هـ.ق.

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظلّه بمناسبة الذكرى السنوية الثامنة لرحيل الإمام الخميني قدس سره، في طهران، بحضور جموع غفيرة من أبناء الشعب، بتاريخ 1418/01/28هـ.ق.

(3) خطاب الإمام الخامنئي دام ظلّه بمناسبة ولادة الصديقة الطاهرة عليها السلام ويوم المرأة، في طهران - ملعب الحرية الرياضي، بحضور جموع غفيرة من النساء المؤمنات، بتاريخ 1418/06/19هـ.ق.

(4) الإمام الخامنئي دام ظلّه، خطاب الولي 2012م، إعداد لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلاميّة الثقافية، لبنان - بيروت، 1434هـ - 2013م، ط1، ص238.

وفي المحيط الاجتماعي الغربي، تشكّلت الثقافة التي تعتبر أنّ المرأة هي طرفٌ يُنتفع به ويُستفاد منه، من جانب الطرف المنتفِع [أي الرجل]. وللأسف إنّ هذا موجود اليوم في الثقافة الغربية، والآخرون قلّدوه وساروا على هذا الطريق، وصار الأمر هكذا في العالم. ولو تحدّث أحد بخلاف ذلك لقاموا عليه. ثم إنّ الغربيّين يتحمّلون المسؤولية الجسيمة أمام المرأة، فلقد خانوا المرأة. وإنّ الحضارة الغربيّة لم تمنح المرأة شيئاً يُذكر. وإنّ ما أدّى بالغربيّين إلى حافّة الهاوية وساق الحضارة الغربية إلى شفا الانهيار، هو ما تفشّى في المحيط النسوي من انحراف وتحلُّل وابتذال.

هذا بالإضافة إلى الانهيار الأخلاقي الكبير الذي أَبعد المرأة عن دورها الحقيقي في الوجود، حيث أُريد لها أن تكون نسخة أخرى عن الرجل الذكر، ما أفقدها دورها الأُسري الفاعل، وفتح لها أبواب الحريّة – حسب دعواهم – التي أسقطتها في الهاوية وحرفتها عن فطرتها.

فلقد جرّوا المرأة إلى الابتذال وأفسدوها حتى داخل الأسرة. وها هي الصحف الأمريكية والأوربية والفنون القضائية، تُطلعنا دائماً على ارتفاع نسبة تعذيب المرأة، ومعاملتها بوحشيّة، بل وقتلها وتعذيبها بأبشع الأساليب[1].

نتائج ظلم المرأة في الغرب

1. تهاوي بُنيان الأسرة:

إنّ أُولى أو ربّما إحدى أوائل النتائج السلبيّة لهذا الأمر[لظلم المرأة في الغرب]، هو تلاشي العائلة، فقد تهاوى بُنيانها، وعندما يتزلزل بُنيان العائلة في مجتمعٍ ما ويتهاوى، تتأصّل المفاسد[2].

(1) خطاب الإمام الخامنئي دَامَ ظِلُّهُ بمناسبة مولد الصديقة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، في طهران، بحضور جموع من أعضاء المراكز والجامعات الثقافية والسياسة وأُسر الشهداء، بتاريخ 1413/06/21هـ.ق.

(2) الإمام الخامنئي دَامَ ظِلُّهُ، خطاب الولي 2013م، خطابه في لقاء جمع من مدّاحي أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بمناسبة ذكرى ولادة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، في طهران، بحضور جمع من الشّعراء والمدّاحين، بتاريخ: 1392/02/11 هـ.ش 1434/06/20 هـ.ق. 2013/05/01 م، إعداد لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلاميّة الثقافية، لبنان - بيروت، 1435هـ - 2014م، ط1، ص214.

2. نزعُ حياء المرأة وكرامتها:

لقد قاموا بأمرٍ، جعلوا فيه إحدى أهم وظائف المرأة - إنْ لم نقل الأهمّ على الإطلاق - هو التبرّج وإبراز جمالها بهدف تلذّذ الرجال، حتى أصبحت هذه من الخصائص الحتميّة واللّازمة للمرأة، ويطلقون عليه اسم «**الحريّة**»، بينما يُطلقون على نقيض هذا التوجّه اسم «**الأسر**» أو (القيد)! في حين أنّ احتجاب المرأة وحجابها، هو تكريمٌ لها، كما هو احترامٌ وحُرمةٌ لها. لقد حطّموا هذه الحُرمة، ويُمعنون في تحطيمها يوماً بعد يوم، مُطلقين على ذلك مُسمّيات عدّة[1].

3. نموّ ظاهرة المتاجرة بالنساء:

في عالمنا اليوم وطبق التقرير الصادرٌ عن الأمم المتحدة، وهو تقرير لمركزٍ رسمي: إنّ من أكثر التجارات نموّاً في العالم، هي المتاجرة بالنّساء وتهريب النّساء[2].

4. ارتفاع معدّل الأطفال اللّاشرعيين:

فظاهرة الأطفال اللّاشرعيين هي نتيجة ظاهرة الحياة المشتركة التي تحصل بدون زواج؛ أي هي في الحقيقة عبارة عن إبادة لمؤسسة العائلة والبيئة الحميمة والدافئة للأسرة وبركاتها، وحرمان الإنسان من هذه البركات، والتي هي جميعاً ناشئة من المشكلة الأولى [أي جهل الغرب لحقيقة المرأة][3].

---

(1) الإمام الخامنئي دام ظلّه، خطاب الولي 2013م، خطابه في لقاء جمع من مدّاحي أهل البيت عليهم السلام، بمناسبة ذكرى ولادة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، في طهران، بحضور جمع من الشعراء والمدّاحين، بتاريخ: 1392/02/11 هـ.ش 1434/06/20 هـ.ق. 2013/05/01 م، إعداد لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلاميّة الثقافية، لبنان - بيروت، 1435هـ - 2014م، ط1، ص214.

(2) كشف «التقرير العالمي الذي أعدّه مكتب الأمم المتحدة المعني بالجريمة والمخدرات، لعام 2011 م، عن قضية الاتّجار بالأشخاص.كما ذكر التقرير بأنّ ملياري شخص حول العالم، قد مورست عليهم جريمة الاتّجار بالبشر دون أن يتعرّض الجُناة للعقاب، وأشار التقرير إلى أنّ 70% من الضحايا هم نساءٌ وفتيات.

(3) الإمام الخامنئي دام ظلّه، خطاب الولي 2011م، خطابه في ذكرى ولادة الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام، بمناسبة ولادة بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء عليها السلام، في طهران، بحضور جمع من السيدات، بتاريخ 2012/05/12م، 1390/03/01 هـ.ش، 1432/06/18هـ.ق، إعداد لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلاميّة الثقافية، لبنان - بيروت، 2012م، ط1، ص165.

مكانة المرأة عند العرب قبل الإسلام

إنّ المرأة عند العرب في الجاهلية لم تلقَ التكريم اللائق بها، بل كانت مُهانةً ومحتقرة، حيث كانت البيئة العربية تَعتبر المرأة مُلكاً خاصاً بالرجل، وأنّ الرجل بيده كلّ مقاليد الأمور. ولما كانت المرأة أقلّ من الرجل قوّة، أصبحت منزلتها أقلّ من منزلته، إذ كان الرجل يحمل السّيف دفاعاً عن القبيلة في الحروب التي كانت لا تنقطع، طلباً لبسط الحماية وتوسيع النّفوذ، أو لتأمين المراعي وحماية القبيلة، وكانت المرأة تشكّل عندهم حالة من الخوف والرّعب من السّبي والعار.

لذا، كانوا حريصين على كثرة إنجاب البنين، في حين يكرهون ولادة الإناث، لأنهنّ لا يستطعنَ أن يمنعن الحمى، ولا يحمين الديار، ولا فائدة منهنّ عندما تتأزّم الأمور، وهنّ بعد ذلك هدف للعدوّ إذا أغار يقصدهنّ أوّل ما يقصد، فيكون السّبي الذي يورث القبيلة الذلّ والقهر ويجلّلها بالعار، حيث كانت تؤخذ غنيمة حرب، فتصبح مِلكاً لمن أسرها، له أن يبيعها أو يحتفظ بها[1].

وكان للعرب عادة اتجاه المرأة، وهي: وأد البنات، تعدّد أنواع النكاح الفاسد، والذي لا تتمثّل فيه أدنى القوانين والأخلاق الإنسانية، وتعدّد الزّوجات بلا حدود، والطّلاق بلا حدود. ومن جانبٍ آخر، كانت تُحرم المرأة من الميراث، ولا يُعطى لها المال في حال يُتمها.

المرأة في ظلّ الإسلام

1. مكانتها وموقعها:

بزغ نور الإسلام، وقدّم رسول الله ﷺ شريعةً إلهية متكاملة، أزاحت ستار الظُّلم عن المرأة، ورفعت مكانتها؛ لتجعلها أحد شطري البُنية الإنسانية في المجتمع. قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ

(1) أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار الكتاب العربي، لبنان – بيروت، 1487هـ - 1967م، ط7، ص 60، والمرأة بين التبرّج والتحجّب، ص 22، وموسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامّة للمرأة، ص 50 – 51.

لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[1]، فالأنثى والذّكر يشكّلان المجتمع الإنساني دون فرق بينهما، والمرأة صنو الرجل في الخلق والإنسانية. ورسول الله ﷺ يقرّر هذه الحقيقة بقوله: «**إنّما النّساء شقائق الرجال**»[2].

والأنثى في المنظور الإسلامي ذات خِلقة مستقلّة مماثلة لخلقة الذكر في استقلالها، على خلاف ما ورد قي سفر التكوين في التوراة، من أنّ الأنثى خُلقت من ضلع من أضلاع آدم. وهذا المبدأ في الخلقة جليٌّ في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[3] فالنّفس الواحدة، هي آدم وزوجها حوّاء، وإليهما ينتهي نسل المجتمع الإنساني، ومعنى قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا﴾[4] أي خُلق من جنسها، كالقول مثلاً: الخاتم من فضة أي من جنس الفضة، فالزّوجان متماثلان، ولولا التّماثل لما استقامت الحياة الإنسانية.

2. التكليف والمسؤولية:

ولقد شملت العناية الإلهية الإنسان لمّا جعلته أفضل الخلائق، وسخّرت له الشمس والقمر، ولا تختصّ هذه الكرامة بالذَكَر فحسب، بل هي عامّة تشمل الأنثى كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾[5]. فالكرامة الإلهية في الآية مُنِحَت لجميع بني آدم، ولم تلحظ الذكورة أو الأنوثة. ولأجل هذه الكرامة العامّة، جعل الذكر والأنثى في كفّة واحدة في ميزان المسؤولية والتّكليف الإلهي، كذلك في ميزان الثواب والعقاب الأخروي. حيث قال

(1) سورة الحجرات، الآية 13.

(2) الترّمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1403هـ - 1983م، ط2، ج1، ص75، كتاب الطهارة، باب من جاء فيمن يستيقظ فيرى بللًا ولا يذكر احتلامًا، حديث رقم (113)، وصحّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي، مكتبة المعارف، الرياض، 1422هـ - 2002م، ط2، ج 1، ص 80.

(3) سورة النساء، الآية 1.

(4) سورة النساء، الآية 1.

(5) سورة الإسراء، الآية 70.

سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

3. إعطاؤها الحقوق:

في مقابل هذه التّكاليف والمسؤولية المُلقاة على عاتق الأنثى، بَنَت الشريعة السّمحاء منظومةً حقوقية متكاملة للمرأة، على خلاف المجتمعات الغابرة، فمنحتها حق التعلّم، والعمل، والتملّك، والوراثة والتوريث، واختيار الزوج...، وغيرها من الحقوق الناظرة لإنسانيّة المرأة. وآيات الأحكام، والرّوايات المتضافرة، كفيلةٌ ببيان هذه الحقوق، كما سيأتي بيانه.

الأبعاد الإنسانية والاجتماعية للمرأة

يقول الإمام الخامنئي دام ظله: يمكن النّظر إلى المرأة من خلال ثلاثة أبعاد؛ لأجل أن تّتضح الرّؤية الإسلاميّة لها:

1. البُعد الأوَّل: البُعد الإنساني والتّكاملي:

والمُراد هنا دور المرأة بصفتها إنساناً في طريق التّكامل المعنوي والنّفسي. وفي هذا البُعد، لا تفاوت بين الرجل والمرأة؛ إذ كانت هنالك نساء جليلات وبارزات مثلما كان هنالك رجال كبار وبارزون[2]. انظروا إلى مسألة التقرّب من الله، هناك نساءٌ - كالزهراء وزينب ومريم - مقامهنّ فوق قدرة أمثالنا على الوصف والتصوّر. وفي الآية الشريفة من سورة الأحزاب، لا فرق بين المرأة والرجل، ولعلّ المقصود ضرب التصوّرات الجاهلية حول المرأة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ

(1) سورة غافر، الآية40.

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله بمناسبة الاجتماع النسوي الكبير في محافظة آذربيجان، بحضور مختلف شرائح نساء محافظة آذربيجان، بتاريخ 1417/05/04هـ.ق.

وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[1].

2. البعد الثاني: البُعد الاجتماعي:

حيث يُنظر إلى دور المرأة في مجال النشاطات الاجتماعية والسياسية والعلمية والاقتصادية، فباب هذه النّشاطات مشرّع أمام المرأة بالكامل. ولو شاء أحدٌ حرمان المرأة من مزاولة النشاط العلمي، والسّعي الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، فإنما يتكلّم خلافاً لحُكم اللّه. فلا مانع من مزاولة هذه الأعمال بالقَدر الذي تُبيحه القدرة الجسديّة، وتستدعيه الحاجات والضّرورات. والشّرع المقدّس لا يمانع في بذل الجهود الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قدر المستطاع. ولمّا كانت المرأة بطبيعة الحال أرقّ جسدياً من الرجل؛ لذلك فإنّ لهذه الحالة ضروراتها، وفرض العمل الثّقيل على المرأة ظلم لها. إنّ الإسلام لا يوصي بهذا، ولكنه في الوقت نفسه، لا يمنع ممارسة النشاط العلمي والجهد الاقتصادي والسياسي والاجتماعي[2].

3. البُعد الثالث: البُعد الأُسري:

يَنظر إلى المرأة بصفتها عضواً في الأسرة، وهو الأهمّ من كلّ ذلك. لم يعطِ الإسلام الرجل إذناً بالتسلُّط على المرأة، وفرض شيء عليها خارج الحدود الواردة في الشريعة الإسلاميّة. وقد جُعلت للرجل حقوق محدودة في الأسرة من باب كمال الحكمة والمصلحة، وكلّ من يتّضح له ذلك يؤمن حتماً أن قد جُعل للمرأة في مقابل ذلك ومن باب المصلحة، حقوقاً أيضاً[3]. من هذه الحقوق، حق المرأة بالتعلّم، حيث إنّ الرسول الأكرم ﷺ قد نادى بوجوب طلب العلم للرجل والمرأة على حدٍ سواء «**طلب العلم فريضة على كلّ مسلم**»[4]. وخطاب الرسول عام، فكلمة مسلم تشمل الرجل والمرأة. وفي رواية أخرى

(1) سورة الأحزاب، الآية 35.

(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظلّه بمناسبة الاجتماع النسوي الكبير في محافظة آذربيجان، بحضور مختلف شرائح نساء محافظة آذربيجان، بتاريخ 1417/05/04هـ.ق.

(3) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله بمناسبة الاجتماع النسوي الكبير في محافظة آذربيجان، بحضور مختلف شرائح نساء محافظة آذربيجان، بتاريخ 1417/05/04هـ.ق.

(4) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص30.

يوصي أمير المؤمنين عليه السلام ابنه محمد بن الحنفية بالمرأة فيقول عليه السلام: «**إِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ، فَدَارِهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَحْسِنِ الصُّحْبَةَ لَهَا؛ لِيَصْفُوَ عَيْشُكَ**»[1].

حقوق المرأة في الإسلام

أقرّ الإسلام للمرأة بالحقوق، واعتبر بأنّ للمرأة حقوقاً كما للرجل، والاختلاف بينهما، إنَّما يقع لأسباب متعدّدة يعتبرها الإسلام ضروريّة لكي لا يقع الظّلم على كِلا الطرفين، ومن جملة تلك الحقوق، هي:

أوّلاً: الحقوق الاقتصاديّة: وهي على قسمين:

1. حقّ المُلكيّة: إنّ الإسلام منح للمرأة حقّ التملّك والاستقلال الاقتصاديّ منذ أربعة عشر قرناً، وأعلن القرآن الكريم، ذلك بقوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾[2]. وعلى ضوء هذه القاعدة سمح الإسلام لها بالعمل، والتملّك حاصل عملها، سواءً في ذلك الأعمال الّتي يُمكن إنجازها داخل البيت، أو تلك الّتي تحتاج إلى الخروج من البيت.
2. حقّ الإرث: الحقّ بالميراث من الحقوق الاقتصادية الّتي اعترف بها الإسلام للمرأة، عندما أطلق القرآن قواعد الإرث في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[3].

ثانياً: الحقوق السياسيّة:

تتمتّع المرأة في النظام الإسلاميّ بحقوق سياسيّة مساوية للرجل سوى في بعض الموارد الخاصّة الإستثنائية، ولا يكتفي الإسلام بإثبات الحقوق السياسيّة العامّة للمرأة، بل يعتبرها مكلّفة كالرجل. وأهمّ هذه الحقوق والواجبات هو ما يلي: النساء كالرجال مسؤولات عن

(1) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، ج3، ص556.
(2) سورة النساء، الآية 32.
(3) سورة النساء، الآية7.

اتّخاذ موقف من قادة المجتمع الإسلاميّ من خلال وجوب البيعة، يقول الله سبحانه في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وإذا انتقلنا إلى سائر شؤون المجتمع، نلاحظ أنَّ الإسلام حفظ للمرأة حقّها، بل وكلّفها كما كلّف الرجل بالإهتمام بشؤون المجتمع، وكلُّ أشكال المشاركة النسائيّة في العمل السياسيّ والشأن العامّ والعمل الحزبي، والمشاركة في اللقاءات السياسيّة، وصلاة الجمعة، وغيرها من الأنشطة ذات الطابع الاجتماعي العام، كلّ هذه الأنشطة مقيَّد بقيدٍ واحد هو حفظ المرأة لعفافها وكرامتها، ومع توفّر هذا القيد لا تُمنع من ممارسة أيِّ دور عامّاً كان أم خاصّاً.

ثالثاً: الحقوق القضائيّة:

من الحقوق المهمّة في أيّ مجتمع الحقوقُ المرتبطة بالقضاء. وقد ضمن الإسلام للمرأة حقّ التّرافع أمام القضاء كائناً من كان الخصم. ولا تُمنع المرأة من رفع أمرها إلى القضاء، حتّى لو كان الخصم زوجاً أو أباً.

رابعاً: حقوق الأسرة:

من أهمّ الحقوق ذات الطابع الأسريّ، حقّ تأسيس الأسرة بالزواج واختيار الزوج. وهكذا أصبح قرار تأسيس حياة مشتركة مع رجل آخر قراراً خاصّاً بالمرأة، فهي الّتي تستطيع اتّخاذ قرار الزواج ممّن تراه مناسباً لها، ولها أنْ ترفض ذلك لو رأته غير مناسب، مع لحاظ سلسلة ولي العقد الأب والجد من جهة الأب. وقد وضع الإسلام بعض القيود على أشكال من الزواج عدّها غير أخلاقيّة، وألغى كلّ حالات الزواج الّتي تتمّ بالإكراه ودون موافقة الزوجة[2].

(1) سورة الممتحنة، الآية 12.

(2) ومن أمثلة الزواج الّتي منعها الإسلام: الزواج بالإكراه، والزواج بين المحارم، وتعدُّد الأزواج، والزواج بالإرث، والزواج الاقتراضي، والزواج الشكلي والمصطنع، والزواج الاشتراكي، والزواج المختلط، والزواج التطليقي والزواج اليوميّ.

المفاهيم الرّئيسة

1. المرأة شريكة الرّجل في نيل نعمة الوجود، نشأت معه من نفسٍ واحدة وبحقيقة وجوهر إنسانيّ واحد.
2. تحتلّ المرأة في الثقافة الغربيّة مكانةً لا تنسجم مع طبيعتها، ولا تنسجم مع الغاية والهدف الذي خلق الله سبحانه وتعالى لأجله المرأة.
3. لقد أوصل الغرب المرأة إلى مستويات البأس والشّقاء الاجتماعي والمعنوي والرّوحي، حيث باتت تُعدّ سلعة بيد الرّجال.
4. لقد أوصلت المجتمعات الغربيّة المرأة إلى مستوى متدنٍ من الانحراف الأخلاقي، والابتذال، وأفسدوها حتّى داخل الأسرة.
5. إنّ نظرة الغرب إلى المرأة وتعاملهم معها أدّى إلى تهاوي بُنيان الأسرة، نزعُ حياء المرأة وكرامتها، نموّ ظاهرة المتاجرة بالنّساء، وارتفاع معدّل الأطفال اللّاشرعيين.
6. اشتهر عن العرب قبل الإسلام نظرتهم المتخلّفة اتجاه المرأة، وقد ترجمت بوأد البنات، تعدّد أنواع النّكاح الفاسد، تعدّد الزّوجات بلا حدود، وكذلك الطّلاق. ومن جانبٍ آخر، حرمان المرأة من الميراث.
7. إنّ للمرأة في ظلّ الإسلام مكانة موازية لمكانة الرجل، إذ يشكّلان المجتمع الإنساني دون فرق بينهما، والمرأة صنو الرّجل في الخلق والإنسانيّة.
8. وضع الإسلام الذّكر والأنثى في كفّة واحدة في ميزان المسؤولية والتّكليف الإلهي، كذلك في ميزان الثّواب والعقاب الأخروي.
9. اعتبر الإسلام بأنّ للمرأة حقوقاً كما للرّجل، والاختلاف بينهما، إنّما يقع لأسباب متعدّدة يعدّها الإسلام ضروريّة لكي لا يقع الظّلم على كِلا الطرفين، ومن جملة تلك الحقوق: الحقوق الاقتصاديّة، الحقوق السياسيّة، الحقوق القضائيّة، حقوق الأسرة.

الدرس التاسع والعشرون:

المرأة وبناء الأسرة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرَّف إلى أهميّة الزواج في الإسلام.

2 . يتبيّن مقاصد بناء الأسرة في الإسلام.

3 . يشرح مقوِّمات الحياة الزوجية.

تمهيد

الأسرة هي إحدى المؤسّسات الهامّة في المجتمع البشريّ، بل تُعدّ أولى المؤسّسات الاجتماعيّة وأكثرها نشاطاً وتفاعلاً؛ حيث تؤدّي دورًا لا يمكن إنكاره في اتّزان الأفراد، وازدهار المجتمعات والأمم، وتُمثّل النّظام الأمثل لتلبية الحوائج المادّيّة والنفسيّة والمعنويّة للإنسان؛ بما تُشكّله من بيئة صالحة لتأمين الأمن، والإستقرار النفسيّ لأعضائها، وتربية الأجيال الجديدة وفق القيم والآداب الصّحيحة والسّليمة، وإشباع الأبعاد العاطفيّة والمعنويّة للأفراد. وقد اعتَبر الدين الإسلاميّ، أنّ الأسرة هي أحبّ مؤسّسة بشريّة عند الله، وقد روي عن النبيّ ﷺ: «**ما بُنِي في الإسلام أحبّ إلى الله من التزويج**»[1].

أهميّة الزّواج في الإسلام

إنَّ الزّواج هو الوسيلة المشروعة الوحيدة لتشكيل الأسرة، وهو الإرتباط المشروع بين الرجل والمرأة، وهو طريق التّناسل والحفاظ على الجنس البشريّ من الإنقراض، وهو باب التواصل وسبب الأُلفة والمحبة، والمعونة على العفّة والفضيلة. فبه يتحصّن الرجل والمرأة من جميع ألوان الإضطراب النفسيّ، والإنحراف الجنسيّ، فقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

وللزّواج تأثيراتٌ إيجابيّة على الرجل والمرأة وعلى المجتمع؛ فهو الوسيلة للإنجاب

---

(1) الحرّ العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، إيران - قم، 1414هـ، ط2، ج 20، ص 14.

(2) سورة النساء، الآية 1.

وتكثير النّسل. قال ﷺ: «**تناكحوا تكثّروا، فإنّي أُباهي بكم الأمم، حتى بالسقط**»[1]. وعنه ﷺ: «**ما يمنع المؤمن أن يتّخذ أهلًا، لعلَّ الله أن يرزقه نسمة، تثقل الأرض بلا إله إلاّ الله**»[2].

وهو ضمان لإحراز نصف الدّين؛ لأنّه الحصن الواقي من جميع ألوان الإنحراف والإضطراب العقليّ والنفسيّ والعاطفيّ. فهو يقي الإنسان من الرذيلة والخطيئة، ويخلق أجواء الإستقرار في العقل والقلب والإرادة؛ لينطلق الإنسان متعاليًا عن قيود الأهواء والشّهوات، التي تكبّله وتشغله عن أداء دوره في الحياة، وعن ارتقائه الروحيّ، وإسهامه في تحقيق الهدف الّذي خُلق من أجله. وعن رسول الله ﷺ: «**من تزوّج أحرز نصف دينه، فليتقِّ الله في النّصف الباقي**»[3]. وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: «**ركعتان يصلّيهما المتزوِّج أفضل من سبعين ركعة يصلّيهما الأعزب**»[4]. ونظراً لأهميّة النّكاح فقد جعله رسول الله ﷺ في المرتبة الثّانية من مراتب الفوائد المعنويّة، فقد قال: «**ما استفاد امرؤٌ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله**»[5]. وهو باب من أبواب الرّزق بأسبابه الطبيعيّة المقرونة بالرعاية الإلهيّة، فعن رسول الله ﷺ: «**اتخّذوا الأهل، فإنّه أرزق لكم**»[6].

وإنّ الزّواج مرحلة مُهمّة من مراحل تكوين الأسرة، وحدثٌ مفصليٌّ وثابتٌ أكثر من أيّ تقليد أو حادثة تمرّ في حياة الإنسان؛ سواءً كانت فرديّة، معيشيّة، أو اجتماعية. ويحظى

(1) ابن أبي جمهور، محمد بن زين الدين، عوالي اللئالي، تحقيق وتصحيح مجتبى العراقي، دار سيّد الشهداء للنشر، إيران - قم، 1405هـ، ط 1، ج 3، ص 286.

(2) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، ج 3، ص 382.

(3) الطّوسي، الشيخ محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، إيران - قم، 1414، ط1، ص 518.

(4) الطّوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، تحقيق حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلاميّة، إيران- طهران، 1407 هـ ط 4، ج 7، ص 239.

(5) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 5، ص 327.

(6) المصدر نفسه، ج 5، ص 329.

بنوع من القدسيّة في الدّيانات السماويّة، ويتمتّع - قياسًا مع سائر العلاقات الإنسانيّة - بقيمةٍ لا تُضاهى. والزّواج يُغطّي الأبعاد المعيشيّة، الاقتصادية، العاطفيّة، النفسيّة، والاجتماعية للحياة[1]. ويَعتبر الإسلام أنّ الزّواج هو عقد ذو محدّدات خاصّة، وأنّه مقارنة مع سائر الدّيانات، قد حدّد شروطًا أكثر للمسلم والمسلمة، بيْد أنّه يرتّب الأثر على الزّواج في الديانات الأخرى.

المرأة وبناء الأسرة

أَولت الشريعة الإسلاميّة الأسرة عنايةً فائقة، لإدراكها أهميّة الدّور الذي ينبغي أن تلعبه هذه المؤسّسة في السّاحة الاجتماعيّة. وينطوي البناء التحتّي للنظرية الإسلاميّة على تحديد دور الرجل والمرأة في المؤسّسة العائلية، وذلك بتفصيل التكليف الشرعيّ فيما يخصّ واجبات الزوجين وحقوقهما أولاً، وحقوق بقية الأفراد في المؤسسة العائلية ثانياً.

والأسرة هي القاعدة الأساس للمجتمع، والخلية الأساس في المجتمع. لكن ليس بمعنى أنّه إذا كانت هذه الخليّة سليمة، فإنّ السلامة ستُرى في بقية الأجزاء، أو أنّها إذا فسُدت فإنّ باقي الأجزاء ستفسد بتبعيّتها، بل بمعنى أنّها إذا كانت سليمة، فإنّ الجسم سيكون سالماً. وفي الأساس، لا يمكن للمجتمع الإسلامي أن يتقدّم، ما لم يَنعم البلد بمؤسسة أُسرية سليمة وحيويّة ونشيطة. لا إمكان للتقدّم في المجالات المختلفة والمجالات الثقافية خاصةً بدون أُسر جيدة[2].

مقاصد تأسيس الأسرة

للأسرة في الإسلام مقاصد وغايات عدَّة، منها:

المقصد الأوَّل: أن تكون محلّاً لإشباع الحاجات الجنسيّة لكلٍّ من الرجل والمرأة، فكلٌّ منهما بعد البلوغ تظهر لديه ميول نحو الجنس الآخر. والإسلام لم يذمّ هذا الميل ولم

(1) مجموعة من الباحثين، الأسرة بمنظار الإسلام وعلم النفس، ترجمة مركز المعارف الترجمة، طهران، مؤسسة سمت، 2015م.
(2) خطاب الإمام الخامنئي دام ظلّه بمناسبة ولادة الصديقة الطاهرة عليها السلام ويوم المرأة، في طهران - ملعب الحرية الرياضي، بحضور جموع غفيرة من النساء المؤمنات، بتاريخ 1418/06/19هـ.ق.

يرفضه، بل اعترف به وأضفى أحكاماً لتنظيم تلك العلاقة؛ وذلك أنَّ هذا الميل كغيره من الميول الّتي أودعها الله في الفطرة الإنسانيّة لحكمة خاصّة، ولا يُمكن أن يخلق الله شيئاً أو يُعطي هذا الشيء خصوصيّة دون أن يكون وراء هذه الخصوصيّة حكمة وهدفاً.

المقصد الثاني: السّكينة، وتحقّق الأنس والهدوء الروحيّ بين الزوج والزوجة؛ حيث إنّ كلّاً منهما يشعر بأنّه وحده يملك عواطف لا تُصرف أو تُشبع إلّا بالعثور على شريك لحياته. وهذا لا يتحقّق إلّا في أجواء الإستقرار الأسريّ حيث تعمّ المودّة، ويسود الهدوء، ويسكنُ كلّ من الرجل والمرأة إلى الآخر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

المقصد الثالث: إشباع غريزة حبّ البقاء، وهي من الغرائز الإنسانيّة الأصيلة، ويتحقّق ذلك من خلال الذريّة واستمرار النّسل، فالولد عندما يحلّ ضيفاً على الأسرة؛ يُضفي عليها لوناً مختلفاً ولذّة من نوعٍ خاصٍّ، ويؤدّي في الوقت نفسه إلى تبدّل العلاقات داخل الأسرة، ويُدخلها في مرحلة جديدة مختلفة عمّا كانت عليه.

المقصد الرابع: بناء المجتمع الإنسان. كما قلنا سابقاً بأنّ الأسرة هي الأساس في تشكيل المجتمع البشري، فلا يمكن أن يتحقق المجتمع إلا من خلال وجود الأسرة، ويجب أن تُبنى الأسرة على أُسس صحيحة منذ بداية تأسيسها في المجتمع الإنساني.

فتهدف الأسرة إلى بناء المجتمع الإنساني المسلم، والحضاري والمتقدم، والذي يهدف إلى الحفاظ على المقدّرات الإلهية، وتسخيرها لخدمة صالح الإنسانية.

مقوّمات الحياة الزوجية

1. المودّة والمحبّة:

ينبغي أن تسود الحياةَ الزوجيَّة روح المودّة والمحبَّة والصَّفاء، لأنَّ الحياةَ الخالية من الحبّ لا معنى لها. والمودَّة من وجهة نظر القرآن؛ هي الحبّ الفعّال، لا ذلك الحبّ الذي يطفو على السّطح كالزَبَد. إنّ الإسلام يُوجب أن نبرز عواطفنا تجاه من نُحبّهم، وهو أمر

(1) سورة الروم، الآية 21.

تتجلّى ضرورته في الحياة الزوجيَّة؛ فالمرأة، ـ كما يؤكّد الحديث الشريف،لا تنسى كلمة الحبّ التي ينطقها زوجها أبداً، فعن رسول الله ﷺ: «**قول الرجل للمرأة إنّي أحبّك لا يذهب من قلبها أبداً**»[1]، وهذا من الأمور المتبادلة بين الطرفين.

وقد يبدو للبعض جهلاً، أنّ إظهار العاطفة بين الزوجين أمرٌ يدعو إلى السُّخرية؛ انطلاقاً من كون المسألة واضحة لا تحتاج إلى دليل، ولكن حقيقة الأمر على العكس من ذلك تماماً؛ فعلى الرغم من وجود العاطفة والحبّ بين الزوجين، إلا أنّ التعبير عنه أمرٌ في غاية الضرورة، حيث يعزّز من قوّة العلاقات الزوجيَّة ويزيدها متانةً ورسوخاً.

2. التعاون والتفاهم:

إنَّ أساس الحياة الزوجيَّة يقوم على التعاون، ومساعدة كلّ من الزوجين للآخر في جوٍّ من الدعم المتبادل، وبذل أقصى الجهود؛ لأجل حلّ المشاكل، وتقديم الخدمات المطلوبة. روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**واعلم أنّ النساء شتّى؛ فامرأة ولود ودود تُعين زوجها على دهره لدنياه وآخرته ولا تُعين الدَّهر عليه، وامرأةٌ عقيمةٌ لا ذات جمال ولا تُعين زوجها على خير، وامرأة صخَّابة ولَّاجة همَّازة تستقلُّ الكثير ولا تقبل اليسير وإيّاك أن تغترَّ بمن هذه صفتها**»[2]. وفي هذه الرواية إشارة لطيفة إلى ضرورة أن تكون المرأة متعاونة مع زوجها؛ فتعينه على دنياه، كما تعينه على آخرته.

3. المداراة وضبط النفس:

يؤدّي اختلاف المشارب والأذواق بين الزوجين إلى ظهور الإختلافات والنّزاعات بينهما، بل يمكننا القول: إنّ الحياة الزوجيَّة التي لا تشهد اختلافاً في الآراء ووجهات النّظر بين الطرفين، أمرٌ خيالي بعيد عن الحقيقة.

يُوصي الإسلام في حالة بروز نزاعٍ عائليٍّ أن يلجأ أحد الطّرفين إلى الصّمت، وأن يغضّ الطّرف عن أخطاء الطرف الآخر، وأن يتعامل معه بما يرضي الله تعالى ورسوله ﷺ. إنَّ

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص569.
(2) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، مصدر سابق، ص318.

الحياة الزوجيَّة ترافقها المشاكل، ولا يمكن تحمّلها إلا بالصبر، وضبط النّفس، والتّسامح، وغضّ الطرف قليلاً عن أخطاء الطّرف الآخر.

وقد حثّت الروايات الشريفة كثيراً على ضبط النفس والصّبر عند وقوع الخلاف؛ قولاً كان أم فعلاً. فقد روي عن سعد بن عمر الجلاب، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**أيّما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق لم تقبل منها صلاة**»[1].

4. حسن المظهر والزينة:

من الضّروري جدّاً أن يراعي الزوجان زينتهما ومظهرهما، وأن يُحاولا الظّهور بالمظهر اللائق أحدهما أمام الآخر. فهناك العديد من النّسوة اللّاواتي انحرفن عن جادّة العفّة؛ بسبب إهمال أزواجهنّ لهذا الجانب الحسّاس من الحياة. فعن الإمام الكاظم عليه السلام: «**إنَّ التهيئة ممّا يزيد من عفّة النساء، ولقد ترك النّساء العفّة بترك أزواجهنّ التهيئة**»[2].

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام توصية للرجل بعدم ترك زوجته من دون زينة. يقول عليه السلام: «**لا ينبغي للمرأة أن تعطِّل نفسها؛ ولو أن تعلّق في عنقها قلادة**»[3].

وكذلك يجب على الرجل أن يتهيّأ لزوجته كما تتهيّأ هي له، فقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ليتهيأ أحدكم لزوجته كما يجب أن تتهيأ له**»، ثمَّ وضّح الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «**يعني التنظف**»[4].

5. مراعاة إمكانيات الشريك:

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾[5]. على الزوجة أن تراعي إمكانيات الزوج في النفقة وغيرها، فلا تكلّف الزوج ما لا يطيقه من أمر النّفقة، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في هذا الصّدد: «**أيّما امرأة أدخلت على زوجها في أمر النفقة وكلّفته ما لا يطيق، لا يقبل**

(1) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، ج3، ص439.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص567.
(3) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص480.
(4) القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، مصر - القاهرة، 1383 - 1963م، لا.ط، ج2، ص210.
(5) سورة البقرة، الآية 286.

الله منها صرفاً ولا عدلاً إلّا أن تتوب وترجع وتطلب منه طاقته»[1].

ونِعمَ الواعظ في ذلك ما ورد في سيرة الزّهراء سيدة نساء العالمين، ففي الخبر عن أبي سعيد الخدري، قال: «**أصبح علي بن أبي طالب** عليه السلام **ذات يوم ساغباً، فقال يا فاطمة هل عندك شيء تغذّينيه؟ قالت: لا والذي أكرم أبي بالنبوّة وأكرمك بالوصية ما أصبح الغداة عندي شيء، وما كان شيء أَطعمنا مذ يومين إلا شيء كنت أؤثرك به على نفسي وعلى ابنيَّ هذين الحسن والحسين، فقال عليٌّ** عليه السلام**: فاطمة: ألا كنت أعلمتيني فأبغيكم شيئاً، فقالت: يا أبا الحسن إني لأستحي من إلهي أن أكلّفك ما لا تقدر عليه»**[2].

وكذلك الحال بالنسبة للزَّوج، عليه أن يراعي إمكانات زوجته النّفسية والجسديّة والعاطفيّة؛ لأنّ الله لا يكلِّف نفساً إلا طاقتها وإمكاناتها؛ وهي سنّة الحياة التي لا تقبل الجدل، ومن يعاندها فلا محالة سوف يقع في الأخطاء الكبيرة.

فلا بدّ أن يُقَدِّر ظروفها في المرض والعافية، والقوّة والضعف، واللّيل والنهار، وشغلها وفراغها، وغير ذلك؛ لأنّها قوانين الخِلْقَة؛ وكلّ إنسان له مزاجه، وله تداعياته النفسية، وله كرهه وحبّه، وانزعاجه ورضاه، وقلقه وطمأنينته.

6. الإكرام وحسن الخُلق:

إنّ من أُسس العلاقة الزوجية، الإكرام والرحمة المتبادلان، فقد روي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: «**لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء في ما بينه وبين زوجته، وهي: الموافقة؛ ليجتلب بها موافقتها ومحبّتها وهواها، وحُسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها**»[3].

وفي رواية أخرى، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**من اتّخذ زوجة فليكرمها**»[4].

---

(1) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، منشورات الشريف الرضي، لا.م، 1392هـ ش - 1972م، ط6، ص202.

(2) السيد هاشم البحراني، حلية الأبرار، تحقيق الشيخ غلام رضا مولانا البروجردي، مؤسسة المعارف الإسلاميّة، إيران - قم، 1411، ط1، ج2، ص269.

(3) الحرّاني، الشيخ ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1404هـ - 1363ش، ط2، ص 323.

(4) القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام، مصدر سابق، ج2، ص158.

المفاهيم الرّئيسة

1. إنَّ الزّواج هو الوسيلة المشروعة الوحيدة لتشكيل الأسرة، وهو الارتباط المشروع بين الرّجل والمرأة، وهو طريق التّناسل والحفاظ على الجنس البشريّ من الانقراض، وهو باب التّواصل وسبب الأُلفة والمحبّة، والمعونة على العفّة والفضيلة فبه يتحصّن الرّجل والمرأة من جميع ألوان الإضطراب النفسيّ والجنسيّ.
2. للأسرة في الإسلام مقاصد وغايات عدَّة، منها: أنها تكون محلّاً لإشباع الحاجات المختلفة لكلٍّ من الرجل والمرأة. وإيجاد السّكينة، وتحقّق الأنس والهدوء الروحيّ بين الزّوج والزّوجة؛ حيث يشعر كلٌّ منهما بأنّه وحده يملك عواطف لا تُصرف أو تُشبع إلّا بالعثور على شريك لحياته.
3. مقوّمات الحياة الزّوجية:
4. ينبغي أن تسود الحياةَ الزّوجيَّة روح المودّة والمحبَّة والصَّفاء، لأنَّ الحياةَ الخالية من الحبّ لا معنى لها.
5. إنَّ أساس الحياة الزّوجيَّة يقوم على التّعاون، ومساعدة كلّ من الزّوجين للآخر في جوٍّ من الدّعم المتبادل، وبذل أقصى الجهود؛ لأجل حلّ المشاكل، وتقديم الخدمات المطلوبة.
6. يُوصي الإسلام في حالة بروز نزاعٍ عائليٍّ أن يلجأَ أحد الطّرفين إلى الصّمت، وأن يغضّ الطّرف عن أخطاء الطرف الآخر، وأن يتعامل معه بما يرضي الله تعالى ورسوله ﷺ.
7. حُسن المظهر والزّينة: من الضّروري جدّاً أن يراعي الزّوجان زينتهما ومظهرهما، وأن يُحاول كلٌّ منهما الظّهور بالمظهر اللّائق أمام شريكه.
8. مراعاة إمكانيّات الشّريك: على الزّوجة أن تراعي إمكانيات الزّوج في النّفقة وغيرها، فلا تكلّف الزّوج ما لا يطيقه من أمر النّفقة.

الدرس الثلاثون

دور المرأة في الأسرة ووظائفها

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى دورة الفتاة.

2 . يشرح دور الزوجة والأم ونشاطهما داخل الأسرة.

3 . يلخّص وظيفة المرأة في الأسرة.

تمهيد

إنَّ المرأة تؤدِّي دوراً أُسرياً محورياً في الأسرة، يتمثّل بتأمين السّكينة والاستقرار، والمودّة والرحمة والدفء، وإيجاد البيئة الأُسرية السّليمة والملائمة لصناعة الإنسان الصالح، ويتنوّع دورها انطلاقاً من كونها أمّاً، أو ابنة، أو أختاً.

وهذا ما يحتّم على المرأة المسؤولية الكبرى والحسّاسة تجاه إخوتها، وزوجها، والمجتمع، لأن حساسية المسؤولية تفرض حساسية الدور. ولذا، يجب أن تكون تربية الأبناء تربية إسلامية خالصة، لكي تكون هذه التربية المنطلق الصحيح لبناء الأسرة الإسلاميّة الصّحيحة، والتي من خلالها يتمّ تشكيل المجتمع السليم والمعافى.

دور الفتاة

إنَّ دور الفتاة في الأسرة يتمحور حول مسألتين: واجبات الفتاة تجاه الوالدين، وواجباتها تجاه أخواتها، وأفراد أسرتها، ويُمكن بيان هذان الدوران من خلال الآتي:

أوّلاً: دور الفتاة تجاه الوالدين:

وضع المنهج الإسلامي حقوقاً وواجبات على جميع أفراد الأسرة: آباء وأمهات وأبناء وإخوة...، وأمر بمراعاتها من أجل إشاعة الإستقرار والطمأنينة في أجواء الأسرة، والتقيّد بها يّسهم في تعميق الأواصر وتمتين العلاقات، وينفي كلّ أنواع المشاحنات والخلافات المحتملة، التي تؤثّر سلباً على جوّ الاستقرار الذي يحيط بالأسرة، وبالتالي تؤثّر على استقرار المجتمع المتكوّن من مجموعة من الأُسر، ومن الواجبات المترتّبة على الفتاة تجاه والديها الأمور الآتية:

1. **برّ الوالدين والإحسان إليهما:** عدّ القرآن حقوق الوالدين ضمن مستوى المسؤوليات الإلهية الكبرى تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1]، وفي آية أخرى ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[2] واعتبر أنّ برّ الوالدين والإحسان إليهما، هو من التشريعات الرئيسة والمهمّة، وهو ما يفسّر اقتران الحكم والأمر بالإحسان إلى الوالدين وشكرهما بتوحيد الله وشكره في الآيتين. بل إنّ رضى الله مرهونٌ برضى الوالدين، وغضبه نابع من استيائهم. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**رِضَا اللَّهِ مَعَ رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللَّهِ مَعَ سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ**»[3].
2. **تخصيص الأم:** اعتبرت بعض الروايات أنّ الإحسان للأمّ يعادل ضعف الإحسان للأب. عن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أنه قَالَ: «**قَالَ مُوسَى عليه السلام: يَا رَبِّ، أَوْصِنِي. قَالَ: أُوصِيكَ (بِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ). قَالَ: يَا رَبِّ أَوْصِنِي. قَالَ: أُوصِيكَ بِأُمِّكَ مَرَّتَيْنِ، قَالَ: يَا رَبِّ، أَوْصِنِي. قَالَ: أُوصِيكَ بِأَبِيكَ؛ فَكَانَ لِأَجْلِ ذَلِكَ يُقَالُ إِنَّ لِلْأُمِّ ثُلُثَيِ الْبِرِّ وَلِلْأَبِ الثُّلُثَ**»[4].

ووصف القرآن معاناة الأم؛ ترغيباً للأبناء ببرّها والتعامل الحسن معها؛ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾[5]، و﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾[6]، وقال النبي ﷺ أيضاً عن حقوق الأم: «**حتى لو أمضيت معها خادماً أيّاماً بعدد حصى الصحراء وقطرات المطر لن تستطيع أن تردّ حتى ما عانته لك في أيّام الحمل**»[7]، من هنا وجب على الفتاة تخصيص الأم ومضاعفة البرّ، والمعاملة الحسنة.

---

(1) سورة الإسراء، الآية 23.
(2) سورة لقمان، الآية 14.
(3) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، تقديم السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ص368.
(4) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق،ج21، ص 492.
(5) سورة لقمان، الآية 14.
(6) سورة الأحقاف، الآية 15.
(7) الطبرسي، الميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، لبنان - بيروت، 1408هـ - 1987م، ط1، ج 15، ص182.

3. **مراعاة آداب الكلام والمحادثة مع الوالدين:** فيما يتعلّق بالمحادثة مع الوالدين، حيث اشترط الإسلام أن يكون صوت الأبناء منخفضاً وهادئاً ولطيفاً:»ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما»[1]، بعيداً عن أيّ ضجيج أو صراخ، فقد نهى القرآن حتى من التفوّه بلفظ «**الأف**» تجاه الوالدين، حيث قال تعالى:﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[2]، وأوجب مخاطبتهما باحترام وتبجيل، فلا يُستحسن مخاطبتهما إلّا بـ«**الأب والأمّ**». بل اعتبرته الشريعة حقّاً من حقوق الوالدين. قال النَّبِيِّ ﷺ فِي وَصِيَّتِهِ لِعَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: «**حَقُّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ أَنْ لَا يُسَمِّيَهُ بِاسْمِهِ**»[3]. ذلك أنّ هاتين الكلمتين (الأم والأب) تُعبرّان عن عمق الرّابط الروحي والعرقي بين الإبنة ووالديها. لذا، نجد أنّ النبي ﷺ كان يطلب من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أن تُخاطبه بالأب، وليس بتسميات أخرى كرسول الله مثلاً فكان ﷺ يخاطبها قائلاً: «**إنّ قولك يا أباه، أحبّ إلى قلبي وارضي للرّب**»[4].

4. **التواضع للوالدين واحترامهما:** إنّ أهمّ شيء في التعامل غير الكلامي هو التحلّي بالتواضع أمام الوالدين، وقد استخدم القرآن استعارة جميلة «**للتواضع أمام الوالدين؛** ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾[5]. **لذا، فليس من اللائق أن تسبق الفتاة والديها في الجري**[6]**، أو تجلس قبلهما**[7]**، أو تتّكئ عليهما**[8].

كما أنّ على الأبناء - عند محادثتهم للآخرين - أن يذكروا والديهما باحترام متجنّبين المساس بهما، وأن يغمراهما بالدعاء، وإن لم يكونا في الدرب الصحيح».

5. **النّظر إلى الوالدين بمحبة وعطف:** لا ينبغي للإبنة أن ترمق والديها بنظرة حادّة، متحاملة

---

(1) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج15، ص205.

(2) سورة الإسراء، الآية 23.

(3) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج2، ص57.

(4) السيد هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة - مؤسسة البعثة، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ج5، ص429؛ ذيل الآية63 سورة النور، «إنّ قولك يا أباه، أحبّ إلى قلبي وارضي للرّب».

(5) سورة الإسراء، الآية 24.

(6) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج15، ص205.

(7) المصدر نفسه، ص220.

(8) المصدر نفسه، ص217.

عليهما، وإن كانا فعلاً قد مارسا ظلماً بحقّها، بل لا بدَّ لها من النّظر إليهما بعطف ومحبّة، حيث سيُكتب لها الأجر والثواب وتُفتح لها أبواب الرحمة الإلهية. ويعدّ تقبيل الوالدين أيضاً عملاً عبادياً[1]، ثم ليس على الإبن أن يغتاظ من والديه أو يقطع صلته معهما[2].

6. **المسارعة إلى تلبية جميع حوائج الوالدين:** إنّ الوالدين كلّما تقدّما في السن ابتُليا بمشاكل صحيّة عديدة، وبالتّالي يجب مساعدتهما؛ لذا شدّدت النّصوص الدينيّة على العناية بهما من قِبَل الأبناء[3]، وأوصت بشكلٍ عام أن يسارع الأبناء في تأمين احتياجات والديهم قبل أن يطلبا منهم ذلك[4]. عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شُعَيْبٍ قَالَ: «**قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِنَّ أَبِي قَدْ كَبِرَ جِدّاً وَضَعُفَ، فَنَحْنُ نَحْمِلُهُ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ، فَقَالَ: إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُ فَافْعَلْ وَلَقِّمْهُ بِيَدِكَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ لَكَ غداً**»[5].

ثانياً: علاقة الفتاة بإخوتها:

إنّ الصّلة الأخويّة النسبيّة هي من مصاديق صلة الرحم في الأخبار. وقد أَولت الشريعة أهمية كبرى لصلة الرحم في العلاقات الأسرية وأكدّت عليها، بل جعلتها أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله عزّ وجل، حيث يُروى: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: أَخْبِرْنِي مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «**الْإِيمَانُ بِاللَّهِ. قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: صِلَةُ الرَّحِمِ**»[6].

وتتجلّى هذه العلاقة الرحمية بمراعاة الإلتزام بصلة الرّحم، والحفاظ على الصّلة الأخوية النسبيّة وفق ما ورد ضمن تعاليم الشّريعة الإسلاميّة المقدّسة منها:

1. **المحبّة والمواساة:** إنَّ المحبة والمودّة تشكّل عماد العلاقة الأخوية، ومعيار الأخوة الحقيقية. لذا، نجد أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في حديثه لكميل بن زياد النخعي: «**يا كميل إن لم تحبَّ أخاك فلست أخاه**». لذا نجد أنَّ دور الفتاة المسلمة يتجلّى

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج100، ص221.
(2) المصدر نفسه، ج23، ص113.
(3) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق،ج15، ص205.
(4) سورة الإسراء، الآية 24.
(5) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج21، ص506.
(6) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، إيران - مشهد، 1406هـ، ط1، ص377.

في إظهار المحبة والعاطفة والحنان لأخوتها والإهتمام بشؤونهم، وتلبية حوائجهم، ومواساتهم في شتّى الظروف. ونعم القُدوة في هذا الأمر، ما ورد في سيرة السّيدة زينب عليها السلام في علاقتها بأخيها الإمام الحسين عليه السلام، ففي أصعب اللحظات والظروف، في أرض كربلاء كان يأتي الإمام عليه السلام إلى الحوراء زينب عليها السلام ليبثّ همّه وحزنه. يقول الإمام الخامنئي: «**كانت زينب كمواسٍ وصديقٍ وشخصٍ لم يشعر الإمام الحسين عليه السلام مع وجوده بالوحدة أو بالتّعب. إنّ المرء ليُشاهد مثل هذا الدّور في وجه زينب عليها السلام وفي كلماتها وفي حركاتها**»[1].

2. **العفو والتسامح:** قد تتوتّر العلاقات بين الأخوة نتيجة موقف إنفعالي معيّن، أو بسبب مشكلة ما، ويؤدّي هذا الأمر إلى شرخ وتنافر قد يصل إلى المعاداة أحياناً. وعليه، ينبغي للفتاة أن تحرص على تجنّب حدوث أيّ خللٍ أو صدع في علاقتها الأخوية، فتعمل على مقابلة الغضب بالهدوء والتسامح وكظم الغيظ، وتبادر إلى العفو والمسامحة، ليشملها حينئذٍ الثناء الإلهي، حيث امتدح الله عزّ وجل في كتابه العزيز الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، واعتبر ذلك إحساناً منهم وعطفاً على الآخرين: قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].
3. **الإيثار والتضحية:** يصف الله عز وجلّ المؤمنين في كتابه العزيز، فيقول: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3]، والإيثار صفةٌ أخلاقية مُلازمة لمن عمر قلبه بالإيمان، فالإيثار مكرمةٌ وفضيلةٌ حثَّ عليها الشارع المقدس، وأكدّ على ضرورة اكتسابها. ومعنى الإيثار هو تقديم الآخر على النّفس، في البذل والعطاء.

ثمّ إنَّ مفهوم الآية الكريمة،السّابق ذكرها، يتضمّن دعوةً بجعل الإيثار حاكماً على العلاقة بين المؤمنين. وهذه الدعوة القرآنية تشمل الأسرة الواحدة، ومجتمع الأرحام الذي تربطه العلاقات النّسبية، فضلاً عن العلاقات السّببية.

(1) الإمام الخامنئي، إنسان بعمر 250 سنة، إعداد لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلاميّة الثقافية، لبنان - بيروت، 2013م، ط1، ص225.
(2) سورة آل عمران، الآية 134.
(3) سورة الحشر، الآية 9.

وعليه، يجدر بالفتاة المؤمنة أن تجعل الإيثار والتضحية عنواناً لعلاقتها الأخوية، وتمسُّكاً بالتعاليم القرآنية؛ وتقدّم بعض التّنازلات والتّضحيات لكسب قلوبهم والظّفر بهم فإنَّ «**أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُم**. **وإن كان المقصود بالإخوان في الرواية الأخوة بالمعنى العام، إلا أنّ المورد ينطبق على الأخوة النسبية بالأولوية، فتشملهن الدعوة إلى اكتساب إخوتهن**».

دور الزوجة

الأصل في الزواج – كما ذكرنا سابقاً - هو تحصيل الأنس والسّكينة بين الزوجين، وتحت هذا العنوان يندرج الحب والصّبر والتضحية والإيثار والتودُّد، وغيرها من مستلزمات العيش في مكان مغلق؛ وتحته يندرج الجمال والأناقة والنظافة وغيرها من ضرورات الجذب. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

لذا، يُعتبر دور الزوجة من أهمّ الأدوار المُلقاة على عاتق المرأة، والتي تُضاهي الجهاد لدى الرّجال صعوبة وقيمة. وفي السياق يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**جهاد المرأة حسن التبعّل**»[2].

فصبر المرأة وثباتها أمام المشاكل، ودعمها لزوجها والتّكافل معه دينياً واجتماعياً واقتصادياً؛ يخلق جوّاً مناسباً لإقامة علاقات أسرية ناجحة، ويحقّق السكينة والأُنس لكلا الزوجين. ونِعمَ الواعظ في ذلك ما ورد في سيرة الزهراء عليها السلام أنها قالت: «**يا أبا الحسن، إني لأستحي من إلهي أن أكلّفكَ ما لا تقدرُ عليه**»[3]. فالسّيدة الزهراء عليها السلام هي المثل الأعلى للمرأة المسلمة.

قال الإمام القائد الخامنئي دام ظله: «**في حياتها العائلية والزوجية وفي إدارتها لشؤون البيت وفي حياتها الأُسرية، مثالاً تحتذي به الفتاة أو ربّة البيت، أو من تشرّفت توّاً وأصبحت ربّة بيت**»[4].

---

(1) سورة الروم، الآية21.

(2) نهج البلاغة، مصدر سابق،ج4، ص 34.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 41، ص30.

(4) خطاب الإمام الخامنئي دام ظله بمناسبة أسبوع الشباب في الجمهورية الإسلاميّة، في طهران، بحضور جمع من الشباب من مختلف الشرائح الاجتماعية، بتاريخ 1419/01/11هـ.ق.

دور الأم

إنَّ لكلٍّ من الأبوين دوره وموقعه ووظيفته في الأسرة، إلاّ أنّ للأم الدور الأكثر حساسية وأهميّة في العمليّة التربويّة الأسرية، وفي الإحاطة العاطفية لأسرتها، وفي تأمين بيئة أسرية سليمة ومستقيمة تتكفّل ببناء الأجيال الصالحة. وفي هذا السياق، يقول الإمام الخامنئي دام ظله: «**على المرأة المسلمة أن تسعى في طريق الحكمة والعلم، وفي طريق بناء الذّات، معنويًّا وأخلاقيًّا، وأن تكون في البيت سكناً للزّوج والأولاد، وراحة للحياة الزوجيّة، وتُربّي في حضنها الحنون والرّؤوف، وبكلماتها اللطيفة والحنونة، أولادًا مهذّبين بلا عُقد، وذوي روحيّة حسنة وسليمة، وتُربّي رجال المجتمع ونسائه وشخصيّاته. إنّ الأم أفضل من يبني، فقد يصنع أكبر العلماء آلة إلكترونية معقّدة جدًّا مثلًا، أو يصنعون أجهزة للصّعود إلى الفضاء، أو صواريخ عابرة للقارّات، ولكن كلّ هذا لا يُعادل أهميّة بناء إنسانٍ سامٍ، وهو عمل لا يتمكّن منه إلا الأم**»[1].

وظيفة المرأة في الأسرة

1. التدبير المنزلي:

يقول الإمام الخامنئي: «**من أهمّ وظائف المرأة، التدبير المنزليّ، الجميع يعلم أنّني لا أؤمن بفكرة أن لا تعمل المرأة في المجالات الاجتماعيّة والسياسيّة، لا، لا مشكلة في ذلك، لكن إن قصدنا بذلك تحقير التدبير المنزليّ، فهذا ذنب. فالتدبير المنزليّ عملٌ عظيم، عملٌ مهمّ، عملٌ حسّاس، عملٌ لبناء المستقبل، فإنجاب الأطفال جهادٌ عظيم، ونحن للأسف بسبب أخطائنا، أو عدم دقّتنا، غفلنا عنه لمدّةٍ من الزمن، ونشهد مخاطر هذه الغفلة في أيّامنا هذه. لقد ذكرت هذا الأمر مراراً، إنّ هرم البلاد، وانخفاض جيل الشّباب في الأعوام القادمة، سيترك آثاره المستقبليّة السيّئة، حينها لن نتمكّن من معالجة الأمر. لكن يمكننا تدارك الأمر**[2].

---

(1) أنظر الدرس الخامس: المرأة وتربية الأبناء.

(2) الإمام الخامنئي دام ظله، خطاب الولي 2013م، خطابه في لقاء جمع من مدّاحي أهل البيت عليهم السلام، بمناسبة ذكرى ولادة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، في طهران، بحضور جمع من الشعراء والمدّاحين، بتاريخ: 1392/02/11 هـ.ش 1434/06/20 هـ.ق. 2013/05/01 م، إعداد لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلاميّة الثقافية، لبنان - بيروت، 1435هـ - 2014م، ط1، ص215.

2. الإنجاب:

إنجاب الأبناء من أهمّ أشكال الجهاد بالنسبة إلى النساء ووظائف النساء، لأنّ الإنجاب هو في الحقيقة فنّ (صنعة) المرأة، فهي التي تتحمّل مشاقّه ومصاعبه وآلامه، وهي التي منحها الله تعالى أدوات ولوازم تربية الأطفال. والله تعالى لم يعطِ أداة التربية هذه إلى الرجل، إنّما جعلها لدى السيّدات، فأعطاها الصّبر والتحمّل، ومنحها العاطفة والأحاسيس، وأعطاها القامة والتركيب الجسميّ لذلك. في الواقع، هذا فنّ المرأة. فإذا لم نغفل عن هذا الأمر في مجتمعنا، عندها سنتقدّم إلى الأمام[1].

3. تربية الأبناء:

يقول الإمام الخامنئي: «**يجب السّير في هذا الطريق إلى نهايته، ومن أهمّ أُسسه هو تشكيل العائلة، وحفظ حريم العائلة والأنس بالعائلة وإفشاء المودّة. وهذا ما تتولّاه ربّة البيت. تستطيع الأمّ أن تُربّي أولادها على أفضل نحو، تربية الأمّ لأولادها ليست كالتّربية على مقاعد الدراسة، بل هو بالتصرّف، بالكلام، بالعاطفة، بالملاطفة، بغناء هدهدة ما قبل النوم، بالعيش. الأمّ تربي أولادها بالحياة والعيش، فكلّما كانت المرأة أصلح، أعقل، أذكى، كلّما كانت التربية أفضل. لذلك ينبغي البرمجة ووضع الخطط في البلاد، من أجل رفع مستوى الإيمان، العلم والذكاء لدى السيّدات**»[2].

(1) الإمام الخامنئي دام ظله، خطاب الولي 2013م، خطابه في لقاء جمع من مدّاحي أهل البيت عليهم السلام، بمناسبة ذكرى ولادة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، في طهران، بحضور جمع من الشعراء والمدّاحين، بتاريخ: 1392/02/11 هـ.ش 1434/06/20 هـ.ق. 2013/05/01 م، إعداد لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلاميّة الثقافية، لبنان - بيروت، 1435هـ - 2014م، ط1، ص216.

(2) الإمام الخامنئي دام ظله، خطاب الولي 2013م، خطابه في لقاء جمع من مدّاحي أهل البيت عليهم السلام، بمناسبة ذكرى ولادة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، في طهران، بحضور جمع من الشعراء والمدّاحين، بتاريخ: 1392/02/11 هـ.ش 1434/06/20 هـ.ق. 2013/05/01 م، إعداد لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلاميّة الثقافية، لبنان - بيروت، 1435هـ - 2014م، ط1، ص215.

المفاهيم الرّئيسة

1. إنَّ دور الفتاة في الأسرة يتمحور حول برّ الوالدين والإحسان إليهما، وتخصيص الأمّ، ومراعاة آداب الكلام والمحادثة مع الوالدين، والتّواضع للوالدين واحترامهما، والنّظر إلى الوالدين بمحبة وعطف، والمسارعة إلى تلبية جميع حوائج الوالدين.
2. تتجلّى علاقة الفتاة بإخوتها من خلال الالتزام بصلة الرّحم، والحفاظ على الصّلة الأخوية، ويبرز ذلك في المحبّة والمواساة، العفو والتّسامح، الإيثار والتّضحية.
3. يُعدّ دور الزّوجة من أهمّ الأدوار المُلقاة على عاتق المرأة، والتي تُضاهي الجهاد لدى الرّجال صعوبة وقيمة.
4. إنّ للأمّ الدّور الأكثر حساسية، وأهميّة في العمليّة التربويّة الأُسريّة، وفي الإحاطة العاطفيّة لأسرتها، وفي تأمين بيئة أُسريّة سليمة ومستقيمة تتكفّل ببناء الأجيال الصّالحة.
5. من وظائف المرأة المهمة في الأُسرة هو التّدبير المنزليّ، فتركه يسبّب مشاكل عائليّة كبيرة على جميع مستويات الحياة الاقتصاديّة والتّربوية في الأسرة.
6. الإنجاب: إنّ إنجاب الأبناء من أهمّ أشكال الجهاد بالنّسبة إلى النساء، لأنّ الإنجاب هو في الحقيقة فنّ (صنعة) المرأة، فهي التي تتحمّل مشاقّه ومصاعبه وآلامه، وهي التي منحها الله تعالى أدوات ولوازم تربية الأطفال.
7. تربية الأبناء: ومن أهمّ أُسسه تشكيل العائلة، وحفظ حريمها والأنس بها وإفشاء المودّة فيها.
8. تستطيع الأمّ أن تُربّي أولادها على أفضل نحو، وكلّما كانت المرأة أصلح وأعقل وأذكى، كلّما كانت التّربية أفضل.

الدرس الواحد والثلاثون

المرأة وقيادة الحياة الزوجيّة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يفهم معنى القوَّاميّة للرجل على المرأة.

2 . يتعرَّف إلى واجبات الزوج تجاه الزوجة.

3 . يشرح واجبات الزوجة تجاه زوجها.

تمهيد

تحتاج الأسرة إلى قوانين وقواعد تُنظّم العلاقة بين أفرادها؛ حيث إنّها وحدة اجتماعية مكوّنة من مجموعة من الأشخاص، وإذا لم تُنظّم العلاقة بينهم وفق قواعد واضحة، فسوف يؤدّي ذلك إلى الهرَج والمرَج والفوضى العارمة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تُبنى الأسرة على أساس آخر هو الحبّ والعاطفة المتبادَلة بين أعضائها. وعلى ضوء ذلك، ينبغي التوفيق بين القوانين وبين المودّة كأساسين لإدارة الأسرة وتنظيم شؤونها، بحيث لا تتحوّل إلى مؤسّسة قانونيّة جافّة ولا تُصبح محلّاً للفوضى.

القوامية في الحياة الزوجيَّة؟

يقول تعالى في كتابه المجيد: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾[1].

القوامة من قام على الشيء يقوم قياماً: أي حافظ عليه وراعى مصالحه، ومن ذلك القيِّم، وهو الذي يقوم على شأن شيء ويليه، ويصلحه. والقيم هو السيّد، وسائس الأمر، وقيّم القوم: هو الذي يقوّمهم ويسوس أمورهم، وقيّم المرأة هو زوجها أو وليها، لأنه يقوم بأمرها، وما تحتاج[2].

لقد قسَّم الله تعالى الأدوار بين الزوجين بعدله وحكمته، لما فيه من مصلحة وخير ومنفعة، فمنح الرجل حق القواميَّة، أي قيِّمون على النِّساء في السياسة والتّدبير قيام الولاة على الرعيَّة؛

(1) سورة النساء، الآية 34.

(2) ابن منظور، العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، إيران - قم، نشر أدب الحوزة، 1405هـ، لا.ط، ج 12، ص 502-503.

ولتوضيح هذه العبارة لا بدَّ من الالتفات إلى أنّ العائلة هي وحدة اجتماعية صغيرة، وهي كالسفينة التي لابدَّ لها من قبطان يقودها بحذر، وترتكز قوّاميّة الرجل على أمرين:

الأمر الأوَّل: ﴿... بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾، ولم يقلْ القرآن الكريم: «**بما فضل الرّجال على النّساء**» أو «**بما فضل بعضهم على بعضهن**»؛ فالمقصود أنَّ الرّجال متفوّقون على النساء في بعض الأمور، والنّساء متفوقات على الرّجال في أمور أخرى؛ أيّ أنّ هناك ميزة عمليّة يمتاز بها الرجل تجعله مؤهّلاً لموضوع القوّاميّة، تتعلّق بالصفات الموجودة عادةً عند الرجل كقوّة الجسد، وحسن التدبير، والأخرى الموجودة عند المرأة كقوة العاطفة، والصَّبر. لقد خصَّ سبحانه وتعالى كلاً منهما بدورٍ معين، فأودع في المرأة الأمومة، الحنان، العاطفة، الحبّ، والاهتمام بتربيَّة الأبناء...الخ، وللرجل دوره الخارجي والاجتماعي، بأن يعمل ويكدح ويتعب من أجل صيانة أسرته، وحمايتها، والإنفاق عليها، بما يليق بشأنها وكرامتها وحالها، من المسكن والملبس، والأطعمة والأشربة، والعيش معه بسلام وأمن... الخ، وهذان الدوران يتكاملان من أجل الوصول إلى الهدف، بإيجاد خليفة الله على الأرض ذاك النّسل الصالح. يقول السيد القائد علي الخامنئي دَامَ ظِلُّهُ: «**الإسلام يعتبر الرجل قوّام، والمرأة ريحانة، وليس هذا تجرّؤاً على الرجل ولا على المرأة، ولا تضييعاً لحقّ المرأة، ولا تضييعاً لحقّ الرجل، بل الرّؤية الصّحيحة لطبيعة كلٍّ منهما.**

إنّ ميزانهما متساوٍ، أيّ عندما نضع الجنس اللّطيف الجميل، ومانح السّكينة والجمال المعنويّ لمحيط الحياة في كفّة، ونضع صاحب الإدارة والعمل والمعتمد والمتحرّك، وملاذ المرأة في الكفّة الأخرى للميزان، تتساوى هاتان الكفّتان، ليس ذاك راجحاً على هذا، ولا هذا راجحاً على ذاك»[1].

والإسلام قد منح الرجل حق الحاكميَّة وليس حق التَّحكم، أيّ حق الحكومة والرئاسة العادلة وليس حق التّعسف والتّسلط[2].

(1) من كلمة موجزة للإمام الخامنئي في خطبة عقد زواج بتاريخ 1378/12/22 هـ.ش.

(2) راجع: العلائي الرحماني، فاطمة (عميدة كليَّة الإلهيات في جامعة الزهراء بطهران)، أضواء على خطبة «ذم النساء» في نهج البلاغة، تعريب عبد الرحمن العلوي، دار الهادي، لبنان - بيروت، 2004م، ط1، ص 39.

الأمر الثاني: ﴿... وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ...﴾، من المهر والنفقة؛ فنفقة البيت واجبة على الرجل لا على المرأة، ومن الطبيعيّ أنّ من يتحمّل وجوب الإنفاق على أيّ مشروع يكون الأحقّ بالإشراف عليه، ولكن ماذا لو كانت المرأة تعمل كالرجل هل تنتفي القيوميَّة؟

أجاب سماحة القائد الخامنئي دَامَظِلُّهُ عن هذا الإشكال قائلاً: «**لن نجني سوى الخطأ وإتلاف البستان الذي بُني على الجمال والإحسان، لا نحصد شيئاً غير ذلك، تنقطع المنافع المطلوبة منهما، وتنتشر اللامبالاة في محيط الأُسرة، ويُفقد تودُّد كلٍّ من الرجل والمرأة إلى الآخر، وتضيع كلُّ تلك المحبّة والعشق الذي هو أساس كلِّ شيء. إن حدث أحياناً أنْ أخذ الرجل دور المرأة في البيت، وأصبحت المرأة هي الحاكم المطلق، تتأمّر على الرجل: إفعلْ هذا ولا تفعلْ ذلك، والرجل يُسلِّم لها خانعاً، فإنَّ رجل كهذا لا يصلحُ ملاذاً للمرأة، فهي بحاجة إلى ملاذٍ قوي**»[1].

الحقوق الزوجية في الإسلام

شرّع الإسلام حقوقاً وواجبات على جميع أفراد الأسرة، وأمر بمراعاتها من أجل إشاعة الاستقرار والطمأنينة في أجواء الأسرة، والتقيّد بها بما يُسهم في تعميق الأواصر وتمتين العلاقات، وينفي كل أنواع المشاحنات والخلافات المُحتملة، والتي تؤثّر سلباً على جوّ الإستقرار الذي يحيط بالأسرة، وبالتالي تؤثّر على استقرار المجتمع المتكوّن من مجموعة من الأُسر.

ومع أنّ الإسلام قد وضع مجموعة كبيرة من الحقوق والواجبات بين الزوجين؛ وهي بمثابة النظام الداخليّ للحياة الزوجية، ومنها ما هو معنويّ، ومنها ما هو ماديّ. إلا أنّ الأصل في العلاقات الزوجية والأسرية أن تقوم على المحبّة، والمودّة، والإيثار، وسعي كلّ طرف لإسعاد الأطراف الأخرى. ولكنّ ذلك لا يمنع من أن يُقنّن الإسلام قوانين وتشريعات ملزمة، ويوجب على كلّ المكوّنات الأسرية القريبة (المباشرة) والبعيدة، بمجموعة من الحقوق والواجباتٍ تجاه بعضهم البعض. ويحصّن هذا النظام الأسريّ بتوجيهات

(1) من كلمة موجزة للإمام الخامنئي في خطبة عقد زواج بتاريخ 1378/12/22 هـ.ش.

وإرشادات أخلاقية واسعة تغطّي كلّ تفاصيل الحياة الأسرية. ونقصد بالواجبات الأعمّ من الواجب الشرعيّ، ليشمل المستحبّ وما به الكمال، وتنقسم هذه الحقوق بشكل متبادل بين الرجل والمرأة إلى قسمين، وهما:

القسم الأول: واجبات الزوج تجاه الزوجة (حقوق الزوجة)

للزوجة في الإسلام مجموعة من الحقوق التي ينبغي للزوج مراعاتها؛ بعضها واجب وبعضها من الأمور الأخلاقية التي تؤدّي إلى تحسين العلاقة الزوجية، منها:

1. حُسن المعاشرة:

الزواجُ بدايةُ مرحلة جديدة من المعاشرة تنتهي في ظلالها انتقال الرجل والمرأة إلى بيت واحد وحياة واحدة، ويبدأ عهد جديد من الأُلفة والأنس بينهما؛ وعلى أثر ذلك يحصل بالتّدريج التقارب بين أفكار الزوجين ورؤاهما، كذلك الأمر بالنسبة لتوجّهاتهما والخطط المستقبلية لحياتهما المشتركة. وقد حثّ الإسلام على معاشرة الرجل للمرأة بالمعروف؛ وذلك لأن الحياة الزوجية السليمة هي الحياة التي يعيش فيها الزوجان بتناغم وتفاهم كبيرين، والعنوان الأبرز لهما هو: ألّا يسيء أحدهما للآخر، بل يحرصان على أن يكون الإحسان والعشرة الحسنة هو الهدف الحاكم على سير الحياة الزوجية بينهما، قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، وروي عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: «**خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي**»[2].

وروي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في وصيّته لمحمد بن الحنفية: «**إنَّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فدارها على كلِّ حال، وأحسن الصحبة لها، فيصفو عيشك**»[3].

2. عدم استخدام القسوة:

نهى الرسول الأكرم ﷺ عن استخدام القسوة مع المرأة، وجعل من حقّ الزوجة عدم

(1) سورة النساء، الآية 19.
(2) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق،ج3، ص443.
(3) المصدر نفسه، ج3، ص556.

ضربها والصياح في وجهها، ففي جوابه على سؤال خولة بنت الأسود حول حقّ المرأة، قال: «**حقّكِ عليه أن يُطعمك ممّا يأكل، ويكسوك ممّا يلبس، ولا يلطم، ولا يصيح في وجهك**»[1].

3. النفقة:

كما يثبت الإسلام للمرأة وجوب المهر بالزواج، كذلك يثبت لها على الرجل حقّ النفقة وتأمين معاشها بالشكل اللّائق بحالها عرفاً. وهذا حقّ مُكتسب للمرأة. والفرق بين المهر والنفقة، أنّ المهر لا يُقيّد وجوبه بأيّ قيد بل يكفي في ثبوته إنشاء عقد الزواج ثم الانتقال إلى بيت الزوجية، كما هو مبيّن في الكتب الفقهية. وأمّا النفقة، فإنّها حقّ تثبت بالانتقال إلى بيت الزوجية، وتحقّق شروط ثبوت النفقة فيها شرعاً. وهذا الحقّ لا يقتصر على فترة الزواج، بل يثبت أيضاً حتّى في حالات الطلاق ما دامت المرأة في العِدّة الرجعية لزوجها.

مضافاً إلى ذلك، فإنَّ الواجب على الزوج النفقة على زوجته ولو كانت غنيَّة؛ يقول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾[2]. والنفقه تجب النفقة في الكسوة والطعام، والسّكن، وجميع ما تحتاجه في حياتها العادية، ويتناسب مع مستواها العائليّ عرفاً. ومما يشير إلى بعض هذه الحقوق ما روي عن إسحاق بن عمّار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «**ما حقّ المرأة على زوجها الـذي إذا فعله كان محسناً؟ قال: يشبعها ويكسوها، وإن جهلت غفر لها**»[3].بل يجب على الزوج قضاء النفقة الزوجية فيما لو أهمل أو قصّر في نفقة زوجته، وإلا لأصبح ديناً في ذمته وجب عليه أو على ورثته ردّه.

4. الصّبر على إساءتها:

قد يبتلى الزوج نتيجة ظروف صحيّة أو نفسيّة أو اجتماعيّة أو غيرها، تطرأ على الزوجة، بسوء خلقها، وتعكّر مزاجها. وهنا، ليس من الصحيح أن يتّخذ الزوج نفس

(1) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، مصدر سابق، ص218.
(2) سورة النساء، الآية 34.
(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق،ج5، ص510.

الموقف السلبيّ، بل لا بدّ له من مساعدتها، والعمل على تهيئة البيئة المناسبة لمعالجتها والعودة إلى حياتها الطبيعيّة. ولذا حثّت الروايات الزوج على الصّبر على إساءة الزوجة، قولاً كانت أم فعلاً، وقد أكّد رسول الله ﷺ على الصّبر على سوء خلق الزوجة، فقال: «**من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله بكل مرّة يصبر عليها من الثواب مثل ما أعطى أيوب على بلائه**»[1].

وقد كان ذلك من سيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**كانت امرأة عند أبي** عليه السلام **تؤذيه فيغفر لها**»[2].

والقاعدة العامة هنا كما روي عن الرسول ﷺ: «**أوصاني جبرئيل بالمرأة حتّى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلّا من فاحشة مبيّنة**»[3].

القسم الثاني: واجبات الزوجة تجاه الزوج (حقوق الزوج)

إنّ للزوج على الزوجة حقوق يجب عليها مراعاتها، منها:

1. حسن التبعّل:

أكّدت الروايات على مراعاة حقّ الزوج، واتّباع الأساليب الشيّقة في إدامة أواصر الحبّ والوئام، وخلق أجواء الانسجام والمعاشرة الحسنة داخل الأسرة، ولذا ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**جهاد المرأة حسن التبعّل**»[4]. وفي هذا السياق ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «**لا تؤدّي المرأة حقّ الله عزّ وجلّ حتّى تؤدّي حقّ زوجها**»[5].

ويقول الإمام الخامنئي دام ظله في هذا الصدد: «**جهاد المرأة حسن التبعل**»، أي إنّ ثواب ذلك الشاب المجاهد الذي وضع دمه على كفّه وذهب إلى ميدان الحرب يُعطى لهذه المرأة، لأنّ هذا العمل لا يقّل تعباً عن الجهاد. بالتأكيد إنّ التبعّلَ أمرٌ صعبٌ جداً،

(1) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج 14، ص 116.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص510.
(3) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، ج3، ص440.
(4) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 5، ص 9.
(5) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج 14، ص 257.

مع توقّعاتهم، انتظاراتهم، مع سوء أخلاقهم، وصوتهم المرتفع (صفات بعض الرجال)، فإن استطاعت المرأة مع هذه الظروف أن تحافظ على محيط المنزل دافئاً، ملؤه السّكينة والهدوء، فذلك فنّ كبير. هذا حقاً جهاد. هذا فرع من ذلك الجهاد الأكبر: جهادٌ النفس»[1].

وإذا أردنا البحث العمليّ عن مصاديق حسن التبعّل نجد أنّها كثيرة، نذكر منها بعض ما ورد في الروايات:

أ. عدم فعل ما يسخط زوجها: لا ينبغي للزوجة أن تعمل ما يسخط زوجها ويؤلمه فيما يتعلّق بالحقوق العائدة إليه، كإدخال بيته من يكرهه، أو سوء خُلقها معه، أو إسماعه الكلمات المثيرة وغير اللائقة. روي عن رسول الله ﷺ: «**أيّما امرأة آذت زوجها بلسانها لم يقبل منها صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتّى ترضيه**»[2].

ب. إستقبال الزوج وإرضائه: وحثّ ﷺ المرأة على إصلاح شؤون البيت واستقبال الزوج بأحسن استقبال فقال: «**حقّ الرجل على المرأة إنارة السراج، وإصلاح الطعام، وأن تستقبله عند باب بيتها فترحّب به، وأن تقدّم إليه الطشت والمنديل...**»[3].

ج. الصّبر على أذى الزوج: ينبغي للزوجة أن تصبر على أذى الزوج، فلا تقابل الأذى بالأذى والإساءة بالإساءة، قال الإمام الباقر عليه السلام: «**وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته**»[4].

د. أن تكون عفيفة: يجب أن تكـون المرأة عفيفة في نفسها ومحافظة على شرفها. وعفّة المرأة هي العمود الفقريّ للحياة الزوجية وحتّى لو كان الزوج منحرفاً، فإنه لا يرغب أن تكون زوجته غير عفيفة. وإنّ العفّة من الزوجة رباط مقدّس بينها وبين زوجها، تسيّج به حياتها الزوجية السعيدة، وتنشر عليها شآبيب الرحمة والعطف والحنان. وعدم

(1) الإمام الخامنئي دام ظله، خطاب الولي 2012م، خطابه في لقاء المشاركين في الملتقى الثالث للأفكار الإستراتيجية في موضوع المرأة والأسرة، بمناسبة إقامة الملتقى الثالث للأفكار الإستراتيجية، في طهران، بحضور جمعٌ من العلماء والمفكّرين والمسؤولين والنخب، بتاريخ 2012/01/14م،إعداد لجنة التأليف في مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلاميّة الثقافية، لبنان - بيروت، 1434هـ - 2013م، ط1، ص32.

(2) الحر العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق،ج 20، ص 212.

(3) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج 14، ص 254.

(4) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 5، ص 9.

العفّة مصراع من مصارع الحياة الزوجية. عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**ما عبد الله بشيء أفضل من عفّة بطن وفرج**»[1]. والعفّة من أهم الصفات السلوكية والأخلاقية التي يجب أن تتّصف بها المرأة، وهذا ما أكّده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روي عن جابر بن عبد الله، قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنّ خير نسائكم الولود الودود العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلها، المتبرّجة مع زوجها، الحصان على غيره التي تسمع قوله وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها ولم تبذل كتبذل الرجل»[2].

هـ. أن تعينه على حياته وترضيه: ولا تغضبه فعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**ويل لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها**»[3]. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:«**ثلاثة لا يرفع لهم عمل: عبد آبق، وامرأة زوجها عليها ساخط، والمسبل ازاره خيلاء**»[4]. فمن حقّ الزوج على زوجته أن تتجنّب كلّ شيء يؤدّي إلى سخطه وإثارته وغضبه، وتنكيد عيشته واستقراره.

و. النَّفاذ إلى قلب زوجها: من خلال الحبّ، والمودة، والرحمة، والكلمة الطيبة، وتفقّدها لزوجها في حضوره، وغيبته، واستقباله، وتوديعه، ورعايته حال مرضه وتعبه...، ولعلَّ وجه الإنسان هو الأقدر بين أعضاء الجسد على التَّعبير الموصِل للهدف، فبشاشة الوجه، والنّظرة المليئة بالحبّ والعاطفة كفيلان بجلب حبِّ الآخر ومودَّته. من هنا ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: «**البشاشة حِبالة المودَّة...**»[5]. وقد أخبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، أنَّ تقرَّب الزوجين من بعضهما بلغة الجسد هو محلٌّ ومهبطٌ لرحمة الله تعالى، فعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا نظر العبد إلى وجه زوجه، ونظرت إليه نظر الله إليهما نظرة رحمة، فإذا أخذ بكفِّها وأخذت بكفِّه، تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما**»[6].

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق،ج 2، ص 79.
(2) المصدر نفسه، ج5، ص324.
(3) العلاّمة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج100، ص146.
(4) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق،ج20،ص160 .
(5) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق،ج71، ص 167.
(6) زيد بن علي، مسند زيد بن علي، (ل، ط)، (ل، ت)، دار مكتبة الحياة، لبنان- بيروت، ص 302.

ز. البُعد عن رتابة الحياة: على الزوجة أن لا تقع في فخّ الملل والروتين اليوميّ للحياة، والدخول في عملية تجدّد وتطوير دائم، والظّهور بصور ومواقف جديدة. وهذا ما يوصي به ديننا الحنيف؛ كالتجدّد والتجمّل في المظهر بحيث تتهيأ بالشكل الجذَّاب، والرائحة الطيبة، على سبيل المثال لا الحصر، حيث ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**وإظهار العشق له بالخلابة،والهيئة الحسنة لها في عينه**»[1].

ح. المحافظة على أمور النظافة والطهارة: في المأكل، والمشرب، والملبس والمسكن، لما لها من آثار روحيَّة، ومعنويَّة، وماديَّة، في الحياة الأسريَّة، كما ورد في الأخبار والأحكام الشرعية.

ط. تربية الأبناء: حَثُّ الأبناء على بِرّ والدهم ورعايته واطلاعه على تفاصيل أحوالهم وأخبارهم، فقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: رحم الله والدا أعان ولده على بره...**»[2].

ي. وكذلك يتمّ التّنسيق والتّشاور، وتبادل الآراء، فتوطيد العلاقة بين الأب والأبناء يزيد من تماسك الأسرة، ويعكس أشعة الحبّ المتبادلة بين الزوجين.

2. الطّاعة:

الطّاعة التي تنطلق من احترام الزوج، وتقدير مكانته التي منحها له الإسلام في تدبيره لشوؤن المرأة ورعايته لأحوالها، وقد ورد التأكيد كثيراً على قضية الطاعة للزوج، فقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ من القسم المصلح للمرء المسلم أن تكون له امرأة، إذا نظر إليها سرّته، وإنّ غاب عنها حفظته، وإن أمرها أطاعته**»[3].

وإنّما تجب طاعة الزوج في غير معصية، فقد روي عن الفضل بن أبي قرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كتب رجل إلى الحسين عليه السلام: عظني بحرفين، فكتب إليه: **من حاول أمراً**

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 75، ص237.

(2) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، ثواب الأعمال، تقديم السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، إيران - قم، 1368 ش، ط2، ص186.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص327.

بمعصية الله كان أفوت لما يرجو وأسرع لمجيئ ما يحذر»[1].

وذكر رسول الله ﷺ أنّ طاعة الزوج في سياق ذكره لسائر العبادات والطاعات، التي توجب دخول الجنة، حيث قال: «**إذا صلّت المرأة خَمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، فلتدخل من أيّ أبواب الجنة شاءت**»[2].

3. التزيّن والتجمّل:

إنّ المسائل الضرورية والمهمة جداً في الحياة الزوجية، وهو اهتمام الزوجة بمسألة التزيّن والتجمّل للزوج، وقد أكّدت الروايات على ذلك كثيراً، ومنحته حيّزاً مهمّاً جداً من أجل أن تبقى الحياة الزوجية مُصانة من قبل الطرفين، وفي رواية عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ما حقّ الزوج على المرأة ؟ قال: **أكثر من ذلك**[3]، فقالت: فخبرني عن شيء منه فقال: ... **وعليها أن تتطيّب بأطيب طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، وتزين بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية، وأكثر من ذلك حقوقه عليها**»[4].

ومن جملة مصاديق الزينة أيضاً تقليم بالأظافر، قال رسول الله ﷺ للنساء: «**اتركن (أظافيركن) فإنه أزين لكنّ**»[5].

وكذلك الخضاب والكحل، فقد روي أنه ﷺ لعن السّلتاء من النساء، والمرهاء. فالسّلتاء هي التي لا تخضب. والمرهاء هي التي لا تكتحل[6]. والواضح من الأدلّة التي تنهى عن التزيّن أمام غير الزوج والمحارم، أنّ الزينة المحلّلة، تنحصر في موارد محصورة بالزوج والأرحام.

---

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص373.
(2) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج 20، ص 159.
(3) أي حقوقهم أكثر من أن تذكر.
(4) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق،ج 5، ص 508.
(5) المصدر نفسه،ج6، ص492.
(6) الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، مصدر سابق، ج7، ص242.

4. العلاقة الخاصّة:

العلاقة الخاصّة هي حقٌّ واجب ومشترك بين الزوجين، وكما أكّدت النصوص على الزوج عدم ترك هذا الواجب لزوجته، حرصت أيضاً على أن لا تهمل الزوجة حقّ زوجها في هذه القضية الحسّاسة والمهمّة بالنّسبة إلى الزوجين. وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: ما حق الزوج على المرأة فقال: أن تجيبه إلى حاجته وإن كانت على قتب...**»[1].

وانطلاقاً من هذا الحقّ، فقد حذّر رسول الله صلى الله عليه وآله المرأة من أمرين، وهما:

الأول: أن تمنع الزوجة زوجها من العلاقة الخاصة، فعنه صلى الله عليه وآله: « **عن أبي بصير، عن أبي جعفر** عليه السلام **قال: «قال رسول الله** صلى الله عليه وآله **للنساء: لا تطولن صلاتكن لتمنعن أزواجكن**»[2].

الثاني: التسويف: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنَّ امرأة أتت رسول الله** صلى الله عليه وآله **لبعض الحاجة، فقال لها: لعلّك من المسوّفات، قالت: وما المسوّفات يا رسول الله؟ قال: المرأة التي يدعوها زوجها لبعض الحاجة فلا تزال تسوّفه حتى ينعس زوجها فينام فتلك التي لا تزال الملائكة تلعنها حتى يستيقظ زوجها**»[3]. نعم، هذه التلبية مشروطة بعدم وجود الموانع كالمانع القهريّ كالمرض، أو الشرعيّ كالحيض.

5. حفظ الأسرار بينهما:

إنّ حفظ الأسرار بين الزوجين من الأمور المهمّة في استمرار الحياة الزوجية، فيجب على كلّ واحد منهما أن يحفظ كرامة الآخر في أسراره، وخصوصاً فيما يرجع إلى الجانب الجنسيّ. وقد تحدّثت الروايات على لزوم كتمان ذلك بينهما.

فإنّ أكثر الناس اطّلاعاً على أسرار الرجل هو زوجته، والعكس صحيح، خصوصاً تلك التي ترجع إلى الجوانب الشخصية. وحينئذ يجب عليهما المحافظة على أسرار بعضهما البعض، وعدم إفشائها لأيّ كان.

---

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص508.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.

6. غيرة الزوجة الإيجابية:

الغيرة بذاتها هي صفة شريفة وممدوحة، ودليل صحّة وعافية، ولكن إذا استُعملت في غير محلّها أو خرجت عن حدودها وطورها انقلبت إلى مرض، وأدّت إلى الخروج عن ضوابط الشريعة.

حيث تشير بعض الروايات إلى أنّ هذه الغيرة إذا كانت في غير محلّها قد توصل المرأة إلى الانحراف! وهذا ما حذّر منه أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لابنه الحسن عليه السلام: «**إيّاك والتغاير في غير موضع الغيرة، فإنّ ذلك يدعو الصحيحة منهنَّ إلى السَقَم، ولكنْ أحكِمْ أمرهنَّ، فإن رأيت عيباً فعجل النكيرَ على الكبيرِ والصغيرِ**»[1].

وعندما تتحدّث الروايات عن الغيرة عند المرأة فإنّه يُقصد الجانب السلبيّ منها، الذي له آثار سلبيّة ومؤذية، لا تلك الحالة الإيجابية. روي: «**أنّ رجلاً ذكر للإمام الصادق عليه السلام امرأته فأحسن عليها الثناء، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أغرتها؟ قال: لا، قال: فأغرها، فأغارها فثبتت، فقال لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي قد أغرتها فثبتت، فقال: هي كما تقول**»[2].

أمّا أسباب الغيرة عند المرأة فتختلف باختلاف أسبابها النفسية وغير النفسية، فيمكن أن يكون منشؤها إيجابيّاً، كما أشارت الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث سأله أحدهم: «**المرأة تغار على الرجل تؤذيه. قال: ذلك من الحبّ**»[3].

ويمكن أن يكون منشأ الغيرة سلبيّاً، كما أشارت الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «**غيرة النساء الحسد، والحسد هو أصل الكفر. إنّ النساء إذا غِرن غضبن، وإذا غضبن كفرن، إلّا المسلمات منهنّ**»[4].

النتائج كثيراً ما تكون آثار الغيرة سلبيّة ومدّمرة، فالتي تغار تفقد -غالباً- تعقّلها،

(1) العلاّمة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج74، ص214.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص505.
(3) المصدر نفسه، ص506.
(4) المصدر نفسه، ج5، ص506.

ويصبح الغضب والتوتر حاكمين على تصرّفاتها، وتفقد الواقعية في تقييم الأمور، والعقلانية في التصرّف. وقد ورد في الرواية عن الرسول الأكرم ﷺ: «**إنّ الغيراء لا تبصر أعلى الوادي من أسفله**»[1]. وعندما يفقد الإنسان بصيرته سيكون عرضة لكلّ أنواع المشاكل والسلبيّات.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج5، ص506.

المفاهيم الرّئيسة

1. القوامة في الحياة الزّوجيَّة: لقد قسَّم الله تعالى الأدوار بين الزّوجين بعدله وحكمته، فمنح الرّجل حقّ القوامة، أي قيِّمون على النِّساء في السياسة والتّدبير قيام الولاة على الرعيَّة.
2. تقوم قوامة الرجل في الأسرة على أساسين:

الأوَّل: ﴿... بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ...﴾، فالمقصود أنَّ الرّجال متفوّقون على النساء في بعض الأمور، والنّساء متفوّقات على الرّجال في أمور أخرى؛ أيّ أنّ هناك ميزة عمليّة يمتاز بها الرجل تجعله مؤهّلاً لموضوع القوامة، تتعلّق بالصّفات الموجودة عادةً عند الرجل كقوّة الجسد، وحُسن التّدبير، والأخرى الموجودة عند المرأة كقوّة العاطفة، والصَّبر.

الثاني: ﴿... وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ...﴾، من المهر والنّفقة؛ فنفقة البيت واجبة على الرّجل لا على المرأة، ومن الطبيعيّ أنّ من يتحمّل وجوب الإنفاق على أيّ مشروع يكون الأحقّ بالإشراف عليه.

3. الحقوق الزّوجية: تنقسم الحقوق الزّوجية في الإسلام إلى قسمين:

الأول: واجبات الزّوج تجاه الزّوجة (حقوق الزّوجة):للزّوجة في الإسلام مجموعة من الحقوق التي ينبغي للزّوج مراعاتها؛ بعضها واجب وبعضها من الأمور الأخلاقيّة التي تؤدّي إلى تحسين العلاقة الزّوجية، منها: حُسن المعاشرة، عدم استخدام القسوة، النّفقة، الصّبر على إسائتها.

الثّاني: واجبات الزّوجة تجاه الزّوج (حقوق الزّوج): إنّ للزّوج على الزّوجة حقوقاً يجب عليها مراعاتها، منها:

أ. حُسن التبعّل، من مصاديق حُسن التبعّل: عدم فعل ما يُسخط زوجها، إستقبال الزّوج وإرضائه، الصّبر على أذى الزّوج، أن تكون عفيفة، أن تُعينه على حياته وتُرضيه، النَّفاذ إلى قلب زوجها، البُعد عن رتابة الحياة، المحافظة على أمور النّظافة والطّهارة.

ب. الطّاعة. ت. التزيّن والتجمّل. ث ـ العلاقة الخاصّة. ج ـ حفظ الأسرار بينهما. ح. غيرة الزّوجة الإيجابيّة.

الدرس الثاني والثلاثون

المرأة والتربية الأسريّة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى دور المرأة في التربية الأسرية.

2 . يشرح حقوق الأبناء.

3 . يتبيّن المحاور التربوية في تربية الأبناء.

تمهيد

يتأثّر الأبناء في مرحلة الطفولة بوالديهم أكثر من الآخرين، فيتقبّلون دينهم ومذهبهم وأخلاقهم وتوجّهاتهم الفكرية والثقافية، ويتطبّعون بعاداتهم وتقاليدهم في الحياة العائلية، والحياة الاجتماعية.

وهنا، تلعب الأم دوراً محوريّاً حسَّاساً في تربية الأبناء، حيث إنها تجالسهم وقتاً أطول من مجالسة الوالد لهم، وتراهم يكبرون أمام أعينها في كلّ يوم، وهي تشرف على كلّ شؤونهم وتصرفاتهم، وتقلّباتهم في الحياة. فالطِّفل يتأثّر أكثر بإحساسات الأمّ وعواطفها وأفكارها.

وانطلاقاً من هذا التّواجد، كان التأثّر بالأم أكبر من جهة، ومن جهة أخرى؛ كان دور الأم أكبر في العملية التربوية للأبناء، ولهذا يجب أن تحرص الأم، انطلاقاً من مسؤوليتها، على تربية الأبناء تربية إسلامية صحيحة، ليكون الأبناء فاعلين في المجتمع، ومؤثّرين فيه بشكلٍ عملي ناجح.

المرأة (الأم) ربّان التربية الأسرية الناجحة

كلمة «**التربية**» جاءت في اللغة بمعنى التنمية والتنشئة. وهذا اللفظ استُفيد منه قليلاً في الآيات والأحاديث، ولكن في المقابل استُخدِم لفظ التزكية والتأديب أكثر. وتحمل كلمتا التزكية والتربية المعنى ذاته؛ لأنّ التزكية مثل التربية هي بمعنى التنشئة، والتزكية من جذر الزكاة[1]. ولقد وردت تعريفاتٌ عدّة للتربية، وكلّها تعتبر أنّ التربية عمليةٌ تُوجِد

(1) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، طليعة النور، لا.م، 1427هـ، ط2، كلمة زكى، ص380.

تغييراتٍ في الفرد، من خلال الاستفادة من استعداداته وقابليَّاته. والحال إذا ما أضيف العامل الغائيُّ إلى هذه العملية، يمكن القول إنّ التربية عبارةٌ عن تهيئة الأرضية والعوامل لأجل تفتُّح استعدادات الإنسان وإيصالِها من القوّة إلى الفعل في الاتّجاه المنشود.

والتربية كوظيفة بنيوية وتغييرية، موضوعها الإنسان والمجتمع، يشارك في إيجاد وترسيخ وترشيد مبانيها وأُسسها مجموعة من العناصر والمؤثّرات. والأم هي أهمّ هذه العناصر، باعتبارها مصدر الحنان والعاطفة، ومركز التوجيه والحرص والعناية بكلّ حاجيات الأبناء. فبعد أن يولَد الطِّفل – مثلاً -، تكون الأمّ أوّل فردٍ من أفراد العائلة يتواصل معه بنحو مباشر، وهذه العلاقة لا تؤثِّر فقط في مجال تلبية احتياجات الطِّفل، بل أيضاً تؤثِّر على حالاته النفسيّة والعاطفيّة. بل إنّ نفس وجود الأمّ وقيامها بوظيفتها له الكثير من الآثار المباشرة على الأبناء. وهذا ما تشير إليه الأبحاث التي أجراها أطباء الأطفال النفسيون حول انعدام التّوازن العاطفيّ. يقول كُندي: إنّ انحدار معدّل الذكاء، وتناقص النشاط والحركة، السّطحية في التّفاعل العاطفيّ، العدوانيّة، عدم التّركيز، عدم القدرة على تحليل المسائل وتجريدها...، يمكن عدّها جميعها من النتائج السّلبية لغياب الأمّ.

والواضح أن العاطفة التي تمنحها الأمّ لأبنائها، هي من أكثر العوامل التربوية على صعيد تكامل الطِّفل ونموّه واستقراره. فالأمّ تبرز عواطفها تجاه ولدها أكثر من الأب غالباً، وتحرص أكثر على تكامله ونموّه، وهذا يحكي عن أهمّية وجود الأمّ لنموّ الطِّفل واستقراره.

يقول الإمام السجّاد عليه السلام في سياق بيان جانبٍ ممّا تبذله الأمّ من جهدٍ ومشقّة في سبيل تربية وتكامل أبنائها: «**...فإنك لا تطيق شكرها إلّا بعون الله وتوفيقه**»[1]. وبالنتيجة، إنّ الأم هي قلب المجتمع، ومركز حياته وبقائه، فكما أنّ القلب في الجسم البشريّ هو مركز حياة، وديمومة بقاء واستمرار. كذلك فإنّ الأم قلب هي المجتمع، فإذا صلُحت صلح المجتمع، وإذا فسُدت فسد المجتمع. والمرأة تمثّل نصف المجتمع من الناحية العددية وتلد وتربّي النصف الآخر منه، فتكون بمثابة كلّ المجتمع ومدرسة تربوية له،

(1) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، ج2، ص621.

وتعكس عنوان حضارته، وعنوان قوّته ومقدار تقدّمه ورفعته، حتّى قيل: وراء كلّ رجل عظيم امرأة، وكذلك إذا فسدت المرأة تكون مصدر فساد المجتمع وضياعه.

يقول الإمام الخميني في هذا الصّدد: «**والطفل يتعلّم في حجر الأمّ ومنها أكثر مما يتعلّم من المعلّم ومن الرفاق اللذين يجدهم فيما بعد، وأكثر ممّا يناله في المجتمع. ففي حضن الأمّ يقبل أكثر الأشياء، لأنّ محبَّتَه لأمّه لا تعدلها محبَّة، وقول الأمّ أوْقع في قلبه وأبلغ في عقله**»[1].

«**... ولو استطعتم أن تربّوا هؤلاء الأطفال بحيث يكونون من البداية يريدون الله، وكلّ اهتمامهم نحو الله، ولو تمكّنتم من إلقاء وتلقين عبودية الله والصلة مع الله لهؤلاء الأطفال، والأطفال يقبلون بسرعة، إذا ألقيتم إليهم التربية الإلهية وعبودية الله الذي كلّ شيء له، وقبِلوا ذلك، فإنكم قدّمتم إلى المجتمع خدمة وبعد ذلك سيكون لتعبكم قيمة. ولا قدّر الله، لو قدّم شيء خلاف هذا لهذه الأمانة، وأياً كان الذي قام بهذا، فإنه يكون قد ارتكب خيانة، وهذه الخيانة غير جميع الخيانات، هذه خيانة بالإنسان وخيانة بالإسلام وخيانة لعبودية الله... حاولوا إظهار نورانية الأطفال النورانيين لتتفتّح مواهبهم. أنتم تتصدّون لأمر جليل قوموا بتربيتهم تربية إسلامية صحيحة حتى ينال بلدكم - إن شاء الله – سعادته**»[2].

حقوق الأبناء

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «**وأمّا حقّ ولدك فأن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنّك مسؤول عمّا ولّيته من حسن الأدب، والدّلالة على ربّه عزّ وجلّ، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذور إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه، والأخذ له منه ولا قوّة إلّا بالله**»[3].

(1) صحيفة الإمام الخميني، مصدر سابق، ج 8، ص 280.
(2) المصدر نفسه، ج14، ص36.
(3) العلاّمة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 71، ص 15.

فقد حدّد الإمام عليه السلام المسؤولية التربوية بأمرين رئيسيين هي:

1. **حسن الأدب:** والأدب هنا عنوان عامّ يشمل العديد من المفاهيم والقِيم والمسلكيّات والسُّنن التي ينبغي أن يتربّى الولد عليها منذ الصغر لتنطبع في شخصيته، وتتحوّل شيئاً فشيئاً إلى سلوك طبيعيّ كقيم الصدق، والأمانة، والحقّ والإيثار، والنّشاط وتحمل المسؤولية وغيرها. وغالباً ما ينمو حسن الأدب أو سوؤه مع الطفولة، ويستمرّ مع الإنسان حتّى المراحل العمرية الأخرى. وعن الصادق عليه السلام: أدّبني أبي بثلاث: «**قال لي: يا بنيّ من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن لا يقيّد ألفاظه يندم، ومن يدخل مداخل السّوء يتّهم**»[1].
2. **الدلالة على ربّه:** فمن عرف ربّه سلك سُبل الصلاح في الدنيا، وفهم فلسفة حياته ووجوده، واستفاد من نِعم الدنيا بما يرضي ربّه، ويجب هنا اعتماد الأسلوب التدريجيّ في التّربية على معرفة الله تعالى، والتركيز في المرحلة الأولى على إبراز جنبة الرحمة الإلهية، وتفصيل نعمه علينا، واهتمامه بنا، وتفضيلنا على الخلق...، والبُعد عن أسلوب التخويف والتهديد بالعذاب والنار والأفاعي والعقارب _ كما هو المتداول- وذلك حتّى لا تنطبّع صور الخوف في ذهن الولد، وتتأسّس العلاقة مع ربّه على أساسها، وهذا لا يعني إغفال عذاب يوم القيامة الذي جعله الله للظالمين. ولا مانع من مثل هذه الأساليب بعد تخطّي مرحلة الطفولة من باب الوعظ.

أصول تربية الأبناء

1. التمايز التربوي بين الجنسين:

من خصائص النظام التربويّ في الإسلام أنّه يتوجّه إلى الجنسين معاً؛ الذكر والأنثى، وهما من جهة أصل خِلْقَة الإنسان على حدّ سواء، مفطوران على التوحيد وتفاوتهما من ناحية التكاليف والمسؤوليات، وبالتالي سيتفاوت برنامج تربيتهما. وهذا الاختلاف

(1) العلاّمة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 75، ص 261.

يعود منشؤه إلى ثلاثة أنواع من الاختلافات؛ الاختلاف الجسماني، والاختلاف في العاطفة والإحساس، والاختلاف في التكاليف ومسؤوليات الحياة، فيجب على الوالدين الانتباه إلى خصوصيات كلّ جنس من أفراد الأسرة.

ثم إنّ تقدير الأبناء واحترامهم، ومعاشرتهم بإحسان، ومراعاة شخصيّاتهم من المسائل المهمّة في العمليّة التربويّة؛ فالأبناء الذين ينعمون بقدرٍ كافٍ من الإكرام والاحترام في العائلة، يتمتّعون بروحيّة سليمة وطبيعية وتوازنٍ نفسيّ، ولديهم استعدادٌ أكبر لتقبّل التربية الدينيّة والأخلاقيّة، روي عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه كان يأمر أتباعه، فيقول: «**أكرموا أولادكم، وأحسنوا آدابهم؛ يُغفر لكم**»[1].

2. التربية الدينيّة:

يتشارك كلّ من الفتاة والصبي في حقّهما بأصل التربية الدينيّة والأخلاقيّة، ولكن بالالتفات إلى أنّ الفتيات يصلن أبكر إلى سنّ التكليف، لذا يتوجّب تعليمهنّ التكاليف الشرعيّة والعباديّة، وحمْلهن على أداء هذه التكاليف قبل سنّ التاسعة، حتى لا يغدو أداء الفرائض الدينيّة أمراً شاقّاً وعسيراً عليهنّ عندما يتكلّفن. ولذا، ورد التأكيد في الروايات على ضرورة تعليم الإسلام وأحكامه للأبناء، فعن الإمام علي عليه السلام: «**علّموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به...**»[2].

وعن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال بشأن تعليم الأولاد الصلاة: «**مرُوا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً...**»[3].

3. التربية الأخلاقية:

ومن الضروري أيضاً الاعتناء بالتربية على المستوى الأخلاقيّ؛ حتى يكون أداء الأعمال الأخلاقية سهلاً، ولكي يخلص الأبناء من الرذائل الأخلاقية، ويتحلّون بالأخلاق الحسنة، وينقل القرآن الكريم بعض وصايا لقمان لابنه؛ وهو يعظه، فيقول له: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ

(1) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، مصدر سابق، ص222.
(2) الشيخ الصدوق، الخصال، مصدر سابق، ص610.
(3) القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام، مصدر سابق، ج1، ص194.

وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[1].

وقد كان هذا من سيرة أهل البيت عليهم السلام يوصي الإمام علي عليه السلام، ابنه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام فيقول له: «**وأحْيِ قلبك بالموعظة**»[2].

ومن الموارد المهمة في التربية الأخلاقية والقيمية التربية على الصدق، التضحية، الوفاء، الإيثار، النظافة، حب الآخر...هي قيم ينبغي تنشئة الأطفال عليها، فالقيم الحسنة هي الخطاب الجامع بين البشر مهما اختلفوا، وهي النافذة الأهم وبوابة العبور نحو التوجيه الديني. ففي الأعمار الصغيرة، ربّما لن يستطيع الطفل أن يَعي أهمية عمل ما أو سلوك ديني كالصلاة ووجوبها مثلًا، فهو غير قادر على إدراك ماهيّة الدين، إلّا أنّه قادر على فهم وتطبيق قيمة شكر المنعم وحسنها وإن بطريقة خاصة به، فباستعمال بوّابة القيم نستطيع زرع القيم الدينية في نفوس الأطفال، وإيصالهم إلى مرحلة اعتناقها وجعلها كضوابط في حياتهم، ونُسبغ عليها الطابع الديني فيما بعد، بعد تكامل قدرة استيعابهم. لذا، لا نبالغ إن قلنا أنّ التربية وفق القيم الدينية يجب أن تكون بمنزلة القُطب من الرحى في العملية التربوية، وينبغي أن يتحّول كلّ مفهوم نريد زرعه عند أطفالنا، إلى قيمة جميلة ونظهر جمالها أمامه بالوسائل التي سبق الحديث عنها، فسرعان ما يتبنّاها وتتكوّن شخصيته على أساسها، ما يؤدّي إلى تربية إنسان قيمي يخرج إلى المجتمع بقيمه الجميلة، فيساهم في خلق مجتمع قائم على القيم فيما بعد. وهي نحو التربية التي لا فرق فيها بين الصّبي والفتاة، وإن وجد فهو باستعمال الأسلوب الأنسب فقط.

4. التربية العاطفيّة:

المقصود من العاطفة هو الاستعداد والميل الفطريّ الداخليّ الذي يشكّل دعامة

(1) سورة لقمان، الآيتان17-19 .

(2) نهج البلاغة، مصدر سابق،ج3، ص38.

الجانب الوجداني عند الإنسان، وعلى أساس هذا الاستعداد الفطريّ، يستطيع الإنسان أن يُظهر ميوله الباطنيّة؛ منطلقاً من المحبّة والعطف لأبناء جِلْدَته، ومن خلال هذا الطريق يؤسّس معهم لعلاقةٍ قلبيّة وأنس وأُلفة.

والعائلة، هي المؤسّسة الأولى التي ينبغي أن تنمو فيها العواطف الإنسانيّة عند الأطفال. فالمحبّة التي تُنثر على الطِّفل من قِبَل الأمّ والأقارب؛ كالأب، والأخت، والأخ، لا يمكن أن يتلقّاها من أيّ شخص آخر. فلا يمكن لأيّ حاضنة أو ممرّضة أو قابلة، أن تلعب دور الأمّ الطبيعيّ في حياة الطِّفل، وأن تشغل مكانها.

فعندما تحضن الأمّ طفلها بمحبّةٍ عارمةٍ وترضعه، أو عندما تناغيه وتحاكيه بكلّ كيانها؛ فيقفز بَريقُ العشق والمحبّة من عينيها، وينفذ إلى أعماق وجود طفلها، وحينما تبقى الأمّ إلى جانب طفلها طوال الليلِ تلاطفه، وتذيقه حلاوة المحبّة، وترسل حرارة العشق والعاطفة إلى كلّ ذرّة من ذرّات وجوده؛ فإنَّ حرارة العشق والعاطفة المنطبعة نفسها تنمّي بذور العاطفة في وجود الطِّفل، وتعرّفه على إكسير العشق وكيمياء المحبّة. وعن مصاديق التربية العاطفية في السلوك مع الأطفال حدّثنا الإمام الصادق عليه السلام عن أسلوب والده الإمام الباقر عليه السلام في تعامله مع أحد أبنائه فيقول: «**والله، إنّي لأصانع بعض ولدي، وأجلسه على فخذي، وأكثر له المحبّة، وأكثر له الشكر، وإنّ الحقّ لغيره من ولدي، ولكن محافظة عليه منه ومن غيره؛ لئلّا يصنعوا به ما فُعل بيوسف وإخوته، وما أنزل الله سورة يوسف إلّا أمثالاً لكيلا يحسد بعضنا بعضاً، كما حسد يوسفَ إخوتُه وبغوا عليه فجعلها حجّة ورحمة**»[1].

ومن جملة الأساليب العمليّة التي تساعد على إبراز الرحمة والعطف تجاه الأبناء، التالي:

أ. **ملاطفة الولد بالمسح على رأسه:** ينقل في سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم العمليّة، أنّه كان كلّ يوم صباحاً يلاطف أبناءه بالمسح على رؤوسهم: «**وكان النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **إذا**

(1) محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، مصدر سابق،ج2، ص166.

أصبح مسح على رؤوس ولده وولد ولده»[1].

ب. **احتضان الولد:** يقول الإمام عليّ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**وضعني فِي حِجْرِهِ وأنا وليدٌ يَضُمُّنِي إلى صدرِهِ، وَيَكْنُفُنِي في فراشه، وَيُمسُّني جسدهُ، وَيُشمُّني عَرْفَهُ، وكان يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقمُنيه**»[2].

ج. **التقبيل:** جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**أكثروا من قبلة أولادكم؛ فإنّ لكم بكلّ قبلة درجة في الجنّة؛ مسيرة خمسمائة عام**»[3].

وذات يوم قبّل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ولده الإمام الحسن عليه السلام. فقال أقرع بن حابس: أنا لديّ عشرة أبناء وحتى الآن لم أُقبّل أحداً منهم. نظر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إليه وقال: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»[4].

د. **ملاعبة الأولاد:** يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**من كان له ولد صبا**»[5].

هـ. **الإنصاف والعدالة:** عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**اعدلوا بين أولادكم كما تحبّون أن يعدلوا بينكم في البرّ واللطف**»[6].

5. التربية الجنسيّة:

ينبغي للأمّ أن تعمل جاهدة على المحافظة على سلوك الأبناء من خلال تربيتهم تربية صحيحة، والانتباه إلى خطورة هذه القضيّة الأساسية والحسّاسة لديهم، فمن جهة الابنة، على الأُم أن تقف إلى جانبها خصوصا التي بلغت سنّ التكليف حديثاً بكلّ عطفٍ ومحبّة، وأن تكون دائماً موضع أسرارها ومرشدة لها؛ تطلعها على ما تحتاجه من معرفة، وبخصوص الابن أن يراعي الأب تربيته في هذا الجانب، وتعمل على توعيته وإرشاده، ومن هذه الأمور التي ينبغي مراعاتها والإلفات إليها:

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق،ج101، ص99.
(2) نهج البلاغة، مصدر سابق، ج2، ص157.
(3) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج 21، ص 485.
(4) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، ج4، ص380.
(5) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج6، ص50.
(6) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، مصدر سابق، ص220.

أ. **الحياء:** ينبغي للوالدين أن يراعيا في شؤون الحياة العائليّة كافّة أصل «**الحياء**»، وأن يهيّئا البيئة المناسبة لتربية أولادهما تربية صحيحة وإسلامية، من خلال المحافظة على الحياء في المحيط العائليّ، حيث يُراعيا اللّباس الإسلاميّ في حدّه المعقول أمام الأولاد أو أمام محارمهم من إخوتهنّ أو آبائهنّ؛ من أجل إزالة أيّ نوعٍ من العوامل الممهّدة للخطأ والانحراف بين الأبناء.

ب. **عدم استخدام الألفاظ البذيئة:** على الوالدين أن يراعيا في كلامها الأدب واللياقة وحسن الأخلاق، وأن يتجنّبا استخدام ألفاظٍ وكلمات تشير بأيّ نحو إلى مسائل تتعلّق بالجنس، وأن لا ينقلا أيّ قصص أو طرائف تتعلّق بالأمور الجنسيّة، ولو عن طريق المُزاح واللعب.

ج. **الفصل بين الفتية والفتيات:** روي عن الإمام الصادق عليه السلام : «**... ويفرّق بينهم في المضاجع لعشر...**»[1].

د. **المراقبة الدائمة لعلاقات الأبناء:** لا ينبغي أن تخرج علاقات الأولاد فيما بينهم عن مراقبة الكبار. بل يجب مراقبة العلاقات بين الأولاد، وخاصّة بعد عمر الخمس والست سنوات، وعمر مرحلة التعليم الأساسيّ. وينبغي إظهار المراقبة الكافية؛ كي لا يقع الأولاد في علاقات مشبوهة وبعيدة عن الأنظار. فإنَّه للأسف، يكون الأولاد أحياناً مورد استغلال مِنْ قِبَل مَنْ هم أكبر سنّاً؛ فيحرفونهم، ومن الممكن أن يلوّث ولدٌ واحدٌ منحرف عشرات الأولاد الآخرين ويحرفهم.

6. التربية الأسريّة:

الاختلاف بين الفتاة والصبي في التربية الأسريّة يرتبط بالوظائف التي ينبغي لهما أداؤها في المستقبل. فوفقاً للشريعة الإسلاميّة والواقع التكويني والاجتماعي والعرف السائد أيضاً، فأنّ البنت تتزوج باكراً أو لنقُل بنحوٍ أبكر من الصبي. لذا، يقع على عاتق الأهل والمربّين أن يعرّفوا الفتاة أكثر على طبيعة سير الحياة، وكيفيّة التدبير المنزليّ وتربية

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج6، ص46.

الأبناء، وأن يذكّروها بأهمّيّتها. ولا نقصد هنا أن تؤدّي الفتيات تلك الوظائف بنحو جدّي منذ سنّ الطّفولة، ولكن مرادنا أن نؤسّس للأدوار منذ البداية؛ حتى تكون منسجمةً مع اختلاف دنيا المرأة عن دنيا الرجل في المستقبل.

7. التربية الاجتماعيّة:

في ما يتعلّق بالشأن الاجتماعي على كلّ من الفتاة والفتى أن يطّلعا على وظائفهما وواجباتهما الاجتماعية بدقّة. وهنا أيضاً يوجد اختلاف وتفاوتٌ في وظائفهما الاجتماعيّة، وينبغي أن يكون حضورهما في المجتمع على أساس الضوابط التي حدّدها الإسلام. فالإسلام يرى أنّ حضور المرأة في الساحة الاجتماعية مشروطٌ بعدّة شرائط يجب أن تُراعى؛ من قبيل مراعاة السّتر والحجاب الإسلامي، وعدم الاختلاط مع الرجال، ورعاية الموازين الشرعية في العلاقات الاجتماعية. مثلًا ينبغي أن تعرف الفتاة انّه عند عدم وجود حضور نسائي في مجلس معين لا ينبغي عليها الجلوس، وأنّ لباسها يجب أن يكون محتشمًا دومًا، حتى أمام المحارم وحتى في صغرها، وإن كان موضوع الاحتشام مطلوبًا من الجنسين، إلا أنّ ضوابطه أكثر عند الفتيات كما هو معروف.

ومن الأمور الاجتماعية الحسّاسة هو انتقاء الأصدقاء، فالأصدقاء والرفاق هم قدوةٌ سلوكيّة وتربويّة لأبنائنا. إذ يرغب الفتيان والفتيات بنحوٍ طبيعيّ في إقامة علاقات صداقة، ويحبّون أن يتّخذوا من هم في سنّهم أصدقاءً لهم، وأن يعمّقوا أواصر الصداقة معهم، ولكن لبراءتهم، ولغلبة انفعالاتهم؛ وعدم الالتفات إلى مصالحهم؛ فإنّه من الممكن أن تشتبه عليهم الأمور في انتخاب الأصدقاء، فينتقون أفراداً غير مناسبين لمعاشرتهم. من هنا، تكمن وظيفة الوالدين، والأم على وجه الخصوص، في أنْ يساعداهم، وأن يوضّحا لهم خطر رفقاء السّوء، والأضرار الناجمة عن مصادقتهم، وأن يحذّراهم بأسلوب منطقيّ واستدلالي ومحبٍّ من معاشرة الأفراد غير الصالحين، والإفراط في الصداقة.

المفاهيم الرّئيسة

1. حقوق الأبناء: فقد حدّد الإمام عليه السلام المسؤولية التّربوية بأمرين رئيسيين هي:
2. حُسن الأدب: والأدب هنا عنوان عامّ يشمل العديد من المفاهيم والقِيم والمسلكيّات والسُّنن التي ينبغي أن يتربّى الولد عليها منذ الصّغر لتنطبع في شخصيّته.
3. الدلالة على ربّه: فلا بدّ من إرشاد الأبناء إلى العقيدة الإسلاميّة الصّحيحة.
4. أصول تربية الأبناء: ينبغي أن تُراعَى أصول التّربية في العملية التربويّة من خلال:
5. التّربية الدينيّة: يتشارك كلّ من الفتاة والصّبي في حقّهما بالتّربية الدينيّة، فلا بدّ من تعريفهم على الأحكام الشرعيّة، ولكن بالالتفات إلى أنّ الفتيات يبلغنَ سنّ التّكليف قبل الفتية.
6. التّربية الأخلاقية: يجب الاعتناء بالتّربية على المستوى الأخلاقيّ، ولكي يتخلّص الأبناء من الرّذائل الأخلاقية، ويتحلّوا بالأخلاق الحسنة.
7. التّربية العاطفيّة: المقصود من العاطفة هو الاستعداد والميل الفطريّ الداخليّ الذي يشكّل دعامة الجانب الوجداني عند الإنسان.إنّ العائلة هي المؤسّسة الأولى التي ينبغي أن تنمو فيها العواطف الإنسانيّة عند الأطفال، ومن جملة الأساليب العمليّة التي تساعد على إبراز الرّحمة والعطف تجاه الأبناء، ما يلي: ملاطفة الولد بالمسح على رأسه، إحتضان الولد، التّقبيل، ملاعبة الأولاد، الإنصاف والعدالة.
8. التربية الجنسيّة: ينبغي للأمّ أن تعمل جاهدةً على المحافظة على سلوك الأبناء من خلال تربيتهم تربية صحيحة، وينبغي مراعاة بعض الأمور، منها: الحياء، عدم استخدام الألفاظ البذيئة، الفصل بين الفتية والفتيات، المراقبة الدّائمة لعلاقات الأبناء.
9. التّربية الأُسريّة: الاختلاف بين الفتاة والصّبي في التربية الأُسريّة يرتبط بالوظائف التي ينبغي لهما أداؤها في المستقبل، وهذا يقع على عاتق الأهل والمربّين بأن يعرّفوا الفتاة أكثر على طبيعة سَيْر الحياة، وكيفيّة التّدبير المنزليّ وتربية الأبناء، وأن يذكّروها بأهميّتها.
10. التربية الاجتماعيّة: في ما يتعلّق بالشأن الاجتماعي على كلّ من الفتاة والفتى، أن يطّلعا على وظائفهما وواجباتهما الاجتماعية بدقّة.

الدرس الثالث والثلاثون

السيدة الزهراء عليها السلام
قدوة المرأة المسلمة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يبيّن الجانب العباديّ والعلميّ في شخصية السيدة الزهراء عليها السلام.
2. يوضح تفاصيل عقد قران السيدة الزهراء عليها السلام من الإمام عليّ عليه السلام.
3. يشرح مظاهر الزهد لدى السيدة فاطمة عليها السلام.

مقدّمة:

نتناول في هذا الدرس بعضاً من الجوانب الجليلة والعظيمة من حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

زواج السيدة فاطمة

1. عقد قران البتول:

كمالات فاطمة الرفيعة من ناحية، وكونها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ناحية أخرى، وشرف نسبها من ناحية ثالثة، كانت سبباً في سعي الكثير من كبار أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لخطبتها، إلاّ أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رفض تزويجها، وغالباً ما كان يكرّر قوله: «**أمرها إلى ربِّها!**»[1].

فخطبها العديد من الرجال الذين كانوا يتمتّعون بشأنية اجتماعية ومالية عالية، إلا أنّه يجب أن تُشخّص وتُطبّق المُثل الإسلاميّة في زواج فاطمة عليها السلام، فهي النموذج الأمثل للمرأة المسلمة التي ينبغي أن تختار من يليق بها ديناً وخلقًا.

وبينما كان حديث زواج فاطمة يدور على ألسن أهل المدينة، إذ أُذيع فجأةً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لن يزوّجها من غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي خلت يده من المال، ومن كلِّ ثروة دنيوية، ولم يكن يتحلّى بأيٍّ من الميزات التي تُقيم لها الجاهلية وزناً، لكنّه كان يتمتع بإيمان وقيم إسلامية أصلية، تملأ كيانه من مفرق رأسه إلى أخمصَي قدميه. وعندما تحقّق القوم علموا أنَّ وحياً سماوياً قد أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعقد هذا الزواج التاريخيّ المبارك، إضافةً إلى أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 43، ص125.

«أتاني مَلَك فقال: يا محمد، إنّ الله يقرئك السلام، ويقول لك: إنّي قد زوّجت فاطمة ابنتك من عليٍّ بن أبي طالب في الملأ الأعلى، فزوّجها منه في الأرض»[1].

عندما دخل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أخذ الحياء منه مأخذه، جلس بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يستطع التكلّم؛ لجلالة وهيبة صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: ما جاء بك؟ ألك حاجة؟ فسكت أمير المؤمنين عليه السلام، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقال علي عليه السلام: نعم، فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ! لقد سبقك آخرون إلى خطبتها مني، وإنّي كلما عرضت الأمر عليها لم تظهر موافقتها، دعني أحدّثها في شأنك.

صحيح أنّ هذا الزواج قد عُقد في السماء ويجب أن يتمّ، إلاّ أنّ احترام حرية المرأة في اختيار زوجها عموماً، وشخصية فاطمة عليها السلام خصوصاً تُحتّم على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أن يتشاور معها عليها السلام في هذا الأمر قبل البتّ فيه.

بعدها ذهب النبّي صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام وقال لها: إنّ علي بن أبي طالب ممّن قد عرفتِ قرابته وفضله في الإسلام، وإنّي سألت ربّي أن يزوّجك خير خلقه وأحبّهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً، فما ترين؟ فسكتت، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: الله أكبر! سكوتها إقرارها.

بعدها تمّ عقد القران بواسطة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[2].

2. مهر فاطمة:

ممّا لا شك فيه أنّ زواج أفضل رجال العالم بسيدة نساء العالم وابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يجب أن يكون مثلاً رائعاً، مثالاً لكلّ العصور والأزمنة؛ لذا توجه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالقول:

(يا أبا الحسن فهل معك شيء أزوّجك به؟ فقال عليّ عليه السلام:

فداك أبي وأمي والله ما يخفى عليك من أمري شيء، أَملك سيفي، درعي، وناضحي، وما

(1) الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى، مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي، مصر - القاهرة، 1356هـ، لا.ط، ص31.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 43، ص93.

أملك شيئاً غير هذا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي، أمّا سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكنّي قد زوّجتك بالدرع ورضيت بها منك)[1].

ونقرأ في رواية أخرى أنّ الزهراء عليها السلام طلبت من أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، أن يكون مهرها الشفاعة في المذنبين من أمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فنزل جبرئيل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مخبراً بتلبية الله سبحانه وتعالى لطلب فاطمة عليها السلام[2].

ربّما أنّ أغلى قيمة ذكرها التاريخ لهذا الدرع كانت خمسمِئة درهم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نقرأ في الحديث أنّ فاطمة عليها السلام سألت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، أن يكون صداقها الشفاعة لأمّته يوم القيامة، فنزل جبريل عليه السلام، ومعه رقعة من حرير مكتوب عليها: جعل الله مهر فاطمة الزهراء شفاعة المذنبين من أمّة أبيها[3].

نعم، وبهذا الشكل يجب أن تُحطّم القيم الخاطئة، لتحلَّ محلها القيم الأصيلة، وهكذا يجب أن تكون سير وأعراف ذوي الإيمان من الرجال والنساء، وعلى هذا النهج تكون حياة القادة الحقيقيين لعباد الله (عزّ وجلّ).

3. جهاز فاطمة عليها السلام:

المهر، الجهاز، ومراسم الزفاف هي المشاكل الكبرى الثلاث التي تواجه العوائل بشأن الزواج، وهي المشاكل التي تطغى أحياناً على الحياة الزوجية فتجعل الزوجين يعيشان الأَمرّين طيلة عمريهما.

وكما أمر رسول الله فقد بيع الدرع بأربعمِئة وسبعين درهماً، ثمّ جاء علي عليه السلام بالمهر إلى الرسول، فقسّم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المال إلى ثلاثة أقسام، حيث قبض قبضةً منه ودفعها إلى بلال وقال له: ابتع لفاطمة طيباً، ثمّ قبض بكلتا يديه مقداراً من ذلك المال ودفعه إلى

(1) الشهيد نور الله التستري، إحقاق الحق، من مخطوطات موقع مركز الفقيه العاملي لإحياء التراث، لا.م، لا.ت، لا.ط، ج10، ص358.

(2) أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ص88.

(3) الشهيد نور الله التستري، إحقاق الحق، مصدر سابق، ج10، ص367.

جماعة قائلاً لهم: اشتروا به ما يصلح فاطمة من ثياب وأثاث للبيت، ودفع مبلغاً آخر لأمِّ أيمن لتشتري به أمتعةً للبيت.

من الواضح أنّ جهاز العرس الذي يُهيّأ بهذا القدر من المال، لا بدَّ أن يكون بسيطاً رخيص الثمن.

وقد ذكرت كتب التاريخ أنّ جهاز سيدة نساء العالمين قد تكوَّن من ثمانية عشر نوعاً من الحاجيات، كلّها من ذلك المال، ونذكر هنا أهمّها:

قطيفة سوداء خيبرية، قميص بسبعة دراهم، سرير مزمّل بشريط، أربع مرافق من أُدم الطائف، حشوها أذخر[1].

ستر من صوف حصير هجير، رحى يدوية، سقاء من أدم، مخضب من نحاس، قعب للبن وشنّ للماء، جرّة خضراء... وأمثال ذلك.

4. **مراسم الزفاف:**

أجرى نبيّ الرحمة احتفالاً بهذا الزواج الذي اختاره الله سبحانه وتعالى، وبهذه العائلة التي كان لها الدور الأهم في تاريخ الإسلام، والتي انحدر منها النسل الطيب وأئمة الهدى، خلفاء الله في أرضه، فأغضبت مراسم الاحتفال تلك أعداء المسلمين، ورفعت رأس الموالين عالياً، وجعلت الخصوم يفكّرون بمعنى الإسلام.

حضرت كلٌّ من أمّ أيمن وأمّ سلمة وهما امرأتان ذواتا منزلة رفيعة في الإسلام، كما كانتا شغفتين بفاطمة الزهراء، عند رسول الله في بيت عائشة مع باقي زوجاته، فأحدقن به وقلن: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله، وقد اجتمعنا لأمر لو أنَّ خديجة في الأحياء لقرّت بذلك عينها.

قالت أمّ سلمة: فلمّا ذكرنا خديجة بكى رسول الله ثمّ قال: «**خديجة وأين مثل خديجة؟ صدّقتني حين كذّبني الناس، ووازرتني على دين الله، وأعانتني عليه بمالها، إنّ الله عز وجلّ أمرني أن أبشّر خديجة ببيت في الجنة من قصب (الزمرد) لا صخب فيه ولا نصب**».

(1) أذخر، نبات طيّب الرّائحة.

قالت أمّ سلمة: فقلنا: فديناك بآبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله، إنّك لم تذكر من خديجة أمراً إلاّ وقد كانت كذلك غير أنّها قد مضت إلى ربّها، فهنّأها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في درجات جنته ورضوانه ورحمته، يا رسول الله، وهذا أخوك في الدنيا، وابن عمّك في النسب علي بن أبي طالب، يجب أن تدخل عليه زوجته فاطمة، وتجمع بها شمله.

فقال: «**يا أمّ سلمة، فما بال عليّ عليه السلام لا يسألني ذلك؟**» فقلت: يمنعه الحياء منك يا رسول الله.

قالت أمّ أيمن: فقال لي رسول الله: «**انطلقي إلى عليٍّ فأتيني به، فخرجت من عند رسول الله فإذا عليّ ينتظرني؛ ليسألني عن جواب رسول الله، فلمّا رآني قال: ما وراءك يا أمّ أيمن؟ قلت: أجب رسول الله.**

قال علي: فدخلت عليه وقمن أزواجه فدخلن البيت، وجلست بين يديه مطرقاً نحو الأرض حياءً منه، فقال أتحبُّ أن تدخل عليك زوجتك؟ فقلت وأنا مطرق: نعم فداك أبي وأمي، فقال: نعم وكرامة يا أبا الحسن أدخلها عليك في ليلتنا هذه، أو في ليلة غد إن شاء الله، فقمت فرحاً مسروراً، وأمر أزواجه أن يزيّنَ فاطمة ويطيّبنَها ويفرشنَ لها بيتاً؛ ليُدخلنَها على بعلها، ففعلنَ ذلك.

وأخذ رسول الله من الدراهم التي سلّمها إلى أمّ سلمة عشرة دراهم فدفعها إليّ وقال: اشترِ سمناً وتمراً وأقطاً، فاشتريت وأقبلت به إلى رسول الله، فحسر عن ذراعيه ودعا بسفرة من أدم، وجعل يشدخ التمر والسمن، ويخلطهما بالأقط حتّى اتّخذه حيساً.

ثمَّ قال: يا عليّ، ادعُ مَن أحببت، فخرجت إلى المسجد وأصحاب رسول الله متوافرون، فقلت: أجيبوا رسول الله، فقاموا جميعاً وأقبلوا نحو النبيّ، فأخبرته بأنّ القوم كثير، فجلّل السفرة بمنديل، وقال: أدخل عليَّ عشرة بعد عشرة، ففعلت، وجعلوا يأكلون ويخرجون ولا ينقص الطعام، حتّى لقد أكل من ذلك الحيس سبعمِئة رجل وامرأة ببركة النبيّ.

قالت (أمّ سلمة): ثمّ دعا بابنته فاطمة، ودعا بعليٍّ، فأخذ عليّاً بيمينه وفاطمة بشماله،

وجعلهما إلى صدره، فقبّل بين أعينهما، ودفع فاطمة إلى عليٍّ وقال: يا علي نِعمَ الزوجة زوجتك، ثمّ أقبل على فاطمة وقال: يا فاطمة نِعمَ البعل بعلك، ثمَّ قام يمشي بينهما حتى أدخلهما بيتهما الذي هُيئ لهما، ثمّ خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب فقال: طهّركما الله وطهّر نسلكما، أنا سِلمٌ لمَن سالمكما، وحرب لمَن حاربكما، أستودعكما الله واستخلفه عليكما»[1].

مظاهر من شخصية السيدة فاطمة عليها السلام

1. المكانة العلميّة لفاطمة عليها السلام :

إنّ حبّ أولياء الله لشخص دون الآخر ليس حبّاً عاديّاً، فلا بد أن يكون قائماً على أسس مهمة منها العلم والإيمان والتقوى، وما علاقة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم القوية بابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ، إلاّ دليل على تمتّعها بتلك الصفات الفاضلة، إضافةً إلى ذلك، وعندما يقول (عليه الصلاة والسلام): «**فاطمة أفضل نساء العالمين**» أو «**أفضل نساء الجنة**»[2]، والتي ذكرنا أسانيدها من قبل، فإنّ هذا بحدِّ ذاته دليل على أنّها أعلم نساء العالمين.

علاوةً على ذلك فقد وردت في المصادر الإسلاميّة المعروفة روايات مهمةٌ، تكشف عن المقام العلمي الرفيع لهذه السيدة العظمية.

فقد روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل عن أمر يختصّ بالنساء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: متى تكون أدنى من ربِّها؟ فسار الإمام علي عليه السلام إلى السيدة فاطمة، فأخبرها بذلك. قالت: ارجع إليه فأعلمه أنّ أدنى ما تكون من ربِّها أن تلزم قعر بيتها، فانطلق فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ماذا من تلقاء نفسك يا علي. فأخبره أنّ فاطمة عليها السلام أخبرته. فقال صلى الله عليه وآله وسلم : صدقت إنّ فاطمة بضعة مني عليها السلام [3].

والواضح من الحديث أنّ علياً عليه السلام قد أخذ عن فاطمة عليها السلام أمراً يختصّ بالنساء من باب أنّ خير النساء تعرف ما هو خير لهنّ، وليست من جهة عدم علم الإمام عليه السلام ومعرفته.

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج43، ص117.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص178.

(3) يوسف بن حاتم الشامي المشغري، الدر النظيم، الناشر:مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، لا.ت، لا.ط، ص457.

2. عبادة فاطمة:

كانت فاطمة عليها السلام تنهج في الصلاة من خيفة الله تعالى، ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صلاة فاطمة: «**وأمّا ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين....متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته، يا ملائكتي انظروا إلى أَمَتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يدي، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد أمّنْتُ شيعتَها من النار**»[1].

وروي أنّه لمّا ولدت فاطمة عليها السلام نطقت بهذا الذكر المقدّس: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ أبي رسول الله سيّد الأنبياء**»[2].

وهذا يدل على أن هذه المرأة العظيمة قد اكتنفتها الرحمة والعناية الإلهية منذ اللحظة الأولى في حياتها الدنيا.

3. زهد فاطمة عليها السلام:

بالاستناد إلى الحديث النبويّ الشريف «**حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة**»[3]، وإلى ما تمخّضت عنه تجاربنا ومشاهداتنا في الحياة، فإنَّ كلَّ التجاوزات، الجنايات، الأكاذيب، الخيانات، الظلم، كانت نتيجةً لحب المال والجاه والشهوة. هنا يتّضح أنّ الزهد والورع هما أساس التقوى والطهارة والصلاح.

ولكن يجب معرفة ماهية الزهد، فالزهد لا يعني ترك الدنيا، والرهبنة والاعتزال عن المجتمع، بل أنّ حقيقة الزهد هي الحرية وعدم الوقوع في شراك الدنيا.

وعلى حدّ قول القرآن الكريم في تعريفه للزاهد: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[4].

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج43، ص172.
(2) المصدر نفسه، ج 16، ص 81.
(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص131.
(4) سورة الحديد، الآية 23.

روي أنّه ﷺ كان إذا قَدم من سفر أتى فاطمة، وأطال المكث عندها، ففي مرة صنعت لها مسكينِ من ورق وقلادة وقرطين، وستر باب بيتها، فقَدم ﷺ ودخل عليها، ثمّ خرج وقد عُرف الغضب في وجهه، حتى جلس على المنبر فظنت أنّه إنّما فعل ذلك لمّا رأى ما صنعته، فأرسلت به إليه ليجعله في سبيل الله، فقال: « **فعلت فداها أبوها - ثلاث مرات - ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله في الخير جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء «، ثمّ قال: فدخل ﷺ عليها**»[1].

من الواضح أن يكون ثمن السوارين والقرطين الفضيين والعقد الفضيّ زهيداً، والأزهد ثمناً منها ذلك الستار الذي يعلّقه الإنسان على باب الغرفة، غير أنّ الرسول ﷺ كان يعتبر أنّ ذلك ليس من شأن فاطمة عليها السلام، بل يرى أنّ فضيلتها وكرامتها تكمن في خصالها الإنسانية.

4. سموّ العفّة والطهارة:

نطالع روايةً تدلُّ على سموها وعفتها، حيث تنقل أسماء بنت عميس هذه القصة العجيبة: قالت فاطمة عليها السلام لأسماء بنت عميس: «**يا أسماء، إنّي استقبحت ما يُصنع بالنساء، إنّه يُطرح على المرأة الثوب فيصفّها، وقالت أسماء: يا ابنة رسول الله، أَلا أُريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنّتها، ثمّ طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة عليها السلام: ما أحسن هذا وأجمله، تُعرف به المرأة من الرجل، فإذا أنا مت فاغسليني أنتِ وعلي ولا يدخل عليَّ أحد**».

وجاء في نهاية هذا الحديث: «**إنّ فاطمة عليها السلام لمّا رأت النعش تبسّمت، وما رُؤيت مبتسمةً بعد النبيّ ﷺ قط**»[2].

5. خدمتها لزوجها وأولادها:

وتفانيها في القيام على شؤون بيتها، حيث تحضن طفلها في إحدى يديها، وفي الأخرى

(1) أحمد بن حجر الهيتمي المكي، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، مصر، 1385هـ - 1965م، ط2،ص 109.

(2) أحمد بن عبد الله الطبري، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ص54.

تطحن الشعير لتهيّئ لهم الخبز، شاهد صادق على زهدها العالي وإيمانها الصادق، ويشير الحديث التالي إلى هذا المعنى: «**لقد طحنت فاطمة بنت رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم**، حتى مجُلَت يدها، وربا وأثّر قطب الرحى في يدها**»[1].

عن أنس بن مالك أنّه قال: «**إنّ بلالاً بطّأ عن صلاة الصبح، فقال له النبيّ** صلى الله عليه وآله وسلم «**ما حبسك**» فقال: مررت بفاطمة وهي تطحن، والصبي يبكي، فقلت لها إن شئتِ كفيتك الرحى وكفيتِني الصبيّ، وإن شئتِ كفيتك الصبيّ وكفيتِني الرحى، فقالت «**أنا أَرفق بابني منك**»، فذاك حبسني، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فرحمتها يرحمك الله**»[2].

6. الشجاعة والشهامة

من الفضائل الأخلاقية التي تتحلّى بها سيدة النساء، الشجاعة والشهامة، في دفاعها عن أبيها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ضد مشركي مكة، كما أنّ مجيئها إلى ميدان أُحُد، وتضميدها جراح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لم يكن ليخفى عن أيّ أحد، وهذا ما أثبتته الأحاديث التي ذكرناها آنفاً.

(1) الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء، ج2، ص41.
(2) مسند أحمد، مصدر سابق، ج3، ص150.

المفاهيم الرئيسة

1. تتميّز السيّدة الزهراء عليها السلام بشخصيّتها الفريدة من بين نساء المسلمين، فهي ابنة النبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وصاحبة الكمالات المعنويّة الرّفيعة.
2. تطلّع الكثير من الصّحابة إلى مصاهرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنّه كان يعبّر بأن: «أمرها إلى الله».
3. زُوّجت السيّدة الزهراء عليها السلام من الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بأمر من الله سبحانه وتعالى، فاقترن النّور بالنّور، وعمّ الفرح والسرور الأرض والسّماء.
4. لقد جسّدت السيّدة الزهراء عليها السلام مثالاً عظيماً للمرأة المسلمة، وذلك من خلال مهرها الذي لم يكن مهراً مرتفعاً، حتى عُدّ مهر السنّة، وطلبأن يكون مهرها معنويّاً.
5. أجرى نبي الرّحمة احتفالاً بهذا الزّواج الميمون، وبهذه العائلة التي كان لها الدّور الأهمّ في تاريخ الإسلام، والتي انحدر منها النّسل الطّيب وأئمّة الهدى، خلفاء الله في أرضه.
6. للسيّدة الزهراء عليها السلام مقام علميّ رفيع، فقد أخذت العلم من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وتتلمذت على يديه، وورد في العديد من الرّوايات بيان لهذا المقام العلميّ الرّفيع.
7. وأمضت فاطمة عليها السلام حياتها في الصّلاة والعبادة والتهجّد لله سبحانه وتعالى.
8. اتّسمت حياة السيّدة الزهراء عليها السلام بالعفّة والطّهارة والحياء، فهي ممّن أذهب الله سبحانه وتعالى عنهم الرّجس، وكان من حيائها أنها أوصت أن توضع في النّعش عند وفاتها.
9. كانت عليها السلام تتفانى في القيام بشؤون دارها، وتربية أبنائها.

الدرس الرابع والثلاثون

السيدة زينب عليها السلام قدوة الجهاد والإيثار

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يبيّن الجانب المعرفيّ في شخصية السيدة زينب عليها السلام.
2. يوضح حالة العفاف التي تميّزت بها شخصية السيدة زينب عليها السلام.
3. يشرح كيف برزت سمة الشجاعة في حياة السيدة زينب عليها السلام.

مقدّمة:

نتناول في هذا الدرس بعض الجوانب الشخصية التي تميّزت بها السيدة زينب كامرأة مناضلة وصابرة وعابدة.

الوعي والمعرفة في شخصية السيدة زينب عليها السلام

يقول الإمام الخامنئي في كلمة له حول السيدة زينب عليها السلام إنّ: «**عظمة السيدة زينب الكبرى وقيمتها لا تكمن في صبرها وتحمّلها فقط، فكلّ النسوة اللاتي كنّ في ذلك المخيم صبرن، ولو لم يصبرن فماذا كنّ سيفعلن؟ إن قيمة السيدة زينب الكبرى وأهميتها تكمن في معرفتها ووعيها، حيث كانت تدرك ما كانت تفعله، وتدرك أيّ عمل عظيم تقوم به من خلال حضورها في تلك الواقعة وصبرها على ما جرى فيها...، فلو لم تكن هناك لما بلغتنا هذه القضية، حيث كان السكوت والتعتيم الإعلاميّ يلفّان الأوضاع، ويقلبان الحقّ باطلاً والباطل حقاً، وكان بيان السيدة زينب وخطبها أول من أزاح تلك الظلمة وذلك التعتيم، حيث كان كالبرق الساطع في الظلمة الداكنة. كانت السيدة تعرف ماذا تفعل...**

وفي الحقيقة إنّ السيدة زينب هي التي صنعت حادثة كربلاء. ونحن بحاجة لهذا الوعي عند نسائنا، لتعلم أم الشهيد معنى صبرها ومدى تأثيره وأهميته في إعداد الإنسان، ولتعلم زوجة الشهيد أي دور لها وأي أهمية، ولتعلم الفتاة العفيفة الطاهرة أي دور وأهمية لعفّتها وطهارتها في بناء المجتمع. ليعلمن اللاتي يضبطن أحاسيسهنّ، ويحفظن قلوبهنّ، ويحرّكن أدمغتهنّ وأفكارهنّ من أجل الله ويصرفن طاقاتهنّ في سبيله، ليعلمن

قيمتهنّ وأهميتهنّ. لذا يجب على المرأة أن تعلم أن صبرها ومقاومتها وكلامها ونظراتها وسكوتها وإنفاقها في سبيل الله بل وحتّى إمساكها عن الإنفاق حيث يجب الإمساك كلّ ذلك إنّما هو لسبب وجيه. عند ذلك سيكون عملها مفيداً وذا معنى»[1].

عفاف السيدة زينب عليها السلام

إنها ربيبة بيت النبوّة، وسليلة الإمامة، عاشت يظلّلها العفاف من كلّ طرف، ويطوّقها الشرفُ من كل جهة.. قال يحيى المازنيّ: «**كنتُ في جوار أمير المؤمنين عليه السلام مدّةً مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فوالله ما رأيتُ لها شخصاً، ولا سمعتُ لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تخرج ليلاً، والحسنُ عن يمينها والحسين عن شمالها، وأمير المؤمنين أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين فأخمد ضوء القناديل، فسألَه الحسنُ مرّة عن ذلك فقال: أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب**»[2].

فإذا كانت سلام الله عليها قد خرجت إلى كربلاء مع الركب الحسينيّ المجاهد؛ فإنّما خرجت لضرورة اقتضتها مصلحة الدين، لتشاطر أخاها وإمامها الحسين عليه السلام في نهضته وثورته، وإلاّ فإنّ السبي كان من النوائب التي لا تطاق، والنوازل التي تتزلزل منها الجبال بعد فاجعة الطفّ بأحداثها المؤلمة، وقد تحمّلتها زينب لتُكمل ما شرع به سيّدُ الشهداء عليه السلام، فخطبت ـ وهي الخَفِرة ـ في أهل الكوفة، وفي مجلس عبيد الله بن زياد وفي قصر يزيد لتكشف الحقائق، وتبصّر الناس وتعيد الأمّة الضالة إلى طريق الهداية، ولذا قالت زينب عليها السّلام ليزيد في مجلس قصره: «**ولئنْ جرّتْ عليَّ الدواهي مخاطبتَك، إنّي لأستصغرُ قَدْرك، وأستعظمُ تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكنّ العيون عبرى، والصدور حرّى**»[3].

(1) الإمام الخامنئي، من كلمة في أعضاء جمعية السيدة زينب عليها السلام، تاريخ 1988/2/17م.
(2) الشيخ جعفر بن محمد النقدي، زينب الكبرى عليها السلام، ص 22.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 45، ص 134.

عبادتها

العبادة هداية اختصّ الله بها عباده المخلصين، فوهب لهم الجدَّ في خشيته، والدوام في الاتّصال بخدمته، حتّى سرحوا إليه في ميادين السابقين، وأسرعوا إليه في المبادرين، إذ كانت أعمالهم وأورادهم كلها ورداً واحداً، وحالهم في خدمته سرمداً، فجعل ألسنتهم بذكره لَهِجة، وقلوبهم بحبِّه مُتيَّمة. وكانت منهم فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، وثانيتهما في ذلك ابنتها العقيلة زينب سلام الله عليها، فكانت تؤدّي نوافل الليالي كاملة في أوقاتها، حتّى أنَّ الحسين عليه السلام عندما ودّع عياله الوداع الأخير يوم عاشوراء قال لها: «**يا أختاه، لا تنسيني في نافلة الليل**»[1]. وصدق ظنه وصدقت هي طاعة لله، فلم تترك تهجّدها حتّى ليلة الحادي عشر من المحرّم وأجساد أهلها مضرجةٌ بدمائها إلى جانبها، فصلّت من جلوس وقد هدّها المصاب ـ كما روى الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام ـ والعيال في هول وفزع وحزن مرير، وكذا وهي في طريق السبي.. فقد نُقل أنّ السيّدة زينب مع تلك المصائب والمحن النازلة بها في طريقها إلى الشام ما تَرَكت نوافلها الليلية.

فصاحتها

كانت فصاحة سيدتنا زينب تجمع ـ إلى قوّة العبارة وحسن الأسلوب ـ عنصرين شريفين: المعرفة والشجاعة، لذا هيمنت كلماتُها على السامعين وجعلتهم حيارى بمَ يُجيبون، والأمثلة في ذلك وافرة:

قال حذيم الأسديّ: «**لم أرَ واللهِ خَفِرةً قطّ أنطقَ منها، كأنّها تنطق وتُفْرغ عن لسان عليّ** عليه السلام، **وقد أشارت إلى الناس (أي أهل الكوفة بعد فاجعة كربلاء وقد جيء بها سبيّة) بأن أنصتوا، فارتدّت الأنفاس، وسكنت الأجراس، ثمّ قالت: أما بعدُ يا أهل الكوفة، يا أهل الختل، والغدر والخذل، أتبكون؟ فلا رقأت العبرة، ولا هدأت الزفرة.. هل فيكم إلاّ الصلف، والعجب، والشنف، والكذب، وملق الإماء، وغمز الأعداء؟ ثمّ أنشأت تقول:**

(1) منسوب إلى الفاضل النائيني البروجردي، ولكنه ليس في مصدر معتبر. وفيات الأئمة، مراجع من العلماء الاعلام، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1412هـ - 1991 م، ط1، ص 441.

ماذا تقولون إذ قال النبيُّ لكم ... ماذا صنعتم وأنتم آخر الأممِ
بأهلِ بيتي وأولادي وتكرمتي ... منهم أُسارى ومنهم ضُرِّجوا بدمِ
ما كان ذاك جزائي إذ نصحتُ لكم ... أن تُخْلفوني بسوءٍ في ذوي رَحِمي

قال حذيم: فرأيت الناس حيارى قد ردّوا أيديَهم في أفواههم، فالتفتُّ إلى شيخ في جانبي يبكي وقد اخضلّت لحيته من البكاء وهو يقول: بأبي وأمي، كهولُهم خير كهول، ونساؤُهم خيرُ نساء، وشبابهم خير شباب، ونسلُهم نسل كريم، وفضلهم فضل عظيم[1].

وحين جيء بالسبايا إلى قصر ابن زياد أخذ يستعرض عائلة رسول الله ﷺ بالسؤال عن أفرادها، ثمّ سأل: مَن هذه المنحازة عن النساء؟ فقيل: زينب بنتُ عليّ، فقال: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم، وأكذب أُحدوثتكم. فأجابته سلام الله عليها: الحمدُ لله الذي أكرمنا بنبيه محمّد ﷺ، وطهّرنا من الرجس تطهيراً، إنّما يُفتَضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا ». قال ابن زياد: كيف رأيتِ فِعلَ الله بأهل بيتك؟ قالت: «**ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتلَ فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجَّ وتُخاصَم. فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة !**»[2]. فغضب ابن زياد واستشاط من كلامها معه في ذلك المحتشد.

وحينما جيء بالسبايا إلى الشام، وأُدخلن إلى قصر يزيد.. ألقت العقيلة زينب عليها السّلام خطبتها المعروفة في مجلسه، وكان منها: «**أمِن العدل يا ابن الطلقاء.. تخديرُك حرائرَك وإماءَك، وسوقُك بنات رسول الله سبايا؟.. ألا فالعجبُ كلّ العجب، لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء... فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذِكرَنا، ولا تُميتُ وحينا...**»[3].

الشجاعة

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 45، ص 109.
(2) المصدر نفسه، ج 45، ص 116.
(3) المصدر نفسه، ج 45، ص 134.

تمثّلت هذه البطولة العلوية بجميع صورها وألوانها عند حفيدة الرسول وعقيلة بني هاشم السيّدة زينب (سلام الله عليها)، فإنّها لمّا مثلت أمام الإرهابيّ المجرم سليل الأدعياء ابن مرجانة احتقرته واستهانت به، فاندفع الأثيم يظهر الشماتة بلسانه الألكن قائلاً: الحمد لله الذي فضحكم، وقتلكم، وكذّب أُحدوثتكم... فانبرت حفيدة الرسول بشجاعة وصلابة قائلة:

«الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِنَبِيِّهِ، وَطَهَّرَنَا مِنَ الرِّجْسِ تَطْهِيراً، إِنَّمَا يَفْتَضِحُ الْفَاسِقُ وَيَكْذِبُ الْفَاجِرُ، وَهُوَ غَيْرُنا، وَهُوَ غيرنا يَا بْنَ مَرْجَانَة..»[1].

لقد قالت هذا القول الصارم الذي هو أمضى من السلاح، وهي والمخدَّرات من آل محمّد في قيد الأسر، وقد رفعت فوق رؤوسهن رؤوس حماتهن، وشهرت عليهنّ سيوف الملحدين.

لقد أنزلت العقيلة - بهذه الكلمات- الطاغية من عرشه إلى قبره، وعرّفته أمام خدمه وعبيده أنّه المفتضح والمنهزم، وأنّ أخاها هو المنتصر، ولم يجد ابن مرجانة كلاماً يقوله سوى التشفّي بقتل عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قائلاً: كيف رأيت صنع الله بأخيك..؟[2].

وانطلقت عقيلة بن هاشم ببسالة وصمود، فأجابت بكلمات الظفر والنصر لها ولأخيها قائلة:

«ما رَأَيْتُ إِلاّ جَميلاً، هؤُلاءَ قَوْمٌ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْقَتَلَ، فَبَرَزُوا إِلى مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَتَحَاجُّ وَتُخَاصَمُ، فَانْظُرْ لِمَنِ الْفَلجُ يَوْمَئِذٍ، ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَا بْنَ مَرْجَانَةَ..»[3].

أرأيتم هذا التبكيت الموجع؟ أرأيتم هذه الشجاعة العلوية؟ فقد سجلت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بموقفها وكلماتها فخراً للإسلام وعزاً للمسلمين ومجداً خالداً للأسرة النبوية.

---

(1) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1403هـ - 1983م، ط4، ج 4، ص 349.

(2) الشيخ جعفر بن محمد النقدي، زينب الكبرى عليها السلام، مصدر سابق، ص 61.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 45، ص 115.

أمّا موقفها في بلاط يزيد، وموقفها مع الشاميّ وخطابها الثوريّ الخالد فقد هزّ العرش الأمويّ، وكشف الواقع الجاهليّ ليزيد ومن مكّنه من رقاب المسلمين.

علمها

رُوي أنّ العقيلة زينب عليها السّلام خَطَبت في الكوفة خُطبتَها الغرّاء فتركت أهل الكوفة يَموجُ بعضُهم في بعض، قد رَدُّوا أيديهم في أفواههم، حيارى يبكون وقد تمثّل لهم هولُ الجناية التي اقترفوها، قال الإمام زين العابدين عليه السلام لعمّته زينب عليها السّلام: أنتِ بحمد الله عالِمةٌ غيرُ مُعلَّمة، فَهِمةٌ غيرُ مُفهَّمة[1].

وكلام الإمام زين العابدين عليه السلام يدلّ ـ بما لا غبار عليه ـ على المنزلة العلميّة الرفيعة التي ارتقت إليها عقيلة الهاشميّين عليها السّلام، فهي عالمة بالعلم اللدُنّيّ المُفاض من قِبل ربّ العزّة تعالى.

من حياتها الاجتماعية

زواجها:

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يَرغَبُ أن يتزوّج بناته من أبناء عُمومتهنّ: أولاد عقيل وأولاد جعفر، ولعلّ السبب في ذلك هو كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ حينَ نظر إلى أولاد الإمام عليّ وأولاد جعفر بن أبي طالب ـ فقال: ـ (بَناتُنا لبَنينا، وبَنونا لبَناتنا)[2]. وحصلت الموافقة على الزواج من عبد الله بن جعفر، وتمّ العقد المبارك في جوّ عائلي يَغمره الودّ والمحبّة، وزُفّت السيدة زينب عليها السلام إلى دار زوجها عبد الله بن جعفر بكلّ إجلال واحترام. وعبد الله فتىً من أنبل فتيان بني هاشم وأحبّهم إلى الإمام وأقربهم إليه، وهو من أعلام النبلاء والكرماء في دنيا العرب والإسلام، وسيّد من سادات بني هاشم، يقول فيه معاوية: «**هو**

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 45، ص 164.

(2) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، تصحيح لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، العراق- النجف الأشرف، 1376هـ - 1956م، لا.ط، ج 3 ص 90.

أهلٌ لكلّ شرفٍ، والله ما سابقه أحدٌ إلى شرف إلاّ وسبقه»[1].

وكان يُسمى «**بحر الجود**»[2]، ويقال: لم يكن في الإسلام أسخى منه[3]، مدحه نصيب فأجزل له في العطاء، فقيل له: تعطي لهذا الأسود مثل هذا؟ فقال: إن كان أسود فشعره أبيض، ولقد استحقّ بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناه إلاّ ما يبلى، وأعطانا مدحاً يروى، وثناءً يبقى[4]. وعوتب على كثرة برّه وإحسانه إلى الناس، فقال: «**إن الله عوّدني عادة، وعوّدت الناس عادة، فأخاف إن قطعتها قطعت عني**»[5].

ونقل الرواة بوادر كثيرة من كرمه وسخائه، وقد وسّع الله عليه لدعاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له فكان من أثرى أهل المدينة، ومضافاً إلى سخائه فقد كان من ذوي الفضيلة، فقد روى عن عمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وعن الحسن والحسين عليهما السلام.

(1) ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1404هـ - 1984م، ط1، ج5، ص150.
(2) ابن الأثير، أسد الغابة، دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت، لا.ت، لا.ط، ج 3، ص 134.
(3) ابن عبد البر، الاستيعاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، لبنان - بيروت، 1412هـ - 1992م، ط1، ج 3، ص 881.
(4) ابن عبد البر، الاستيعاب، مصدر سابق، ج 3، ص 882.
(5) المصدر نفسه، ج3، ص882.

المفاهيم الرّئيسة

1. إنّ قيمة السيّدة زينب الكبرى وأهمّيتها تكمن في معرفتها ووعيها، حيث كانت تدرك ما كانت تفعله، وتدرك أيّ عمل عظيم تقوم به من خلال حضورها في تلك الواقعة وصبرها على ما جرى فيها.
2. إنّ عفاف السيّدة زينب عليها السلام وطهارتها وضعاها في قمّة المجد، فقد كانت ربيبة بيت النبوّة، وسليلة الإمامة، عاشت يظلّلها العفاف من كلّ طرف، ويطوّقها الشّرفُ من كلّ جهة، فهي التي لم يبِن لها ظلّ طوال حياتها في المدينة، وهي التي خرجت مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء يطوّقها الشّرف والطّهارة.
3. كانت السيّدة زينب عليها السلام تجسّد الدّرجة العالية في عبادة الله سبحانه وتعالى، وكانت تقضي أيّامها في عبادة الله عز وجل.
4. كانت فصاحة السيّدة زينب تجمع إلى قوّة العبارة وحُسن الأسلوب، عنصرَين شريفين هما المعرفة والشّجاعة، لذا هيمنت كلماتُها على السّامعين وجعلتهم حيارى بمَ يُجيبون، فهي الّتي خطبت في الكوفة خطبتها البليغة، وكذلك في بلاد الشّام.
5. إنّ الشّجاعة والبطولة العلويّة بجميع صورها وألوانها تجلّت عند حفيدة الرّسول وعقيلة بني هاشم السيّدة زينب عليها السلام، فهي الّتي خاطبت عبيد الله بن زياد، وكذلك يزيد بن معاوية، وهذا يكشف عن شجاعتها وثباتها، وقوّة موقفها.
6. لقد وصف الإمام زين العابدين عليه السلام السيّدة زينب عليها السلام بوفرة العلم، حيث قال:» أنتِ بحمد الله عالِمةٌ غيرُ مُعلَّمة، فَهِمةٌ غيرُ مُفهَّمة».
7. قدّمت السيّدة زينب عليها السلام نموذجاً يُقتدى به في الحياة الزّوجية، فقد تزوّجت من ابن عمّها عبدالله بن جعفر، وأسّست منزلاً تعمُّه أجواء الإيمان والتّقوى والعبادة لله سبحانه وتعالى، وقد أنجبت أبناءً صالحين سقطوا شهداء بين يدي الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

الدرس الخامس والثلاثون

جهاد المرأة في عاشوراء

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى الدّور العامّ للمرأة في النّزاعات.

2 . يشرح دور المرأة في كربلاء.

3 . يعدّد بعض المواقف البطولية للمرأة في كربلاء.

تمهيد

لقد أخذ الإمام الحسين عليه السلام النّساء معه كي يؤدين أدواراً مهمّة لنصرة الثّورة، أو بالأحرى لقد كانت أدوار النّساء ضمن البرنامج التّخطيطي لقائد الثّورة الّذي لم يكن يفكّر بأنّه سينُهي المواجهة بعدم مبايعته ليزيد، ومن ثمّ استشهاده بل كان لابدّ من توجيه الأمّة إلى قيم جديدة وتربويّات مطلوبة. ولم يكن لهذه المهمَّة الصّعبة من يؤدّيها سوى هؤلاء النّساء وعلى رأسهنّ السيّدة زينب عليها السلام. وهذا يشير إلى ثقته الكاملة بأُخته وبأنّ هؤلاء النّساء هنّ موضع اعتماد، وهنّ قادرات على أداء التّكاليف المطلوبة. وستبقى هذه النّساء رمزاً للبشريّة جمعاء، وخصوصاً للمرأة التي تبحث في كلّ عصر عن نماذج يُقتدى بها، وتسير في هداها.

الحضور العامّ للمرأة في النّزاعات

إنّ وجود المرأة في مناطق النـّزاعات غالباً ما يكون عامل تحريك للرأي العامّ وعامل تعريف بجرائم العدوّ، ولهذا نجد أنّ الإعلام إذا ما أراد أن يُظهر بطش الحاكم وطغيانه فانه يعرض صوراً لنساء معذبات أو مقتولات أو أطفالاً يبكون ويستصرخون ويصرخون.. صور من الممكن أن تهزّ الضّمير الاجتماعي وتحدِث فيه حركة باتجاه المطلوب، بمعنى أنّ وجود المرأة في النـّزاعات المسلّحة والحروب غالباً ما يكون عاملاً لكشف وحشيّة العدو ومجازره وبشاعته. ولنا أن نستعرض في ذاكرتنا ما كان يبثّ من صور عن المعارك التي شهدها القرن المنصرم وبداياته والتي يَستعمل فيها الإعلام مونتاجاً خاصاً لعرض بكاء الأمّهات وذهول الزّوجات وأنين البنات. ولهذا اهتزّت الكوفة لمّا جاء ركب الحسين عليه السلام

وارتجّت لمرأى الأطفال الذين ارتعدت فرائصهم واصفرّت وجوههم، وماجت للحرائر المخدّرات اللّواتي ارتسم الحزن على وجوههنّ وبان ثقل الدّموع في مآقيهنّ، وازداد الألم حينما جادت عليهنّ الكوفيّات بالإزر والمقانع، وضجّ النّاس بالبكاء والعويل حينما أزيح السّتار عن القناع الأموي، فهؤلاء لسنَ سبايا الخوارج والديلم كما قال ابن زياد؛ إنما سبايا آل البيت عليهم السلام!

حضور المرأة في كربلاء

واقعة الطّف كانت بحاجة إلى تواجد المرأة كي تنجح الثّورة، وبحاجة إلى حضور نسائي متميّز لا يجزي عنه الرّجل أبداً. فمن المعلوم أنّ الإمام لو اصطحب الكثير من الرّجال، ليس معلوماً أن يقوموا بالدّور المطلوب منهم بكامله، وبهذا جاء حمل النّساء كدلالة على تخطيط مستقبليّ للثّورة فيما يمكن أن تؤدّيه النساء من أدوار تدور ضمن مصلحة الإسلام الكبرى والإيمان بمبادئ الإمام في الإصلاح والتّغيير، فهو إذن اجتياز للدّائرة المحدّدة التي تشمل حياة المرأة الخاصّة، ولكنها لا تلغي شخصيّة المرأة نفسها أو أهدافها الممتدّة في الحياة أو مسؤوليّاتها العديدة.

وكان الحضور النّسائي متميزاً في نساء عُرِفن بالعلم والمعرفة والبلاغة والفصاحة والصّبر الجميل إلى غير ذلك، وبذلك نجح الرّجل (الإمام وأنصاره) في تضحيته كما نجحت المرأة «**زينب عليها السلام**» في التّبليغ والإعلام الموجّه، ولم تكن الأدوار التقليديّة للنّساء كالأمومة والزّوجيّة عائقاً أمام تحقيق نجاح أوسع ضمن دائرة الأهداف العامّة أبداً، بل كانت هذه الأدوار سبباً لإضفاء مزيد من الحزن والتفجّع على ما جرى في الطّفوف، فهؤلاء النّساء قدّمن الغالي والنّفيس، بل ضحّين بالولد والأخ والزّوج، لنصرة الثّورة في زمن تقاعس فيه الأشاوس من الرّجال عن نصرة الإمام الذي كانوا يسمعون استغاثته!. وبهذا تحولت الأدوار التقليديّة الّتي تضجر منها المرأة المعاصرة إلى أدوار رساليّة ومحطّات انطلاق لرسم هويّة ثائرة للمرأة المسلمة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

وكان مجموع هذه النّساء إضافة إلى الأطفال يؤلّف قافلة سبايا أهل البيت، الذين

فرّوا بعد مقتل الحسين وهجوم الأعداء على الخيام، ثمّ قُبض عليهم وسيقوا في قافلة السّبايا إلى الكوفة ومنها إلى الشّام.

وإذا نظرنا إلى خلفيّة تلك الطّاهرات اللّاتي جئنَ إلى أرض المعركة، نلاحظ أن فيهنّ الأمّ والجدّة، والأخت والشّقيقة، والعمّة والخالة، والإبنة والحفيدة، والزّوجة والسّرية، ويجب التمعّن بأنّ لكلّ منهنّ مهمّة ربّما تختلف تماماً عن مهمّة الأخرى، ولكن يجمعهنّ الإيمان بأرقى مفاهيمه الإنسانية والّتي جاء بها الإسلام ولخّصها في شخص الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه.

السيّدة زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليها السلام والمواقف الصّلبة

المرأة الّتي أبَت إلا المشاركة في النّهضة، تلك الزّوجة الوفيّة، والأمّ الحنونة، والعمّة العطوفة، والخالة الرّؤوفة، والأخت المسؤولة الّتي كانت قدوة ليس للنّساء فحسب بل وللرّجال أيضاً، أخذت على عاتقها أدواراً مختلفة يَصعب على المرء حصرها، ولكن سنشير إلى جانب منها ألا وهو تفعيل وتكريس الأهداف الّتي من أجلها نهض الإمام الحسين عليه السلام وذلك بعد شهادته عليه السلام، وإن شئت فقل إنّ تكميل ذلك الدّور واستمراريّته قد وقع على عاتقها، ولا يمكن نسيان هذا الدّور الفاعل، ولولا جهودها لما أثمرت تلك النّهضة المباركة بهذا الشّكل الذي أثمر، وقد أبت السيّدة زينب عليها السلام إلا أن تشارك شقيقها الحسين عليه السلام، فقد ذكر المؤرّخون أن ابن عبّاس جاء إلى الحسين عليه السلام ناصحاً ومودعاً وهو بأرض الحجاز ليثنيه عن السّفر إلى العراق، ولكنّه وجد نفسه أمام إصرار الإمام عليه السلام الذي لا محيص عنه، فطلب منه عليه السلام أن لا يأخذ معه النّساء قائلا: جُعلت فداك يا حسين، إن كان لابد من السّير إلى الكوفة فلا تَسر بأهلك ونسائك، فسمعته السيّدة زينب عليها السلام عليها السّلام فانبرت تخاطبه: يا ابن عبّاس تشير على سيّدنا وشيخنا أن يخلفنا ههنا ويمضي وحده ؟ لا والله بل نحيا معه ونموت معه وهل أبقى الزّمان لنا غيره[1].

(1) السيّد هاشم البحراني، مدينة المعاجز، ج3، ص485.

بحريّة بنت مسعود الخزرجيّة وتجهيز ابنها للشّهادة:

نموذج المرأة التي تجهّز ابنها للشّهادة، كانت بحريّة ممن حضرن كربلاء مع زوجها جنادة بن كعب الخزرجي فخرج الزّوج وقاتل قتال الأبطال بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ولمّا لم تمتلك بحريّة وسيلة أخرى للدّفاع عن الحق المتمثّل بالحسين عليه السلام، جاءت إلى ابنها عمر، الذي لم يتجاوز العقد الأوّل من عمره، فألبسته لامة الحرب وقلّدته السّيف، وتحدّثت معه بأمر القتال بين يدي أبي عبد الله، والنّواميس التي يدافع عنها، وحثّته على ذلك وقالت فيما قالته: أخرج يا بنيّ وانصر الحسين عليه السلام وقاتل بين يدي ابن رسول الله، فلما جهّزته خرج ووقف أمام الحسين عليه السلام يستأذنه للقتال، فلم يأذن له فأعاد عليه الاستئذان، فقال الحسين عليه السلام: «**إنّ هذا غلام قتل أبوه في المعركة، ولعلّ أمّه تكره ذلك**» فقال عمر: «**يابن رسول ألله إنّ أمّي هي التي أمرتني وقد قلّدتني هذا السّيف وألبستني لامة الحرب** » وعندها سمح له الحسين عليه السلام فذهب إلى ميدان القتال وهو ينشد ما يختلج بقلبه قائلاً من المتقارب:

أمـــيري حـسـين ونِـعـم الأمـير ... سرور فـــؤاد الـبـشـير الـنّـذيـر
عـــليّ وفـاطـمـــة والـــداه ... فـهـل تـعـلـمـون لـه مـن نظير
لـه طلعة مـثـل شـمـس الضّحى ... لـــه غـــرة مـثـل بـــدر المـنـير

فقاتل حتى قُتل وقُطع رأسه فرُمي به إلى جهة الحسين عليه السلام، فأخذته أمّه وضربت به رجلاً أو رجلين فقتلتهما، وحفّ إليها الحسين عليه السلام فأرجعها إلى الخيمة[1]. فمن يا ترى يمتلك قلباً مفعماً بالإيمان والشّجاعة!.

دلهم بنت عمرو الكوفيّة والتّشجيع على الولاء والقتال

نموذج المرأة الّتي وضعت زوجها على الطّريق، لم يكن زوجها زهير بن القين البجليّ من الموالين لأهل البيت عليهم السّلام، بل كان على الخطّ العثمانيّ الّذي يقع على النّقيض من خطّ أهل البيت عليهم السّلام، ولكنّ الطّريق جمع بينه وبين الإمام الحسين عليه السلام،

(1) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج3، ص253.

وهما في طريقهما إلى الكوفة، وما كانت إلّا ساعة فإذا برسول الحسين عليه السلام على باب خيمة زهير يقول: إنّ أبا عبدالله بعثني إليك لتأتيه، فساد صمت رهيب في مجلس زهير، حيث كان يكره زهير وقومه مسايرة الحسين عليه السلام وهو في الطّريق فكيف بهم ورسول الحسين يدعوهم للُقياه، وفي هذه اللحظة مزّقت دلهم تلك المرأة الحكيمة والمؤمنة، أجواء الصّمت والذّهول، والتفتت إلى زوجها مفجّرة بكلماتها بركاناً من الدُّرر التي أثّرت على القلوب، حيث وقالت: يا زهير أيبعث إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه، سبحان الله، لو تأتيه فسمعت كلامه، ثم انصرفت، فما كان من زهير إلا أن قّرر الذّهاب إلى أبي عبدالله عليه السلام ويستمع إليه، وفجأة وجد زهير نفسه في مجلس الحسين عليه السلام، حيث حملته رجلاه إليه، ولمّا حاوره الحسين عليه السلام وبيّن أهداف نهضته، إنقلب زهير واتّخذ قراراً حاسماً، وصمّم على الالتحاق بركب ريحانة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، فعاد إلى قومه مستبشراً قد أَسفر وجهه والتفت إلى زوجته ليطلّقها ويلحقها بأهلها، لا كرهاً بها بل حبّاً لها، موطّناً نفسه للشّهادة، فبشّرها بقراره الشّجاع، والتحاقه بركب الحقّ فقامت إليه زوجته تودّعه باكية لتقول له بكلّ ثبات: خار الله لك أسألك أن تذكُرني في القيامة عند جدّ الحسين[1].

وهكذا ودّع زهير كلّ متاع الدّنيا ليقول للحسين عليه السلام: «**والله لو كانت الدّنيا لنا باقية وكنّا مخلّدين إلا أنّ فراقها في نصرتك وموآساتك لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها ... أما والله لوددت أنّي قُتلت ثمّ نُشرت ثمّ قُتلت حتى أقتل هكذا ألف قتلة، وأنّ ألله يدفع بذاك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك ...**»، طلّق زهير زوجته والدّنيا، وطلّقت زوجته حلاوة الدّنيا وبهجتها وأذعنت لقرار زوجها خوفاً من أن يتردّد عن الشّهادة، فمن يا ترى كان وراء تحوّل زهير![2].

نوّار بنت مالك الحضرميّة وإنكار الظّلمة:

نموذج المرأة الّتي رفضت بعلها، فقد استُندب الخولي بن يزيد الأصبحي ليحمل رأس

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج2، ص73.
(2) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف، ج3، ص167.

الحسين عليه السلام إلى الطّاغية عبيد الله بن زياد، وكان علىعجلٍ من أمره للوصول إلى دار الإمارة لينال الجائزة إلا أنّه وصلها متأخّراً حيث خيّم الظّلام وأغلقت الكوفة أبوابها فاضطرّ إلى المضيّ إلى داره ليستريح ليلته ويعود في الصّباح الباكر، ولمّا دخل بيته سألته زوجته نوّار عما يخبؤه في التّنور، فقال لها بعد حوار طويل: جئتك بغنى الدّهر، هذا رأس الحسين عليه السلام معك في الدّار . فقالت: ويلك جاء النّاس بالذّهب والفضّة وجئت برأس إبن رسول الله، لا والله لا يجمع رأسي ورأسك في بيت أبداً، ثمّ أضافت قائلةً: ارجع، وأخذت عموداً وأوجعته ضرباً، وقالت: والله ما أنا لك بزوجة، ولا أنت لي ببعل[1].

وهكذا فارقته لتعلّم الآخرين درساً في التّعامل مع الظّالمين وإن كان الظّالم وليّ نعمتهم، وبالفعل أتبعتها ضرّتها عيوف الأسديّة حيث هي الأخرى رفضت الخولي فبات بلا مأوى، فمن يا ترى استنكر فعلة الظّالمين!.

ماريّة بنت منقذ العبدي وحماية المجاهدين

نموذج المرأة التي موّلت الثّائرين، كانت ماريّة أرملة استُشهد زوجها في معركة الجمل نصرةً لأمير المؤمنين عليه السلام، ومع هذا فقد كانت موالية للحقّ دون أيّ مللٍ وكلل، وكانت تحوز على مكانة مرموقة في المجتمع البصري وتمتلك أموالاً طائلة، ولمّا بدأ الصّراع العلويّ الأموي على أشُدّه، فَتحت بيتها للزّعماء الموالين للبيت العلويّ ليكون نادياً فكرياً يناقش فيه الزّعماء قضايا الأمّة، ومركز اتّصال وتواصل لدعم المعارضة، فقد قال الطّبري: «**اجتمع ناس من الشّيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها ماريّة ابنة سعد أو منقذ أيّاماً، وكانت تشيّع، وكان منزلها لهم مألفاً يتحدّثون فيه**»[2].

(1) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف، ج3، ص206، محمد بن جرير الطّبري، تاريخ الطّبري، ج4، ص348.
(2) محمد بن جرير الطّبري، تاريخ الطّبري، ج4، ص263.

المفاهيم الرّئيسة:

1. إنّ وجود المرأة في مناطق النـّزاعات غالباً ما يكون عامل تحريك للرّأي العامّ وعامل تعريف بجرائم العدوّ، ولهذا نجد أنّ الإعلام إذا ما أراد أن يُظهر بطش الحاكم وطغيانه فإنّه يعرض صوراً لنساء معذبات أو مقتولات أو أطفالاً يبكون ويستصرخون ويصرخون.
2. إنّ واقعة الطّف كانت بحاجة إلى تواجد المرأة كي تنجح الثّورة، وبحاجة إلى حضور نسائيّ متميّز لا يجزي عنه الرّجل أبداً. فمن المعلوم أن الإمام لو اصطحب الكثير من الرجال فلن يقوموا بالدّور الذي ستقوم به النّساء.
3. كان الحضور النّسائي متميّزاً في نساء عُرفن بالعلم والمعرفة والبلاغة والفصاحة والصّبر الجميل.. إلى غير ذلك، وبذلك نجح الإمام وأنصاره في تضحيته كما نجحت المرأة «زينب عليها السّلام» في التّبليغ والإعلام الموجّه.
4. مواقف بطوليّة للمرأة في كربلاء
   أ. السيّدة زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليها السلام والمواقف الصّلبة.
   ب. بحريّة بنت مسعود الخزرجيّة وتجهيز ابنها للشّهادة.
   ج. دلهم بنت عمرو الكوفيّة والتّشجيع على الولاء والقتال.
   د. نوّار بنت مالك الحضرميّة وإنكار الظّلمة.
   هـ. ماريّة بنت منقذ العبدي وحماية المجاهدين.

المحور الرابع

المفاهيم الأخلاقية والسلوكية

الدرس السادس والثلاثون

جهاد النّفس

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتبيّن أهميّة معرفة النّفس كمقدّمة لمعرفة الله تعالى.
2. يعدّد مراتب النّفس والخصائص الأساسيّة لكلِّ مرتبة.
3. يشرح كيفيّة جهاد النّفس وتزكيتها من وجهة نظر الشَّرع.

أهمية معرفة النّفس

الحديث عن نفس الإنسان حديث له عدّة جوانب، فمن جهة لا بدّ من الحديث عن خصائص هذه النّفس، ومن جهة أخرى يمكن الحديث عن قواها الّتي أودعها الله تعالى فيها، إضافةً للحديث عن سُبل إصلاحها. وسوف نتحدَّث عن هذه النِّقاط الثَّلاث بشيء من التَّفصيل، إذ إنّ معرفة هذه النِّقاط الثَّلاث أمر أساس في علم الأخلاق، ففي الحديث الشّريف عن الرسول الأكرم ﷺ أنَّه قال: «**من عرف نفسه عرف ربّه**»[1].

لذا صارت معرفة النّفس وإصلاحها من أهمّ الأمور في علم الأخلاق، بل إنّ علم الأخلاق هو علم تهذيب النّفس بالدرجة الأولى للوصول بها إلى الكمال المرجوّ لها، ولا أدَلُّ على ذلك من حديث الرّسول الأكرم ﷺ، حين دخل عليه رجل اسمه مجاشع، فقال: «**يا رسول الله! كيف الطّريق إلى معرفة الحقّ؟ فقال: معرفة النفس، فقال: يا رسول الله!**

فكيف الطّريق إلى موافقة الحقّ؟ قال ﷺ: مخالفة النّفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطّريق إلى رضا الحقّ؟ قال: سخط النّفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطّريق إلى وصل الحقّ؟ قال ﷺ: هجر النّفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطّريق إلى طاعة الحق؟ قال ﷺ: عصيان النّفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطّريق إلى ذكر الحقّ؟ قال ﷺ: نسيان النّفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطّريق إلى قرب الحقّ؟ قال ﷺ: التّباعد من النّفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطّريق إلى أُنس الحقّ؟ قال ﷺ: الوحشة من النّفس، فقال: يا رسول الله! فكيف الطّريق إلى ذلك؟ قال ﷺ: الاستعانة بالحقّ على النّفس»[2].

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق،ج 2، ص 32.

(2) المصدر نفسه، ج 67، ص 72.

مراتب النّفس

تتميّز النّفس التي أكرم الله تعالى بها الإنسان عن غيرها من المخلوقات بأنّها جمعت العقل مضافاً إلى الغريزة والشّهوة، خلافاً للحيوانات الّتي وضع الله فيها الغريزة والشّهوة، أو الملائكة الّتي أكرمها الله بعقلٍ دون غريزةٍ وشهوة. من هنا، فإنّ الإنسان لا بدّ وأن يستخدم العقل في تعديل المتطلّبات الّتي تمليها الشّهوة والغريزة، حتّى يسلك حدّ الاعتدال. قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[1].

وعندما نطالع الآيات القرآنيّة الّتي تحدّثت عن النّفس، نراها تحدّثت عن ثلاث حالات من حالات النّفس، كما أنّها وصفتها بصفات مختلفة منها:

1. الأمّارة بالسّوء:

يقول الله تعالى، في مُحكم بيانه: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، فالنّفس الأمّارة بالسُّوء هي الّتي تتّبع هواها، بحيث لا ترى أمامها سوى ما تتمنّى الحصول عليه من الشّهوات، بدون أيِّ التفات للشّريعة أو للمفاسد الدُّنيويَّة والأخرويَّة. ولذا، فإنّ اتّباع النّفس الأمّارة بالسّوء يَجلب الظُّلم والضَّلال، يقول الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

2. النّفس اللّوامة:

يقول الله تعالى في محكم آياته: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[4].

والمراد بالنّفس اللّوامة، هي نفس الإنسان المؤمن الّتي تلومه في الدُّنيا على المعصية، والتّثاقل في أداء الطّاعات[5].

---

(1) سورة الشمس، الآيتان 7-8.
(2) سورة يوسف، الآية 53.
(3) سورة القصص، الآية 50.
(4) سورة القيامة، الآيتان 1-2.
(5) الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ج20، ص 103.

وقد يُطلق علماء النّفس عليها اسم الضّمير، الّذي يؤنِّب الإنسان على ما فعله من القبائح.

3. **النّفس المطمئنَّة:**

يقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[1].

والنّفس المطمئنَّة كما وصفها العلّامة الطّباطبائي في تفسيره، «**هي التي تسكن إلى ربِّها وترضى بما رضي به، فترى نفسها عبداً لا يملك لنفسه شيئاً من خير أو شرّ، أو نفع أو ضرّ، وترى الدُّنيا دار مجاز، وما يستقبله فيها من غنى أو فقر أو أي نفع وضرّ، هو ابتلاءٌ وامتحان إلهي، فلا يدعوها تواتر النِّعم عليها إلى الطُّغيان وإكثار الفساد والعلوُّ والاستكبار، ولا يُوقعها الفقر والفقدان في الكفر وترك الشُّكر، بل هي في مستقرٍّ من العبوديّة، لا تنحرف عن مستقيم صراطه بإفراطٍ أو تفريط...وتوصيفها بالرّاضية، لأنّ اطمئنانها إلى ربِّها يستلزم رضاها بما قدَّر وقضى تكويناً أو حَكَم به تشريعاً، فلا تُسخطها سانحة ولا تُزيغها معصية، وإذا رضي العبد من ربه رضي الرّب منه، إذ لا يُسخطه تعالى إلّا خروج العبد من زيّ العبوديَّة، فإذا لزِم طريق العبوديّة استوجب ذلك رضا ربِّه، ولذا عقَّب قوله «راضية» بقوله: «مرضيّة»**»[2].

الحذر من النّفس الأمّارة

بعد أن عرفنا النّفس الأمّارة بالسّوء وميزتها، لا بدّ من مواجهتها وعدم الرُّكون إليها، إذ إنَّ لُبَّ علم الأخلاق، هو قهر النّفس الأمّارة وكبحُ جماحِها، لأنّها لا ترى إلّا ما تريد وتشتهي، ولو خلَّفت كلُّ شيءٍ خراباً من خلفها. فإذا كانت النّفس الأمّارة خطيرةً لهذه الدرجة، فلا بدّ من أن نجد لها علاجاً لإصلاحها، وتليين طبعها الشّرس، فما هي الطّرق الممكنة لإنجاز هذه المهمّة؟

(1) سورة الفجر، الآيات 27-30.

(2) العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، مصدر سابق، ج20، ص285.

التفكُّر مقدّمة لإصلاح النّفس

إنّ المسالك والطُّرق إلى الله كثيرة، بل هي بعدد أنفاس الخلائق، إلا أنّها كلّها تبدأ من خلال تهذيب النَّفس وتزكيتها وإصلاحها، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1].

فينبغي بالدّرجة الأولى على من يريد إصلاح نفسه، أن يرغِّب نفسه بالأعمال الصّالحة، ويكون ذلك من خلال التَّفكُّر في الأعمال وما تستتبع من رضا أو سخط للمولى العزيز، وما يترتَّب عليها من آثار في الآخرة، فتطمع النَّفس بثواب الآخرة، وتخاف من عقاب الأعمال القبيحة.

وبما أن كثيراً من النّاس يميلون إلى الرِّبح السَّريع، ويفضّلون الرِّبح القريب ولو كان قليلاً وتافهاً، على الرِّبح البعيد ولو كان كبيراً وعظيماً، وهذه حقيقة في الإنسان قد ذكرها الله تعالى في كتابه حيث يقول جلّ شأنه: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾[2]، ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[3].

فبسبب شقاء هذا الإنسان، تراه يستعجل ما يتصوَّره ربحاً في الدُّنيا ويترك فوز الآخرة. وهنا يتَّضح دور العقل في السَّيطرة على الأهواء النفسيَّة السّيئة، فلا بدّ من التّنبيه الدّائم للنّفس على الدّوام، لما وعد به الله تعالى أهل طاعته، وحذَّر منه أهل معصيته، لأنّ مجرّد عدم الالتفات إلى الجانب الأخرويّ من الأعمال والاستغراق في أمور الدُّنيا وتفاصيلها، يُدخل الإنسان في نفق الغفلة المُظلم ولا يستيقظ منه إلّا بعد الموت في الكثير من الأحيان، ولعلّ هذا هو المراد من قول الإمام عليّ أمير المؤمنين: «**النّاس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**»[4].

وأمّا كيفيّة التفكُّر في أمر الدُّنيا وزوالها، فهو كما يُروى أن الإمام الباقر عليه السلام قال لصاحبه جابر في حديثٍ طويل: «**... يا جابر: إنّ المؤمنين لم يطمئنُّوا إلى الدُّنيا ببقائهم**

(1) سورة الشمس، الآيات 7-10.
(2) سورة القيامة، الآيتان 20-21.
(3) سورة الإسراء، الآية 11.
(4) المولى المازندراني، شرح أصول الكافي، مصدر سابق، ج8، ص 294.

فيها، ولم يأمنوا قدومهم الآخرة، يا جابر الآخرة دار قرار، والدُّنيا دار فناء وزوال، ولكنّ أهل الدنيا أهل غفلة، وكأنَّ المؤمنين هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة، لم يصمَّهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم، ولم يَعمِهم عن ذكر الله ما رأوا من الزِّينة، ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم. واعلم يا جابر،أن أهل التَّقوى أيسر أهل الدُّنيا مؤنة، وأكثرهم لك معونة، تذكر فيعينونك، وإن نسيت ذكَّروك، قوّالون بأمر الله، قوّامون على أمر الله قطعوا محبّتهم بمحبة ربّهم، ووحشوا الدُّنيا لطاعة مليكهم، ونظروا إلى الله تعالى، وإلى محبَّته بقلوبهم، وعلموا أنّ ذلك هو المنظور إليه لعظيم شأنه، فأنزل الدُّنيا كمنزل نزلته ثمّ ارتحلت عنه، أو كمال وجدته في منامك واستيقظت، وليس معك منه شيء»[1].

إذاً فإصلاح النّفس يبدأ من التفكّر والخروج من نوم الغفلة عن الآخرة بالدَّرجة الأولى.

كيفيّة تهذيب النّفس

إنّ علاج النّفس تارةً يكون بإيجاد المانع فيها من فعل الذُّنوب، كأن يخوّف الإنسان نفسه بالنّار وغضب الجبّار، وفي هذه الحالة يكون الدَّافع إلى الذَّنب موجوداً في النَّفس، إلّا أنّه هنالك مانع من الوقوع فيه، وهو ما ذكرناه من الخوف وغيره من الموانع. وتارةً يكون علاجها بإلغاء الدّافع أساساً، بحيث لا تطلب النَّفس الذَّنب، إذ لا رغبة لها فيه. والطّريقة الأولى هي من خصائص المسالك الأخرى، لا مسلك الحبَّ الإلهيّ. أمّا الطَّريقة الثّانية، وهي قلع الدَّوافع من النّفس، فهي من مختصَّات مسلك الحبّ الإلهيّ ولهذا المسلك والطّريق ركنان أساسيَّان:

الأوّل: ركن المعرفة والعلم:

بأن يصل الإنسان من خلال علمه إلى مرحلة يُدرك فيها معنى التّوحيد بكلّ أبعاده، ومن خلال هذه المعرفة بالتّوحيد لا يلتفت الإنسان لهذه الرَّذائل، ولا يتوجّه بعد ذلك إلى النّاس، ولا يطمع بما في أيديهم، لأنّه عرِف حقّ المعرفة، أنّ الغنيّ منهم لا يملك؛ ولا يعطي؛

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج70، ص 36.

ولا يمنع؛ إلّا بإذن الله تعالى، فلا يرجوه. والقويّ منهم خارج عن قوّة الله، فلا يخاف منه.

ولقد كان الإمام الخمينيّ قدس سرّه من المصاديق البارزة في هذا المضمار، إذ لم يَخَف طواغيت العالم، بل خاف مالك الملوك وجبّار الجبابرة، فأخاف الله تعالى منه طواغيت الأرض.

الثّاني: ركن العمل:

إنّ مجرد العلم لا يكفي في هذا المجال، فبعد أن يتعلَّم الإنسان التّوحيد، يجب أن يكون توحيده عمليّاً لا نظريّاً فحسب. والطّريق إلى التَّوحيد العملي هو حبّ الله تعالى، فإنّ الإنسان إذا أحب شيئاً أطاعه وعبده، بل إنّ من أثار الحبّ، الطّاعة والتّسليم.

وخلاصة الأمر، إنّ على الإنسان أن يجعل قلبه متعلِّقاً بالله تعالى وحده. قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾[1]، إذ لا يجتمع حبّ الله تعالى وحبّ الدّنيا في قلب واحد، وإذا حصلت المحبّة في قلب الإنسان لله أخذ إيمانه في الاشتداد والازدياد، وانجذبت نفسه إلى التّفكير في ناحية ربِّه، واستحضار أسمائه الحسنى، وصفاته الجميلة المنزَّهة عن النَّقص والشَّيْن، ولا تزال تزيد نفسه انجذاباً، وتترقَّى مراتبه حتّى صار يعبد الله كأنّه يراه...

فيأخذ الحبّ في الاشتداد؛ لأنّ الإنسان مفطور على حبّ الجميل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[2]، وصار يتَّبع الرّسول ﷺ في جميع حركاته وسكناته؛ لأنّ حبّ الشيّء يوجب حبّ آثاره، والرّسول من آثاره وآياته، ولا يزال يشتدُّ هذا الحبّ ثمّ يشتدّ حتى ينقطع إليه من كلّ شيء، ولا يحبّ إلا ربّه، ولا يخضع قلبه إلّا لوجهه، فانّ هذا العبد لا يعثر بشيء، ولا يقف على شيء وعنده شيء من الجمال والحسن، إلّا وجد أن ما عنده أنموذج يحكي ما عند الله من كمال لا ينفد، وجمالٍ لا يتناهى، وحُسنٍ لا يُحدّ، فله الحُسنُ والجمال والكمال والبهاء، فيستولي سلطان الحبّ على قلبه.

(1) سورة الأحزاب، الآية 4.
(2) سورة البقرة، الآية 165.

المفاهيم الرّئيسة

1. معرفة النّفس وإصلاحها من أهمّ الأمور في علم الأخلاق، بل إنّ علم الأخلاق: هو علم تهذيب النّفس بالدرجة الأولى للوصول بها إلى الكمال المرجوّ لها.
2. عندما نطالع الآيات القرآنيّة الّتي تحدَّثت عن النّفس نراها تحدّثت عن ثلاث حالات من حالات النّفس، هي النّفس الأمّارة؛ واللّوامة؛ والمطمئنَّة.
3. إنّ لبّ علم الأخلاق هو قهر النّفس الأمّارة بالسّوء وكبح جماحها، لأنّها لا ترى إلّا ما تريد وتشتهي.
4. إنّ إصلاح النّفس واجب يبدأ من التذكُّر والخروج من نوم الغفلة عن الآخرة بالدَّرجة الأولى.
5. مسلك الحبّ الإلهيّ أفضل طريق لتهذيب النّفس، وله ركنان أساسيّان: العلم والمعرفة من جهة، والعمل والمخالفة العمليّة للنّفس من جهة أخرى.

الدرس السابع والثلاثون

ولاية الله وأولي الأمر

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يدرك الأصل في موضوع الحاكميّة.

2 . يشرح المقصود من ولاية الأنبياء والرّسل والأئمة عليهم السلام.

3 . يفهم التّسلسل في الولاية من الله، إلى الأنبياء والرُّسل، ثمّ الأئمّة، فالعلماء.

المقدّمة

لا شكّ في أنّ العقل السّليم يقضي بضرورة وجود الحكومة، فالإنسان مدنيّ الطّبع، ووجود الحكومة أمرٌ ضروري، وذلك لتنظيم علاقاته وإدارة سلوكه وتدبير شؤونه الحياتيّة. ولا ريب في أنّها تحتاج إلى قيّم وحاكم يديرها ويترأّسها، ويكون مسلَّطاً مبسوط اليد، فلمن تكون هذه الحاكميّة على الأفراد؟ ومن أين تنشأ؟

الحاكميّة لله جلّ وعلا

إن للإسلام نظرته الخاصّة في موضوع الحاكميّة، حيث يرى الإسلام أنّ هذا الحقّ ينحصر بالله تعالى؛ فهو مبدأ الوجود، والإنسان محتاج إليه في أصل وجوده، وبقاؤه متوقّف عليه، فالله جلّ وعلا هو المالك الحقيقيّ للإنسان، وبالتالي هو الوليّ والحاكم الواقعي له، ويجب على الإنسان إطاعة مَن منحه الوجود. وهناك الكثير من الآيات الكريمة التي تشير إلى هذه الرّؤية، يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]. تشير هذه الآية إلى أنّ الله هو مالك كلّ شي وهو عليه قدير، ومن لوازم مملوكيّة الإنسان لله ومالكيّة الله عزّ وجلّ للإنسان، أن يكون تدبير أمور المجتمع بيده فقط، والجميع مطيع لأمره خاضع له. وفي مكان آخر يقول الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[2]. وقد جاءت النّصوص كثيرة وواضحة في الكتاب الكريم، بوجوب طاعة الله تبارك وتعالى، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

(1) سورة آل عمران، الآية 189.
(2) سورة يوسف، الآية 40.
(3) سورة آل عمران، الآية 132.

هذا فيما يعني الحاكميّة لله جلّ وعلا، فالأصل أنّه لا حاكميّة لفردٍ على فرد، وأنّ الحكم يكون لله فقط، ولكن السّؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل أعطى الله هذه الحاكميّة لأحدٍ من عباده؟ وإنْ كان كذلك، فما هو الدّليل؟ وما هي حدود هذه الحاكميّة؟

يقول الإمام الخامنئيّ (حفظه الله): «**الولاية تعني الحاكميّة وقيادة المجتمع الإسلامي، ومن الطّبيعي أنّها أمرٌ مغاير للولاية والقيادة والحكومة في المجتمعات الأخرى. ولاية المجتمع في الإسلام مختصّة بالله تعالى، ليس لأيّ إنسان الحقّ في تولّي إدارة أمور الآخرين، فهذا الحقّ مختصّ بالله المتعال والمُنشِئ والعالِم بالمصالح، والمالك لأمور النّاس، والمالك لجميع ذرّات عالم الوجود. وهذا الشّعور نفسه في المجتمع الإسلاميّ أمرٌ قلّ نظيره، فأيّ سلطة، وأيّ سيف حادّ، وأيّ ثروة، وحتّى أيّ قوّة علميّة وإداريّة، لا تعطي لأحد الحقَّ بأن يكون المالك والمقرّر لمصير الآخرين؟!**

الله سبحانه تعالى يُعمِل هذه الولاية والحاكميّة من قنواتٍ خاصّة؛ أي عندما يُنتخب الحاكم الإسلامي ووليّ أمر المسلمين، سواءً على أساس تعيين الشّخص؛ كما حدث طبقاً لعقيدتنا بالنسبة إلى أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام، أو على أساس المعايير والضّوابط؛ عندما تُعطى له هذه الصلاحيّة بأنْ يدير أمور الناس، فإنّ هذه الولاية أيضاً هي ولاية الله، هذا الحقّ هو حقّ الله، وهذه هي السّلطة والحكم الإلهيّان اللذان يجريان في الناس. ذلك الإنسان ــ مهما كان ويكون ــ من دون الولاية الإلهيّة والسّلطة الإلهيّة، ليس له أيّ حقّ على الآخرين. وهذه نفسها مسألة مهمّة جداً، وحاسمة في مصير المجتمع الإسلامي»[1].

ولاية الأنبياء والرُّسل عليهم السلام

يحتاج الإنسان في حياته الاجتماعيّة المدنيّة إلى برنامجٍ ومرشدٍ لسلوك طريق الحياة، وضمان السّعادة الحقيقيّة والوصول إلى الكمال المنشود، وهو بنفسه عاجز عن اكتشاف طريق التّكامل، كما يعجز عن تطبيقه وتنفيذه على نفسه وعلى الآخرين، فهو كما يحتاج

(1) من خطاب له في لقاء الموظّفين الرسميّين (1990/7/11م).

إلى الله في أصل وجوده وخروجه من حيّز العدم، كذلك يحتاج إليه تعالى في معرفة ذلك الطريق وسلوكه. لذا، فإنّ الله أرسل الأنبياء والرُّسل، لهداية الناس؛ وإخراجهم من غيّهم والظلامات؛ إلى نور الهدى والإيمان؛ فهم رسل الله إلينا؛ والدعاة إليه؛ وقد اصطفاهم الله من بين خلقه؛ لعلمه بصلاحهم وحُسن سريرتهم وقدرتهم على تحمّل عبء الدّعوة ومشقّاتها، فاكتنفهم وأحاطهم بالعصمة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[1]، وقرَن دعوتهم بالمعجزات؛ وفرَض على الناس طاعتهم؛ بل إنّه جعل طاعتهم من طاعته، كيف لا؟ وهم الذين أرسلهم لبيان شريعته وأحكامه؛ والعمل على تثبيتها وتطبيقها.

وقد بيّن الله ذلك في كتابه الكريم، في مواضع عديدة، وبأساليب دلاليّة وبلاغيّة مختلفة، حيث تدلّ الآيات إلى أنّ الله قد فوّض إليهم مرتبةً من الولاية، وعلى النّاس أن تُطيعهم وتنصاع لهذه الولاية، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾[2].

ويخاطب الله رسوله الأعظم ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾[3]، ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[4]، وكذا في خطاب بقيّة الرسل، قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾[5].

فهذه الآيات وغيرها، واضحة الدلالة في وجوب الطّاعة للرُّسل، وبأنّهم أئمّة للنّاس، وخلفاء الله في أرضه، وما يصدر عنهم من أفعال وأقوال إنّما هو وحيٌ إلهيّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾[6].

ولاية الأئمّة المعصومين عليهم السلام

مع رحيل الرّسول الأعظم ﷺ عن هذه الدُّنيا، أُغلِق باب الوحي الإلهيّ؛ فهو سيّد الأنبياء وخاتمهم. والرّسالة الإسلاميّة هي الرّسالة الخاتمة والنّاسخة لجميع الرّسالات قبلها،

(1) سورة الأنعام، الآية 90.
(2) سورة النساء، الآية 64.
(3) سورة النساء، الآية 105.
(4) سورة الأنبياء، الآية 73.
(5) سورة ص، الآية 26.
(6) سورة النجم، الآيات 3-5.

يقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]. وكان لا بدّ من تعيين خليفة بعد الرّسول الأعظم ﷺ، يقوم بتوليّ مهامه في قيادة الإسلام والمسلمين. وبحسب عقيدة الإماميّة، فإنّ الرّسول ﷺ عَيّن في حياته الإمام عليّ عليه السلام خليفةً له، وذلك بأمرٍ إلهيّ، فاستودعه العلوم والمعارف ليقوم بحفظ الشريعة وأحكام الإسلام، ونشرها وتبليغها، كما عيّن بعد أمير المؤمنين عليه السلام أحدَ عشرَ معصوماً لمقام الخلافة، ومسؤوليّة الدعوة والتبليغ، يدافعون عن الإسلام، ويعملون على تنفيذ أحكامه وقوانينه، مع مراعاة متطلّبات الأوضاع والظروف المحيطة، ومقتضيات الزمان والمكان، وهذا المنصب قد جعله الله عزَّ وجلَّ لهم، وإطاعتهم واجبة بأمر من الله ورسوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[2].

وتشير الآية في ختامها إلى حادثة تاريخيّة حصلت مع أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ورد في سبب نزولها: إنّ النّبي ﷺ سأل أصحابه بعد نزول الآية: من منكم تصدَّق في ركوعه؟ فأجابه الفقير الذي وصلته الصّدقة بأنّه أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ورد عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**نحن قوم فرضَ الله عزَّ وجلَّ طاعتنا**»[3]. فالآية ليست ناظرة إلى بيان حكم من الأحكام، والتصدّقُ أثناء الصلاة، ولا سيّما أثناء الرّكوع، ليس من مستحبّات الصلاة.

والنّتيجة هي أنّ من اختاره الله عزَّ وجلَّ لتكون له «**الولاية**»، إنّما هم الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، بمعنى أنّ لهم حقّ إدارة شؤون المجتمع، وإنّ طاعتهم واجبة بأمرٍ من الله.

وقد وردَ في السنّة النبويّة الشريفة روايات تتحدّث عن خلفاء رسول الله ﷺ، منها ما دلّ على كونهم من قريش، ومنها ما دلّ على كونهم من بني هاشم، وبعضها ذكر عددهم وأسماءهم، نذكر منها: عن جابر بن سمرة، قال: «**كنت مع أبي عند النبيّ ﷺ، فسمعته يقول: «يكون بعدي اثنا عشر أميرا»**، ثمّ أخفى صوته، فقلت لأبي: ما الذي أخفى رسول الله ﷺ؟ قال: قال: «**كلّهم من قريش**»[4].

(1) سورة المائدة، الآية 3.
(2) سورة المائدة، الآية 55.
(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص186.
(4) الصدوق، الشيخ محمّد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح وتعليق وتقديم الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1404 - 1984م، لا.ط، ج1، ص54.

أبعاد الولاية وحدودها

الأبعاد التي تشملها الولاية للنبي ﷺ والأئمّة هي الآتية:

1. تفويض النبي ﷺ في تشريع الأحكام:

إنّ أصل تشريع الأحكام بيد الله عزَّ وجلَّ، ولكنّه في بعض الموارد جعل تشريعَ سلسلة من الأحكام بيد النبي ﷺ، لبيان عظمته ﷺ، وهذه الموارد إنّما كانت تحت إرادة الله وإمضائه.

وأيضاً قد يَصدر من النبي مجموعة من الأوامر لأجل تطبيق وإجراء الأحكام الكلّية الإلهيّة، وقد جعل عزَّ وجلَّ أمر اختيارها وتشريعها للنبي ﷺ، وجعل طاعتها والالتزام بها واجباً كسائر الأحكام الإلهيّة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[1].

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الله عزَّ وجلَّ فرض الصلاة ركعتين ركعتين عشر ركعات، فأضاف رسول الله ﷺ إلى الركعتين ركعتين، وإلى المغرب ركعة، فصارت عديلَ الفريضة، لا يجوز تركهنّ إلّا في سفر، وأفرد الركعة في المغرب فتركها قائمة في السفر والحضر، فأجاز الله عزَّ وجلَّ ذلك كلّه... وفرض الله في السنّة صوم شهر رمضان، وسنَّ رسول الله ﷺ صوم شعبان وثلاثة أيّام في كلّ شهر مثليّ الفريضة، فأجاز الله عزَّ وجلَّ له ذلك كلّه**»[2].

2. الزّعامة الدينيّة والسياسيّة:

البُعد الثاني في الولاية، هي القيادة السياسيّة والاجتماعية للنبي ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام، من قِبل الله عزَّ وجلَّ في جميع الشؤون السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، والمجتمع الإسلامي،حيث إنّ طاعتهم في هذه الأمور واجبة، ومعصيتهم محرّمة. وهذا الأمر تُثبته الروايات والآيات، إذ قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[3].

---

(1) سورة الحشر، الآية 7.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص266.

(3) سورة النساء، الآية 59.

وقال رسول الله ﷺ في يوم الغدير عندما عيَّن عليّاً عليه السلام لمقام الخلافة: «**أيّها الناس، من وليّكم وأولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله. فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه...»**»[1].

3. المرجعيّة في أمور القضاء وفصل الخصومة:

من المناصب التي جعلها الله عزَّ وجلَّ للنبي ﷺ والأئمّة، الولايةُ في القضاء وفصل الخصومة. نعم هذا المنصب هو فرع من الزعامة الدينيّة لهؤلاء، والنّاس مأمورون بالرّجوع إليهم والتّسليم لهم، ويؤكّد ذلك السيرة القائمة من النبي ﷺ وعليّ عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: « **اتّقوا الحكومة؛ فإنّ الحكومة إنّما هي للإمام العالم بالقضاء، العادل في المسلمين، لنبيّ أو وصيّ نبيّ**»[3].

4. المرجعيّة الدينيّة:

إنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم مرجع العلم والمعرفة والدّين، وما يُؤخذ عن غيرهم باطل، والحقّ لا يؤخذ إلَّا من عندهم، وهذا ما دلَّت عليه الرّوايات والأحاديث الشريفة، فعن الإمام أبي جعفر عليه السلام لرجل من أهل الكوفة، عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**سلوني عما شئتم؛ فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به**»، قال: «**إنّه ليس أحد عنده علم شيء إلا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام، فليذهب الناس حيث شاؤوا، فوالله ليس الأمر إلا من هاهنا، وأشار بيده إلى بيته**»[4].

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام أيضاً لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: «**شرّقا وغرّبا، فلا تجدان علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهلَ البيت**»[5].

---

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص295.
(2) سورة النساء، الآية 65.
(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج 7، ص 406.
(4) المصدر نفسه،ج1، ص399.
(5) المصدر نفسه.

العلماء حَمَلة المسؤوليّة

استمرّت الخلافة بعد رسول الله ﷺ في وُلده الأطهار عليهم السلام حتى شهادة الإمام الحادي عشر، الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، وانتقلت مواريث الإمامة إلى ولده صاحب العصر عجل الله فرجه، وكانت الغيبة الصغرى بوساطة السّفراء الأربعة بين الإمام وبين النّاس، ثمّ كانت الغيبة الكبرى.

وقد خلّف الأئمّة الأطهار عليهم السلام مئات الألوف من الأحاديث والروايات في شتّى المعارف والمجالات الإسلاميّة، كما تخرّج على أيديهم آلاف العلماء والشخصيّات القادرة على استيعاب المعارف الدينيّة العالية، وتحمّل مسؤوليّة تطبيق الأحكام والقوانين الإلهيّة، والقيام بنشرها وتبليغها، والدفاع عن الإسلام والمسلمين.

لقد عَمَد الرسول ﷺ والأئمّة عليهم السلام بعده إلى تربية أعداد كبيرة من هذه العناصر الواعية العالمة، لكي تتحمّل مسؤولية التّبليغ والهداية والدّفاع. وهناك الكثير من الأحاديث التي تشير إلى ضرروة قيام العلماء بالتصدّي وتحمّل مسؤولية ومهام الإمامة في عصر الغيبة:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وذَاكَ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِثُوا دِرْهَماً ولَا دِينَاراً، وإِنَّمَا أَوْرَثُوا أَحَادِيثَ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ، فَمَنْ أَخَذَ بِشَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَخَذَ حَظّاً وَافِراً، فَانْظُرُوا عِلْمَكُمْ هَذَا عَمَّنْ تَأْخُذُونَه، فَإِنَّ فِينَا أَهْلَ الْبَيْتِ فِي كُلِّ خَلَفٍ عُدُولاً يَنْفُونَ عَنْه تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ**»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**إنّ مَثل العلماء في الأرض كمَثل النّجوم في السماء، يُهْتدَى بها في ظلمات البرِّ والبحر، فإذا طُمِست أوشك أن تضلّ الهداة**»[2].

وخير دليلٍ على تنصيب العلماء لمهام الولاية في عصر الغيبة الكبرى، هو ما ورد في توقيع صاحب الزمان عليه السلام ردّاً على مكاتبة إسحاق بن يعقوب: «**... وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله...**»[3]. كدليلٍ نقليّ على الولاية العامّة للفقهاء في عصر الغيبة الكبرى.

---

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص32.

(2) العلامة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج2، ص25.

(3) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران- قم، 1405هـ - 1363 ش، لا.ط، ج4، ص483.

المفاهيم الرّئيسة

1. يرى الإسلام أنّ حقّ الحاكميّة منحصر بالله تعالى؛ فهو مبدأ الوجود. والإنسان محتاج إليه في أصل وجوده، وبقاؤه متوقّف عليه.الله جلّ وعلا هو المالك الحقيقيّ للإنسان، وبالتّالي هو الوليّ والحاكم الواقعيّ له، ويجب على الإنسان إطاعة من منحهُ الوجود.
2. الأصل هو عدم ولاية فرد على فرد، والحاكميّة أوّلاً وآخراً هي لله الخالق.
3. إنّ الله تعالى قد جعل ولايةً لرُسله على النّاس، وهم مفترضو الطّاعة من قِبَله، ويجب على النّاس الاقتداء بهم وبهديهم، والالتزام بأوامرهم؛ لأنّها أوامر الله تعالى.
4. عيّن الرسول ﷺ في حياته الإمام عليّاً عليه السلام خليفةً له، وذلك بأمرٍ إلهيّ، كما عيّن بعد أمير المؤمنين عليه السلام أحدَ عشرَ معصوماً لمقام الخلافة، ومسؤوليّة الدّعوة والتّبليغ، وهذا المنصب قد جعله الله عزَّ وجلَّ لهم، وإطاعتهم واجبة بأمر من الله ورسوله.

الدرس الثامن والثلاثون

التربية على الولاية

أصحاب النبي والأئمة عليهم السلام نموذجاً

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يشرح الصفات الولائيّة لأصحاب أهل البيت عليهم السلام.
2. يتعرّف إلى مواقف ولائيّة لبعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
3. يحلّل بعض المواقف الولائيّة لبعض أصحاب الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

تمهيد

إنّ القيادة الصالحة والحكيمة المتمثّلة بشخص الرّسول الأعظم ﷺ، لهو عنصر أساس في موضوع النّصر الإلهيّ في بدر، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**كُنّا إذا احمرّ البأس، اتّقينا برسول الله ﷺ؛ فلم يكن أحد منّا أقرب إلى العدوّ منه**»[1]، مضافاً إلى عنصرٍ آخر تجسّد في الالتزام والطّاعة والانصياع الكامل والتامّ لأوامر الرسول ﷺ وخططه، والمصداق الأبرز للعنصر الثاني، هو أمير المؤمنين عليه السلام.

وبهذين المصداقين اقتدى الأصحاب منذ رسول الله ﷺ حتى عهد الإمام علي عليه السلام وغيره من الأئمة الأطهار، فنرى أن لهم مواقف ولائيّة متعددة، تبيّن مدى الارتباط الوثيق بينهم وبين صاحب الولاية الحق، والذي يُعتبر القدوة والأسوة في حركتهم وتوجّهه نحو الله سبحانه وتعالى.

صفات الأصحاب الولائيّة

لقد امتاز الأصحاب بصفات ومزايا كثيرة، نذكر منها ما يدلّ على ولائهم المطلق للمعصوم عليه السلام، وهي:

1. **الوعي:** إن مواقف أصحاب المعصومين عليهم السلام لم تكن نابعةً من عواطف جيّاشة فحسب، بل إنّها كانت ترتكز على معرفة يقينيّة قاطعة، تعتبر أنّ الطاعة لوليّ الأمر، حتى لو كان فيها بذلٌ للأرواح، هي السّبيل الوحيد لحفظ الدّين والإسلام؛ لذلك تراهم يرفضون أيّ أمانٍ يضمن لهم نجاتهم وحياتهم، ويصدّون أيّ خوف يمنعهم من الوصول إلى غايتهم، فترى الأحاسيس والعواطف تتحوّل إلى إدراك ووعي على مستوى الرسالة والقضيّة.

(1) نهج البلاغة، مصدر سابق، ج4، ص61.

2. **الإخلاص:** إنّ من أهمّ المزايا والصفات التي اتّصف بها الأصحاب، هو الإخلاص بأرقى معانيه، فتراهم حين اشتدّ البأس، وعاينوا الحتوف والمنايا، ثبتوا مخلصين موقنين. والإخلاص لله تعالى لا يكون إلا برضى المعصوم عليه السلام، الإخلاص الذي يبيع الدنيا وحطامها بالنعيم الأبديّ في جنان الخلد مع الأولياء.
3. **التفاني:** إنّ مواقف التفاني في حياة الأصحاب كثيرةٌ جداً، فأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي دافعوا عنه حتى الموت، وكذلك في معارك الإمام علي عليه السلام كموقف مالك الأشتر يوم صفّين، وفي كربلاء، حتى قدّم الأصحاب أرواحهم دفاعاً عن الدّين، ودفاعاً عن أهل البيت عليهم السلام، وكلٌّ عبّر عن ذلك بأسلوبه وبيانه.
4. **التجسيد العمليّ للمواقف:** كثيرةٌ هي المواقف التي لم تخرج من حيّز الكلام والتّنظير إلى حيّز الواقع والتطبيق العمليّ في التاريخ. لقد أثبت أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأصحاب الإمام علي عليه السلام والحسن الحسين وكلّ الأئمة عليهم السلام، صدقهم ووفائهم وثباتهم من خلال دمائهم وأرواحهم التي رخُصت أمام إمام زمانهم.

مواقف ولائيّة عند أصحاب النّبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

إن لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مواقف كثيرة جداً، تبيّن لنا مدى الوعي والإدراك الموجدان عند أولئك الأشخاص الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته، من هذه المواقف نذكر:

1. موقف المقداد بن الأسود:

وللمقداد بن الأسود موقف يُبرز هذه الطاعة الكاملة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك عندما أتاه خبرٌ عن قريش ومسيرهم ليمنعوا عِيرهم، فاستشار الناسَ وأخبرهم عن قريش، فقام المقداد بن عمرو، فقال: «**يا رسول الله، امضِ لأمر الله، فنحن معك. واللهِ، لا نقول لك كما قالت بنوا إسرائيل لنبيّهم:** ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[1]**، ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون. والذي بعثك بالحقّ، لو سرتَ بنا إلى بُرك الغماد لسِرنا معك**» [وبرك الغماد من وراء مكة بخمس ليالٍ من وراء الساحل ممّا يلي البحر، وهو

(1) سورة المائدة، الآية 24.

على ثمان ليال من مكّة إلى اليمن]، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيراً، ودعا له بخير»[1].

2. موقف سعد بن معاذ:

ولِسعد بن معاذ موقفٌ مماثلٌ، جسّد فيه موقف الأنصار مع الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، عندما خاطبهم الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «**أشيروا عليّ أيّها الناس**».

«**فقام سعد بن معاذ، فقال: «أنا أجيب عن الأنصار، كأنّك يا رسول الله تريدنا**»، قال: «**أجل**»، قال: «**إنّك عسى أن تكون خرجت عن أمرٍ قد أُوحي إليك في غيره، وإنّا قد آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ كلّ ما جئت به حقٌّ، وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السّمع والطّاعة، فامضِ يا نبيّ الله، فوالذي بعثك بالحقّ، لو استعرضتَ هذا البحر فخضتَه لخضناه معك، ما بقي منّا رجل، وَصِلْ مَنْ شئت، واقطعْ مَنْ شئت، وخُذْ من أموالنا ما شئت، وما أخذتَ من أموالنا أحبُّ إلينا ممّا تركت. والذي نفسي بيده، ما سلكتُ هذا الطريق قطّ، وما لي به من علمٍ، وما نكره أن يلقانا عدوّنا غداً، إنّا لصبرٌ عند الحرب، صدقٌ عند اللقاء، لعلّ الله يُريك منّا ما تقرّ به عينك**»[2].

إنّ في هذين الموقفين دلالةً واضحة على مدى التّسليم والطّاعة للوليّ، ومدى تأثير ذلك في تحقيق النّصر وصنعه، فهذا الإيمان بالله تعالى، والثّقة التامّة برسوله، عاملان أساسان في هزيمة قريش وانتصار المسلمين في بدر، والذي شكّل مفاجأة غير مُتوقَّعة، وصلت أصداؤها إلى الحبشة.

مواقف ولائية عند أصحاب الأئمة عليهم السلام

1. عدي بن حاتم الطائيّ وإنصافُه للإمام علي عليه السلام:

روي أنَّ عدي بن حاتم الطائيّ وكان قد أُصيب بعينه يوم معركة الجمل، واستُشهد أولاده الثلاثة: طريف وطراف وطرفة مع أمير المؤمنين عليه السلام، دخل ذات يوم على معاوية بن أبي سفيان، وعنده عبد الله بن الزّبير، فقال له ابن الزّبير: «**يا أبا طريف، متى ذهبت**

(1) الواقديّ، محمّد بن عمر، المغازي، تحقيق الدكتور مارسدن جونس، نشر دانش إسلاميّ، لا.م، 1405هـ، لا.ط، ج1، ص 48.
(2) الواقديّ، المغازي، مصدر سابق، ص49.

عينك، قال: يوم فرّ أبوك منهزماً فقُتل، وضُربتَ على قفاك وأنت هارب، وأنا مع الحق، وأنت مع الباطل. فقال معاوية: ما فعل الطّرفان (يعني طريفاً وطرافاً وطرفة أبناءه)؟ قال: قُتلوا مع أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: ما أنصفَك عليَّ إذ قَدّم أبناءك وأخّر أبناءه! قال: بل أنا ما أنصفته، قُتل وبقيتُ بعده»[1].

2. **عمّار بن ياسر ومعركةُ صفّين:**

روي أنَّ عمّار بن ياسر ارتجز بعض هذه الأبيات قبل شهادته في معركة صفّين، وفيها تتجلّى أسمى آيات العشق العلويّ:

كَـلّا وربِّ البيت لا أبـرح أجي ... حتى أمـوت أو أرى مـا أشتهي
لا أفـتـأ الـدّهـر أحـامـي عـن علي ... صهرِ الـرسـول ذي الأمـانـات الوفي
يـنـصرنـا ربّ الـسـماوات العلي ... ويـقـطـع الـهـام بـحـدّ المـشرفي
يمنحنا الـنّـصر عـلى مـن يبتغي ... ظلماً علينا جـاهـداً مـا يـأتـلي[2].

3. **الهجريّ والصبرُ على الولاية:**

عن أبي حسّان العجليّ، عن قنوا بنت رشيد الهجريّ، قال: قلت لها: أخبريني بما سمعتِ من أبيك، قالت: سمعت من أبي يقول: قال: «**حدّثني أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا رُشيد، كيف صبرك إذا أرسل إليك دعيّ بني أُميّة فقطع يديك ورجليك ولسانك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، آخر ذلك الجنّة؟ قال: بلى يا رُشيد، أنت معي في الدنيا والآخرة. قالت: فوالله ما ذهبت الأيّام حتّى أرسل إليه الدعيّ عبيد الله بن زياد، فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام، فأبى أن يتبرّأ منه، فقال له الدعيّ: فبأيّ ميتة قال لك تموت؟**

قال: أخبَرني خليلي أنّك تدعوني إلى البراءة منه فلا أتبرّأ منه، فتُقدّمني فتقطع يديّ ورجليّ ولساني، فقال: والله لأكذبنّ قوله فيك، قدّموه فاقطعوا يديه ورجليه، واتركوا لسانه، فحملت طوائفه[3] لّما قطعت يداه ورجلاه، فقلت له: يا أبه، كيف تجد ألماً لما أصابك؟

(1) المزربانيّ الخرسانيّ، محمد، مختصر أخبار شعراء الشيعة، مركز آل البيت العالميّ للمعلومات، ص47.
(2) الشيخ آل فقيه، محمد جواد، سلسلة الأركان الأربعة، عمار بن ياسر، دار التعارف للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1992م، ج4، ص227.
(3) حُمِلَت طوائفه، أي حُملت أطراف يديه ورجليه لّما قُطعت.

فقال: لا يا بنية إلّا كالزّحام بين الناس، فلمّا حملناه وأخرجناه من القصر، اجتمع الناس حوله، فقال: ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم ما يكون إلى أن تقوم الساعة، فإنّ للقوم بقية لم يأخذوها منّي بعد، فأتوه بصحيفة فكتب الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم. وذهب لعينٌ فأخبره أنّه يكتب للناس ما يكون إلى أن تقوم الساعة، فأرسل إليه الحجّام حتّى قطع لسانه فمات»[1].

4. **موقف مسلم بن عوسجة:**

قام إليه مسلم بن عوسجة، فقال: «**أنخلي عنك، ولَمَّا نُعذَرْ إلى الله سبحانه في أداء حقِّك؟! أَمَا والله حتى أَطعن في صدورهم برُمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به، لقذفتهم بالحجارة. والله، لا نُخْلِيْكَ حتى يعلمَ الله أنْ قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيك. والله، لو علمت أنّي أُقتل ثمّ أحيا ثمّ أُحرق ثمّ أحيا ثمّ أذرّى، يُفعل ذلك بي سبعين مرّة ما فارقتك حتى ألقى حِمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة! ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا**»[2].

إنّ عبارة «**ولَمَّا نعذر إلى الله سبحانه في أداء حقِّك**»، فيها دلالةً واضحة على إيمان مسلم بن عوسجة، واعتقاده بالسّلسلة الهرميّة للولاية. فهو، بتعبيره هذا، يدلّ على معرفته التامّة بأنّ طاعة الوليّ هي طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ يجسّد هذه المعرفة والوعي بالتّسليم المطلق عندما يصوّر فرضيّة قتله وحرقه، وأنّه لو فعلوا هذا به سبعين مرّة لما فارق الحسين عليه السلام.

5. **موقف زهير بن القين:**

قام زهير بن القين البجليّ رحمة الله عليه فقال: «**والله، لوددتُ أنّي قُتِلت ثمّ نُشِرت ثمّ قُتِلت، حتى أقتل هكذا ألفَ مرّة، وأنّ الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك**»[3].

(1) الشيخ المفيد، الاختصاص، تحقيق حسين الأستاذ ولّي وعلي أكبر الغضاديّ، دار المفيد، لبنان- بيروت، 1993، ط2، ص77.
(2) الشيخ المفيد، الإرشاد، مصدر سابق، ج2، ص92.
(3) المصدر نفسه.

6. **موقف محمّد بن الحضرميّ:**

«قيل لمحمد بن الحضرمي [وهو مع الحسين في كربلاء]: أُسر ابنك بثغر الريّ.

قال: عند الله أحتسبه ونفسي، ما كنت أحبُّ أنْ يُؤسر، ولا أن أبقى بعده.

فسمع قوله الحسين عليه السلام، فقال له: «**رحمك الله! أنت في حلٍّ من بيعتي، فاعمل في فكاك ابنك**».

قال: أكلتني السّباع حيّاً إن فارقتك»[1].

ولأصحاب الأئمة عليهم السلام مواقف كثيرة جداً، يمكن أن تراجع في حياة كلّ إمام منهم عليه السلام.

7. **موقف صفوان بن مهران الجمال:**

يروى عن صفوان بن مهران الجمال، قال: دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام فقال لي: يا صفوان كلّ شيء منك حسنٌ جميل ما خلا شيئاً واحداً قلت: جُعلت فداك أيّ شيء؟ قال: اكراؤك جِمالَك من هذا الرجل يعني هارون، قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا لصيد ولا للهو، ولكني أكريه لهذا الطريق يعني طريق مكة، ولا أتولّاه بنفسي ولكن أنصب غلماني .

فقال لي: يا صفوان أيقع كراؤك عليهم؟ قلت: نعم جعلت فداك، قال: فقال لي: أتحب بقائهم حتى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم، قال: فمن أحبّ بقائهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النار.

قال صفوان: فذهبت وبِعتُ جِمالي عن آخرها، فبلغ ذلك إلى هارون، فدعاني فقال لي: يا صفوان بلَغني أنك بِعتَ جمالك؟ قلت: نعم، فقال: لِمْ؟ قلت: أنا شيخ كبير وإنّ الغلمان لا يفون بالاعمال .

فقال: هيهات هيهات أني لأعلم من أشار عليك بهذا موسى بن جعفر، قلت: مالي ولموسى بن جعفر، فقال: دع هذا عنك فوالله لولا حُسن صح.

(1) ابن طاووس، السيّد علّي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، أنوار الهدى، إيران - قم، 1417هـ، ط1، ص57.

المفاهيم الرّئيسة

1. من صفات الأصحاب الولائيّة في كربلاء: الوعي، الإخلاص، التّفاني، الحزم، الإرادة الصّلبة، والتّجسيد العمليّ للمواقف.
2. إنّ لأصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مواقف كثيرة جداً، تبيّن لنا مدى الوعي والإدراك الموجودَين عند أولئك الأشخاص الذين آمنوا بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته، من هذه المواقف الكثيرة مواقف الإمام علي عليه السلام في حروبه وثباته مع النبيّ عليه السلام وموقف المقداد، وموقف سعد بن معاذ، وغيرها الكثير.
3. لقد كان لأصحاب الأئمّة الأطهار عليهم السلام مواقف ولائيّة عديدة، منها:
   أ. عدي بن حاتم الطائيّ وإنصافُه للإمام علي عليه السلام.
   ب. عمّار بن ياسر ومعركةُ صفّين.
   ج. الهجريّ والصبرُ على الولاية.
   د. موقف مسلم بن عوسجة.
   هـ. موقف زهير بن القين.
   و. موقف محمّد بن الحضرميّ.
   ز. موقف صفوان بن مهران الجمّال.

الدرس التاسع والثلاثون

القرآن الكريم وآداب تلاوته

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى فضل تلاوة القرآن الكريم.

2 . يعدّد الآداب الظاهريّة للقراءة.

3 . يلخّص الآداب الباطنيّة للقراءة.

تمهيد

لا غنى للمسلم عن مصاحبة القرآن وتلاوته، حيث يعيش الإنسان فيه مع الله تعالى ويقتبس من نوره. والتلاوة عبادة يُثاب عليها المؤمن ويؤجر على كلّ حرف يقرؤه. ولكن كيف نقرأ القرآن، وكيف نستفيد من آياته؟ هل نقرؤه لمجرّد التلاوة؟ أم نقرؤه لنجعله نوراً لنا في ظلمات الجهل والدنيا، فيُسدّد وجهتنا ويُحسّن مسلكنا؟

والأجر يتفاوت على قدر ما في التلاوة من تدبُّر، وعلى قدر ما يؤدّي التدبّر إلى الغاية المطلوبة والهدف المراد.

فالمطلوب أن تتحوّل تلاوة القرآن والاستماع لآياته إلى تأثّر وخشوع وخضوع لحضرة الباري سبحانه وتعالى، وهذا يتجلّى في مقام العمل هدياً وسلوكاً والتزاماً بأوامر الله عزّ وجلّ ونواهيه.

فضل قراءَة القرآن

إعتبر النبي ﷺ أنّ قراءة القرآن، أفضل العبادة، فورد عن رسول الله ﷺ: «**أفضل العبادة قراءَةُ القرآن**»[1].

وإذا نظرنا إلى بعض الآثار الأخروية، نجد أنّ قراءة القرآن كفّارةٌ للذنوب، وسترٌ من النار ... فروي عن رسول الله ﷺ: «**يا سلمان عليك بقراءَة القرآن فإنَّ قراءَته كفّارة للذنوب. وسترٌ من النَّار. وأَمانٌ من العذاب. ويُكتب لمن يقرأ بكلِّ آيةٍ ثوابَ مائة شهيد. ويعطى بكلِّ سورةٍ ثوابَ نبيّ مرسل. وتُنزَّلُ على صاحبه الرَّحمة. وتستغفر له**

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج 6، ص 168.

الملائكة. واشتاقت إليه الجنَّة. ورضي عنه المولى. وإنَّ المؤمن إذا قرأ القرآن نَظَرَ اللهُ إليه بالرحمة، وأعطاه بكلِّ حرفٍ نوراً على الصراط...»[1].

كيفية القراءة

1. القراءة والنّظر في المصحف:

في بعض الرّوايات ما يُفيد أفضليّة قراءة القرآن مطالعة على قرائته حفظاً. وتظهر هذه الأفضليّة في الآثار المترتّبة، وقد ذكرنا في الدّرس السابق بعضاً منها، ونُضيف ما ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل عبادة أمّتي تلاوة القرآن نظراً**»[2].

وعن الإمام الصادق، جعفر بن محمَّد عليه السلام: «**من قرأ القرآن في المصحف مُتِّعَ ببصره، وخُفِّفَ عن والديه وإنْ كانا كافرين**»[3].

2. القراءة تلاوة:

عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، في وصيَّةٍ لولده محمَّد بن الحنفيّة: «**عليك بتلاوة القرآن في ليلك ونهارك، ولزوم فرائضه وشرائعه، وحلاله وحرامه، وأَمره ونهيه، والتهجّد به، والتِّلاوة في ليلك ونهارك، فإنَّه عهد من الله تعالى إلى خلقه، فهو واجب على كلّ مسلم أَنْ ينظر كلّ يوم في عهده**»[4].

كم يجب أن نقرأ؟

اختلفت الرّوايات وتنوّعت في ذكر مقدار ما ينبغي أن يقرأه الإنسان من القرآن الكريم يومياً. ففي رواية مثلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيها: «**مَن قرأ عشر آياتٍ في ليلةٍ لم يُكتب من الغافلين. ومَن قرأ خمسين آية كُتب مِن الذاكرين. ومَن قرأ مائة آية كُتِب مِن القانتين. ومَن قرأ مائتي آية كُتب مِن الخاشعين. ومَن قرأ ثلاثمَّائة آية كُتب**

(1) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، مصدر سابق،ج1، ص292.
(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق،ج 73، ص 320.
(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق،ج2، ص449.
(4) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج1، ص293.

مِن الفائزين. ومن قرأ خمسمائة آية كُتب من المجتهدين. ومن قرأ ألف آية كُتب له قنطار - مِنْ تِبْرٍ - والقنطار خمسون ألف مثقال ذهب، والمثقال أربعة وعشرين قيراطاً، أصغرها مثل جبل أُحُد، أكبرها ما بين السّماءِ والأرض»[1].

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: «**من قرأ مائة آية يُصلّي بها في ليلةٍ، كَتب الله عزّ وجلّ له بها قنوت ليلة. ومن قرأ مائتي آية في غير صلاة، كَتب الله له في اللّوح قنطاراً من الحسنات. والقنطار ألف ومائتا أُوقية والأوقية أعظم من جبل أُحد**»[2].

آداب تلاوة القرآن الكريم

أوّلاً: الآداب الظاهرية لتلاوة القرآن:

لقد ذُكرت آداب متعدّدة لتلاوة القرآن، منها ما هو ظاهري، ومنها ما هو باطني، ونحن نذكر أهم هذه الآداب، وهي:

1. الطهارة:

المقصود بالطهارة الخلوّ من الحدث الأكبر والأصغر بالوضوء أو الغسل أو التيمّم بدلاً عنهما. وقد جعل المولى ثواب قراءة القرآن ثواباً مضاعفاً، ففي الحديث: «**من استمع القرآن كُتب له بكلّ حرف حسنة ومن قرأ على وضوء كان له بكلّ حرف خمس وعشرون حسنة**»[3].

2. تنظيف الفم:

الفم هو طريق القرآن، ولا يليق بطريق القرآن إلّا أن يكون طيّباً نظيفاً. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**نظّفوا طريق القرآن**» قيل: يا رسول الله، وما طريق القرآن؟ قال: «**أفواهكم**» قيل: بماذا؟ قال: «**بالسّواك**»[4].

---

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق،ج2، ص448.

(2) المصدر نفسه، ص445.

(3) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، الفصول المهمّة في أصول الأئمة، تحقيق القائيني، مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام، إيران- قم، 1418هـ – 1376ش، ط1، ج 3، ص 320.

(4) الحر العاملي، الفصول المهمّة في أصول الأئمة، مصدر سابق، ج73، ص131.

عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**إنّي لأحبّ للرجل إذا قام باللّيل أن يستاك وأن يشمّ الطيب فإنّ الملك يأتي الرّجل إذا قام بالليل حتّى يضع فاه على فيه، فما خرج من القرآن من شيء دخل جوف ذلك الملك**»[1].

3. **البدء بالاستعاذة:**

قال تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[2]، إن من كمال الأدب أن يشرَع القارئ في القراءة بالاستعاذة، ويقصِد بها تطهير القلب من تلوّثات الوسوسة الصّارفة عن ذكر الله تعالى، وختم القراءة بقوله: صدق الله العليّ العظيم، ويدعو بالمأثور في بدء التّلاوة وبعد الفراغ منها كما كان يفعل الأئمّة عليهم السّلام.

4. **التّرتيل بصوت حسن:**

قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[3]، والترّتيل هو بيان الحروف وإظهارها، والوقوف في الأماكن المحدّدة للوقف، لكي لا يحصل خلل في معاني الآيات، وفي فهمها.

والتّرتيل كما في بيان الإمام الصّادق عليه السلام هو: «**أن تتمكّث فيه؛ وتُحسّن به صوتك**»[4].

والمقصود من حُسن الصّوت ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، الّذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله**»[5].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**كان عليّ بن الحسين ـ صلوات الله عليه ـ أَحسن النَّاس صوتاً بالقرآن، وكان السقَّاؤونَ يمرُّون فيقفون ببابه يسمعون قراءَته، وكان أَبو جعفر الباقر عليه السلام أَحسن النَّاس صوتاً،أَي في قراءَة القرآن**»[6].

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق،ج 77، ص 343.
(2) سورة النحل، الآية 98.
(3) سورة المزمل، الآية 4.
(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 89، ص 191.
(5) المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1408هـ - 1988م، ج 2، ص 364.
(6) المصدر نفسه، ج2، ص451.

5. مكان القراءة:

بالإضافة لخصوصيّة الأماكن المقدّسة والمساجد، ينبغي للمسلم أنْ يقرأَ القرآن في بيته لما في ذلك من أثرٍ هام، عن الإمام علي عليه السلام: «**البيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويُذكر الله فيه، تكثر بركته؛ وتحضره الملائكة؛ وتهجره الشياطين؛ ويُضيء لأهل السماء كما تُضيء الكواكب لأهل الأرض، وإنّ البيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن ولا يُذكر الله فيه تقلّ بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين**»[1].

ثانياً: الآداب الباطنيّة لتلاوة القرآن:

1. الإخلاص في القراءة:

من الآداب المفيدة في تلاوة القرآن الكريم الإخلاص، وقد وردت بذلك رواياتٍ كثيرة. منها ما رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتّخذه بضاعة واستدرّ به الملوك واستطال به على الناس، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده وأقامه إقامة القدح، فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن. ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله وأظمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عن فراشه فبأولئك يدفع الله العزيز الجبّار البلاء، وبأولئك يُديل الله من الأعداء، وبأولئك يُنزّل الله الغيث من السماء، فوالله لَهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر**»[2].

2. التعظيم:

من الآداب المهمَّة لقراءة الكتاب الإلهيّ التي يشترك فيه العالِم والعامّي، وتترتّب عليها النتائج الحسنة؛ ويوجب نورانيَّة القلب؛ وحياة الباطن، التعظيم. وهو موقوفٌ على فهم عظمةِ القرآن وجلاله وكبريائه. وهذا المعنى وإن كان بحسب الحقيقة خارجاً عن نطاق البيان وفوق طاقة البشر، لأنّ فهم عظمة كلّ شيء بفهم حقيقته، وحقيقة القرآن لا تحصل

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص610.
(2) المصدر نفسه، ص 604.

لأحد، إلّا الخلّص من أولياء الله، الذين اشتركوا في روحانيّة رسولِ الله ﷺ وأهلِ بيته الأطهار، وفنوا فيهم من خلال التبعيّة التّامة لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إلا أنّ الإشارة الإجماليَّة إلى عظمة هذا الكتاب المنزّل، هي في متناول جميع البشر وموجِبة لفوائد كثيرة.

3. التدبّر في القرآن:

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1]، فالقراءة الّتي لا تدبُّر فيها لا خير فيها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[2].

وكان رسول الله ﷺ يقول: «**إنّي لأعجب كيف لا أَشيب إذا قرأت القرآن**»[3].

4. التفكّر:

من الآداب المهمّة لقراءة القرآن، التفكّر. وقد كثُرت الدّعوة إلى التفكّر في القرآن الشريف، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

5. التأثّر والخشية:

ينبغي لقارىء القرآن أن يستقبل القبلة، ويجلس بتأدّبٍ وخشوع، ويُقبل على التلاوة متفرّغاً لها. قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[5].

وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «**قارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، وبدنٌ فارغ، وموضعٍ خالٍ. فإذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم**»[6].

(1) سورة محمد، الآية 24.
(2) سورة الحديد، الآية 16.
(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 632.
(4) سورة النحل، الآية 44.
(5) سورة الإسراء، الآيات 107 – 109.
(6) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج 4، ص 241.

6. البكاء والحزن:

من آداب قراءة القرآن وتلاوته أنْ يستشعر المرء حالةَ الحُزن والخشوع. عن النبيّ محمَّد ﷺ: «**إنّ القرآن نزل بالحزن، فإذا قرأتموه فابكوا فإنَّ لم تبكوا فتباكوا**»[1].

وقد ورد عن النبيّ ﷺ: «**من قرأ القرآن ولم يخضع لله؛ ولم يرقّ قلبه؛ ولا يكتسي حزناً ووجلاً في سرّه، فقد استهان بعظيم شأن الله تعالى، فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك ومنشور ولايتك، وكيف تجيب أوامره ونواهيه وكيف تمتثل حدوده؟**»[2].

7. التطبيق:

ومن الآداب المهمّة لقراءة القرآن الّتي تُنيل الإنسان نتائج كثيرة؛ واستفادةً غير محدودة، التطبيق. فمن أراد أن يأخذ من القرآن الشريف الحظّ الوافر، فلا بدّ له أن يُطبّق كلّ آية شريفة على حالات نفسه، حتّى يستفيد استفادة كاملة. وكيفيّته أنه عندما يتفكّر الإنسان في كلّ آية من الآيات الشريفة، عليه أثناء التفكّر وبعدَه أن يطبّق مفاد هذه الآيات الشريفة على نفسه، فيرفع نقصانه بواسطة هذا التّطبيق، ويشفي أمراضه من خلالها. وقد حذّرت الأحاديث الشريفة بشدّة من قارئ القرآن، الذي لا يعمل بقراءته ولا يقوم بتطبيق الآيات على نفسه، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من تعلّم القرآن فلم يعمل به، وآثر عليه حبّ الدّنيا وزينتها، استوجب سخط الله، وكان في الدرجة مع اليهود والنّصارى، النّصارى الذي ينبذون كتاب الله وراء ظهورهم...**»[3].

(1) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج 4، ص 271.
(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 82، ص 43.
(3) الحر العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج6، ص183.

المفاهيم الرّئيسة

1. إنّ فضل القرآن الكريم لا يمكن وصفه ببضع كلمات، فهو كلام الله سبحانه وتعالى، وهو عظيم بعظمة الله عزّ وجل، ورغم ذلك فقد وصف النبيّ الأكرم ﷺ قراءته بأنها أفضل العبادة، ووصف في بعض الرّوايات أنها تكفير للذّنوب والسّيئات.
2. كيفيّة القراءة: يمكن قراءة القرآن الكريم من خلال النّظر إليه وهذا هو أفضل أنواع القراءة، وكذلك يقرأ القرآن الكريم على نحو التّلاوة والتّرتيل والتّجويد.
3. أكّدت الروايات على ضرورة قراءة القرآن الكريم في كلّ يوم، ووضعت ميزاناً لمقدار القراءة بقراءة آية واحدة، أو عشر آيات، أو أكثر حتّى قراءة القرآن الكريم بأكمله.
4. آداب تلاوة القرآن الكريم: إنّ للقرآن الكريم آداباً لتلاوته، وهي على قسمين:

أوّلاً: الآداب الظّاهرية لتلاوة القرآن: الطّهارة، تنظيف الفم، البدء بالاستعاذة، التّرتيل بصوت حسن، حُسن اختيار مكان القراءة.

ثانياً: الآداب الباطنيّة لتلاوة القرآن: الإخلاص في القراءة، التّعظيم، التدبّر في القرآن، التفكّر، التأثّر والخشية، البكاء والحزن، والتّطبيق.

الدرس الأربعون

العلاقة بالقرآن في سيرة المعصومين عليهم السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يوضح المقصود بفهم حقائق القرآن الكريم.
2. يذكر بعض النماذج التي تبيّن خشية المعصومين من الله تعالى.
3. يبيّن حال الإمام الكاظم عليه السلام كيف كان وهو ساجد كما ورد في الرواية التي تحكي ذلك.

مقدّمة:

سوف نتناول في هذا الدرس إن شاء الله جوانب أخرى ممّا اهتمّ وتميّز به المعصومون في أعمالهم وصفاتهم العبادية، وأبرزها التمسّك بالقرآن الكريم، وحالة الخشوع والسجود لله التي كانت سمة بارزة في حياتهم عليهم السلام.

العلاقة القرآن الكريم

1. الأُنس بالقرآن:

القرآن الكريم هو خاتمة الأسفار السماوية التي جاءت لهداية البشر وتحقيق سعادتهم، والذي ليس له نظير في الحاضر والمستقبل، ولن يكون له مثيل كذلك، قال الله عزّ وجلّ عنه: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[1]. ولأنّه يتمتّع بهذه الدرجة الرفيعة والمكانة التي لا نظير لها فلا سبيل لغير المعارف الحقّة والطاهرة للوصول إلى محضره المقدّس: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[2]. و«**المطهّرون**» ليسوا سوى أهل البيت عليهم السلام كما ذكر القرآن الكريم: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]. ومن هذا المنطلق فإنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وفي أواخر عمره الشريف عرّف القرآن والعترة على أنّ كلّاً منهما عدْلٌ للآخر، وقد جاء في حديث الثقلين المتواتر عن الشيعة والسنّة: «**ألا وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[4].

---

(1) سورة الزخرف، الآية 4.

(2) سورة الواقعة، الآية 79.

(3) سورة الأحزاب، الآية 33.

(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 23، ص 106.

فالمراد من أنّ أهل البيت عليهم السلام يأنسون بالقرآن هو أنّه لا نظير لهم في معرفة حدود القرآن ولا يطّلع على أسراره وحقائقه أحدٌ سواهم، وكما أنّ القرآن والعترة كلٌّ منهما عدْلٌ للآخر فهما كذلك مقترنان ولا يفترقان أبداً...[1].

2. فهم حقائق القرآن:

سطع نور القرآن على قلب النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، تلك الشخصية التي لا نظير لها في الخلق، وفيه قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[2]، فلا شكّ بأنّ النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مطلّعٌ على جميع الأسرار والحقائق القرآنية وإلا فإنّ القرآن سيكون ناقصاً، وهذا أمرٌ غير ممكن، ومن ناحية أُخرى من المؤكّد أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد نقل تلك الحقائق والأسرار الإلهية إلى خلفائه المعصومين عليهم السلام، وهذا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**دعا رسولُ الله ـ اللهَ عزّ وجلّ أن يُعلّمني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله عزّ وجلّ**» ثمّ قال لي: وقد أخبرني ربّي عزّ وجلّ أنّه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك، فقلت: يا رسول الله ومَن شركائي من بعدي؟ قال: الذين قرنهم الله عزّ وجلّ بنفسه وبي، فقال: «**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**» فقلت: يا رسول الله ومَن هم؟ فقال: الأوصياء منّي إلى أن يردوا عليّ الحوض، كلّهم هادٍ مهتدٍ، لا يضرّهم من خذلهم هم مع القرآن والقرآن معهم...»، ثمّ بيّن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أسماءهم إلى الإمام الثاني عشر[3].

ولم يذكر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نظيراً لذلك في أصحابه كما أنّه لم يدّع أحد من هؤلاء الأصحاب مثل هذا المقام ولم تصل إلينا أخبار تدلّ على أنّ أحداً غير أهل البيت عليهم السلام لديه علم ومعرفة واسعة وإحاطة تامّة وعميقة بتلك العلوم والأسرار والحقائق أو في تفسير القرآن وتأويله بالنحو الذي هم مطلّعون عليه.

(1) آية اللّه جوادي الآملي، تفسير تسنيم، ج 1، ص 153.
(2) سورة الشعراء، الآيتان 193 - 194.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 89، ص 99.

وللقرآن ظاهر وباطن وتفسير وتأويل وقد جاء ﴿... تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ...﴾[1]. وتظهر هذه الأفعال من أشخاص يُعبِّر عنهم القرآن بأنّهم «**راسخون في العلم**»: ﴿... وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ...﴾[2]، وعطف «**الراسخون في العلم**» على لفظ الجلالة «**الله**» يحكي عن عظمة هؤلاء ومكانتهم وسعة علومهم، وليس في الأمة الإسلاميّة أحد له هذه المكانة سوى أهل البيت عليهم السلام.

إذاً، أهل البيت عليهم السلام هم وحدهم من أدرك الحقائق القرآنية وفهمها وعرف تفسيرها وتأويلها على حقيقتها، وقد قاموا بهذا الواجب خير قيام، ويجب على الآخرين أن يتعلّموا ويأخذوا علوم التفسير والتأويل والشرح والبيان القرآنيّ على حقيقته من أهل هذا البيت الطاهر عليهم السلام.

3. تلاوة القرآن بإخلاص:

القرآن «**حبل الله**» الذي يربط البشر بالعرش الإلهيّ. وقد أمر الله عزّ وجلّ بالتالي: ﴿... فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ...﴾[3]، ونظراء القرآن كما كانوا ملازمين للقرآن في البعد المعرفيّ والاطّلاع على الأسرار والحقائق فهم كانوا في الظاهر أيضاً توأماً له ولم يكونوا أبداً يغفلون عن تلاوة كتاب الله وسماعه كما كانوا دائماً يترنّمون به بصوت حزين وجميل.

وهذا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في كل ليلة قبل أن ينام المسبّحات (الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى)[4]، وكذلك السجدة والمُلك، وأحياناً كان يُتلى على مسامعه فيستمع وتذرف عيناه دمعاً[5].

وكان الإمام عليه السلام يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن، فإذا مرّ بآية فيها ذكرُ جنةٍ أو نارٍ بكى، وسأل اللهَ الجنّة وتعوّذ به من النار[6].

---

(1) سورة النحل، الآية 89.
(2) سورة آل عمران، الآية 7.
(3) سورة المزمل، الآية 20.
(4) الطبطبائي، السيد محمد حسين، سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الناشر كتاب فروشي إسلامية، دار چاپ إسلامية، لا.م، 1370ش، ط 5، ص 341 – 342.
(5) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 89، ص 216.
(6) المصدر نفسه، ج 49، ص 94.

وهجم ذات ليلةٍ جماعة المتوكّل العبّاسيّ على دار الإمام الهادي عليه السلام فلم يجدوا فيها شيئاً ووجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصا وهو متوجّه إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن[1].

والمعصومون عليهم السلام كانوا يتلون كتاب الله عزّ وجلّ طوال حياتهم بما يُناسب حالهم ومقامهم، وتاريخهم وكلماتهم وخطبهم مُفْعمةٌ بروح الآيات القرآنية.

ومن الأمور الملفتة في قراءة أهل البيت عليهم السلام هي أن أصواتهم كانت جذّابة أكثر من أيّ صوت آخر وكانت أصواتهم من أحسن وأجمل الأصوات على الإطلاق.

يروي عليّ بن محمد النوفليّ عن أبي الحسن عليه السلام قال: «**ذكرت الصوت عنده فقال إن عليّ بن الحسين عليه السلام كان يقرأ فربّما مرّ به المارّ فصعق من حسن صوته. وإنّ الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه، قلت: ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحمل الناس من خلفه ما يطيقونه**[2].

4. الانسجام والتناسق بين القرآن والعمل:

كما سلف فإنّ العترة توأم القرآن ولا يمكن أن تخالف العترة كتاب الله في أدنى مسألة، بل لا مثيل لأهل البيت عليهم السلام في التمسُّك بالقرآن، وكلّ أعمالهم وحركاتهم وسكناتهم منسجمة ومتناغمة مع القرآن في المجالات الحياتية كافة من سياسية واقتصادية وعسكرية وتجارية وفردية واجتماعية. وعلى حدّ تعبير الشيخ جوادي آملي: يجب أن نؤمن أنّ القرآن هو نفس حقيقة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والعكس صحيح، ولو شئنا أن نكتب حول أخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته وأفكاره وعقيدته وعمله فنصل إلى أنّه هو القرآن، ولو أردنا أن نجسّد القرآن بصورة إنسان كامل فسيكون النبيّ هو تلك الصورة، وبناءً على ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو القرآن الناطق والقرآن هو نبيٌّ صامتٌ، وقد قيل: «**كان خُلقه القرآن**»، فكلّ ما لدى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو من القرآن وكلّ ما أمر به كتاب الله فقد عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 50، ص 211.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 615.

وورثته المعصومون عليهم السلام كانوا كذلك، فقد عبّر الإمام الخمينيّ الراحل قدس سره عنهم بأنّهم «**كتاب الله التكوينيّ**» الذي أنزله الله كاملاً من عنده، وليس لأهل هذا البيت نظيرٌ في ملازمة الكتاب التدوينيّ الذي هو القرآن ولا في حمله ومعرفته[1].

وممّا يجدُر ذكره أنه لا يوجد علمٌ ومعرفةٌ بالقرآن وأسراره وألغازه وأحكامه وفهمه على حقيقته عند أحدٍ من النّاس سوى أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وإن كان لدى بعض الناس مثل هذا العلم فليس لديه قدرة على العمل به.

الخشية من الله

وهي من السمات البارزة في حياة المعصومين عليهم السلام، ويمكن القول إنّها الدافع الأساس الذي جعلهم متميّزين عن غيرهم من الناس في عبادتهم وتوجّه قلوبهم إلى الله، بل وفي علاقتهم مع الناس ومع ما حولهم عامة.

روي عن الحسين بن عليّ عليهما السّلام - في خبر طويل يذكر فيه حالاته صلى الله عليه وآله وسلم - «**وكان يبكي حتّى يبتلّ مصلّاه خشية من اللّه عزّ وجلّ من غير جرم**»[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً**»[3].

ويروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان إذا انشغل بالصلاة لم يعد يشعر بما حوله. وقد أصابه سهم في رجله، وأرادوا إخراجه فصبروا حتّى ينشغل في صلاته ثمّ أخرجوه حتّى لا يحسّ بالألم، ففي أمالي الصدوق: عن هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، قال: كنا جلوساً في مجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم، ألا أخبركم بأقلّ القوم مالاً، وأكثرهم ورعاً، وأشدهم اجتهاداً في العبادة؟ قالوا: من؟ قال: علي بن أبي طالب عليه السلام. قال: فوالله إن كان في جماعة أهل

(1) الإمام الخميني، شرح دعاء السحر، ص 58.
(2) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، مصدر سابق، ج1، ص331.
(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص95.

المجلس إلّا معرض عنه بوجهه، ثمّ انتدب له رجل من الأنصار، فقال له: يا عويمر، لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها، فقال أبو الدرداء: يا قوم، إني قائل ما رأيت، وليقل كلّ قوم منكم ما رأوا، شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام بشويحطات النجار، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته وبعد علي مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول: إلهي، كم من موبقة حملت عني فقابلتها بنعمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمّل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك. فشغلني الصوت واقتفيت الأثر، فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعينه، فاسترت له، وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فزع إلى الدعاء والبكاء والبثّ والشكوى، فكان مما ناجى به الله أن قال: إلهي، أفكّر في عفوك، فتهون عليّ خطيئتي، ثمّ أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليّتي. ثم قال: آه إن أنا قرأت في الصحف سيّئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشريته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملا إذا أذن فيه بالنداء. ثم قال: آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزّاعة للشوى، آه من غمرة من ملهبات لظى. قال: ثمّ أنعم في البكاء، فلم أسمع له حساً ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر. قال أبو الدرداء فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحرّكته فلم يتحرّك وزويته فلم ينزو، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، مات والله عليّ بن أبي طالب. قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبا الدرداء، ما كان من شأنه ومن قصته؟ فأخبرتها الخبر، فقالت: هي والله - يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق ونظر إليّ وأنا أبكي، فقال: مم بكاؤك، يا أبا الدرداء؟ فقلت: ممّا أراه تنزله بنفسك. فقال: يا أبا الدرداء، فكيف لو رأيتني ودعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ! فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء، ورحمني أهل الدنيا، لكنت أشدّ رحمة لي بين

يدي من لا تخفى عليه خافية. فقال أبو الدرداء: فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ»[1].

السجود لله

روي الكثير عن لسان المعصومين عليهم السلام في أهمية السجود ومدى تأثيره على علاقة الإنسان بالله تعالى، لذلك نجد النبيّ ﷺ والأئمة يولونه اهتمامًا كبيرًا في حياتهم الخاصة. ونذكر هنا بعض ما روي في هذا الشأن بحقّ الإمام الكاظم عليه السلام:

«عن أحمد بن عبد الله الغرويّ عن أبيه قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح فقال لي: ادن فدنوت حتّى حاذيته، ثمّ قال لي: أشرف إلى بيت الدار فأشرفت فقال: ما ترى في البيت؟ فقلت: ثوباً مطروحاً فقال: انظر حسناً، فتأملت ونظرت فتيقنت فقلت: رجل ساجد فقال لي: تعرفه؟ قلت: لا قال: مولاك قلت: ومن مولاي؟ فقال: تتجاهل عليّ؟ فقلت: ما أتجاهل ولكني لا اعرف لي مولى فقال: هذا أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام أنّى أتفقده الليل والنهار فلا أجده في وقت من الأوقات إلا على الحال التي أخبرك بها إنّه يصلى الفجر فيعقّب ساعة دبر الصلاة إلى أن تطلع الشمس ثم يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس وقد وكل من يترصّد له الزوال فلست أدري متى يقول الغلام: قد زالت الشمس، إذ يثب فيبتدئ الصلاة من غير أن يحدث فأعلم أنّه لم ينم في سجوده ولا أغفى ولا يزال إلى أن يفرغ من صلاة العصر فإذا صلّى سجد سجدة فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس فإذا غابت الشمس وثب من سجدته فصلّى المغرب من غير أن يحدث حدثاً ويستمرّ بصلاته وتعقيبه إلى أن يصلّي العتمة فإذا صلّى العتمة أفطر على شيء يؤتى به ثمّ يجدّد الوضوء ثم يسجد ثم يرفع رأسه فينام نومة خفيفة ثم يقوم فيجدّد الوضوء ثم يقوم فلا يزال يصلي في جوف الليل حتّى يطلع الفجر فلست أدري متى يقول الغلام أن الفجر قد طلع، إذ قد وثب هو لصلاة الفجر فهذا دأبه ... فقلت: اتّق الله ولا تحدثنّ في أمره حدثاً يكون فيه

(1) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص139.

زوال النعمة فقد تعلم أنّه لم يفعل أحد بأحد منهم سوءاً إلا كانت نعمته زائلة فقال: قد أرسلوا إليّ غير مرّة يأمروني بقتله فلم أجبهم إلى ذلك وأعلمتهم أني لا افعل ذلك ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني، فلما كان بعد ذلك حوّل عليه السلام إلى الفضل بن يحيى البرمكيّ فحبس عنده أياماً فكان الفضل بن الربيع يبعث إليه في كل يوم مائدة حتّى مضى ثلاثة أيام ولياليها فلمّا كانت الليلة الرابعة قدمت مائدة للفضل بن يحيى فرفع عليه السلام يده إلى السماء فقال: يا رب إنّك تعلم أنّي لو أكلت قبل اليوم كنت قد أعنت على نفسي فأكل فمرض فلما كان الغد جاءه الطبيب فعرض عليه خضرة في بطن راحته وكان السمّ الذي سمّ به قد اجتمع في ذلك الموضع فانصرف الطبيب إليهم فقال: والله لهو أعلم بما فعلتم به منكم، ثمّ توفّي عليه السلام » [1].

(1) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا (ع)، مصدر سابق، ج1، ص99.

المفاهيم الرّئيسة

1. أكّد النبيّ ﷺ على أهمية القرآن الكريم، وعلى ضرورة التّمسك به واللّوذ به، وذلك من خلال الأحاديث الصّادرة عنه، والتي كان من أبرزها حديث الثّقلين.
2. المراد من أنّ أهل البيت عليهم السلام يأنسون بالقرآن، هو أنّه لا نظير لهم في معرفة حدود القرآن ولا يطّلع على أسراره وحقائقه أحدٌ سواهم، وكما أنّ القرآن والعترة كلٌّ منهما عدْلٌ للآخر، فهما كذلك مقترنان ولا يفترقان أبداً.
3. إنّ النبيّ الكريم ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام مطّلعون على جميع الأسرار والحقائق القرآنية، فهم القرآن النّاطق الّذي يوضّح للأمّة معالم الكتاب العزيز، وهم الذين يبيّنون أسرارَه وخفاياه، ويشرحون للنّاس المقصود منه.
4. إنّ النبيّ ﷺ وأهل البيت عليهم السلام هم وحدهم من أدرك الحقائق القرآنية وفهمها وعرف تفسيرها وتأويلها على حقيقتها، وقد قاموا بهذا الواجب خير قيام، ويجب على الآخرين أن يتعلّموا ويأخذوا علوم التّفسير والتّأويل والشّرح والبيان القرآنيّ على حقيقته من أهل هذا البيت الطّاهر عليهم السلام.
5. إنّ النبيّ ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام كانوا يتلون كتاب الله عزّ وجلّ طوال حياتهم بما يُناسب حالهم ومقامهم؛ وتاريخهم وكلماتهم وخطبهم مُفْعمةٌ بروح الآيات القرآنية، فقد ورد عنهم الكثير من الرّوايات التي تبيّن فضل السّورة القرآنيّة، مضافاً إلى الرّوايات الّتي تبيّن أحوالهم عند قراءة القرآن الكريم.
6. كان النبيّ ﷺ والأئمة عليهم السلام في توافق تامّ مع القرآن الكريم، فإنّ أعمالهم وحركاتهم وسكناتهم منسجمة ومتناغمة مع القرآن في المجالات الحياتية كافّة من سياسيّة وإقتصاديّة وعسكريّة وتجاريّة وفرديّة واجتماعيّة.
7. إنّ الخشية من الله سبحانه وتعالى تُعدُّ من السّمات البارزة في حياة المعصومين عليهم السلام، ويمكن القول إنّها الدّافع الأساس الذي جعلهم متميّزين عن غيرهم من النّاس في عبادتهم وتوجّه قلوبهم إلى الله، بل وفي علاقتهم مع النّاس ومع ما

حولهم عامّة، وكذا الحال في سجودهم وعبادتهم، حتى أنّهم كانوا يقضون أوقاتاً طويلة في السّجود لله تعالى.

الدرس الواحد والأربعون

الصلاة والذكر في سيرة المعصومين عليهم السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يبيّن حال المعصومين عليهم السلام وهم في صلاتهم بين يدي الله.
2. يوضح أهميّة الذكر وحقيقته.
3. يذكر بعض النماذج التي تظهر حال المعصومين في ذكر الله.

مقدمة:

نتناول في هذا الدرس أبرز الجوانب العبادية للمعصومين عليهم السلام، وكيف كان تطبيقهم لها حتّى تميّزوا وارتقوا بها إلى أعلى درجات العابدين.

الصلاة

كان المعصومون عليهم السلام من أفضل المصلّين، كما أنّهم في الأمور الأُخرى كانوا هم «**الكُمّل**» أيضاً، وحتّى ضربات سيوفهم كانت أفضل من عبادة جميع أفراد الأمة[1].

وكانوا عليهم السلام يأتون بالفرد الأكمل من الصلاة كونهم مطّلعين بصورة تامّة على أحكامها وآدابها وأسرارها، وفي أوقات الصلاة يجدون ذواتهم في محضر الحقّ جلّ وعلا، ويكونون بكلّ وجودهم خاضعين وخاشعين لله ولا يلتفتون لأحد سواه. ونحن عاجزون عن فهم وإدراك مشاعرهم الباطنية أثناء مناجاتهم وصلاتهم، ولكن يحكي الوالهون وعشّاق الحقّ عنهم بعض الحالات الظاهرية الجميلة التي تخرج بحدود معيّنة من مكنون نفثاتهم الباطنية حيث إنّ «**كلّ إناء بالذي فيه ينضح**».

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يؤثر على الصلاة عشاءً ولا غيره، وكان إذا دخل وقتها كأنّه لا يعرف أهلاً ولا حميماً**»[2].

وكذلك كان إذا وقف للصلاة تغيّر لونه خوفاً من الله عزّ وجلّ[3]، وكان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أخذ في الوضوء تغيّر وجهه من خيفة الله[4].

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج20، ص256، وكذلك ج39، ص2.

(2) ورّام، ابن أبي فراس المالكي الأشتري، تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)، دار الكتب الإسلاميّة، إيران- طهران، 1368ش، ط2، ص 387.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج84، ص 248.

(4) المصدر نفسه، ج 77، ص 347.

وكان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام إذا فرغ من وضوئه تغيّر لونُه، فقيل له في ذلك، فقال: حقٌّ على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغيّر لونه[1].

وحتّى بلحاظ الكمية فإنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يعبدون الله ويصلّون كثيراً، وهو ما صرَّحت به كتب السير والتاريخ، فصلاة الليل – مثلاً - كانت واجبة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكان يؤدّيها على مراحل من أوقات الليل، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يصلّي كل ليلة ألف ركعة وهكذا كان يفعل السجّاد عليه السلام وكذلك الإمام الحسين عليه السلام وبقية الأئمة عليهم السلام[2].

إقامة الصلاة

من اللازم على كلّ مسلم، فضلاً عن أدائه للصلاة، أن يأمر الآخرين بها وأن تكون الصلاة مدداً لهم كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3].

من الواضح جدّاً أنّ أول من أقام الصلاة هو شخص النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، بحيث كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام وخديجة يُصلّون جماعةً وحدهم مدّةً من الزمان، ودخل أبو طالب عليه السلام ذات يومٍ ومعه ابنُه جعفر منزلَ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ بجنبه يُصلّيان، فقال لجعفر: يا جعفر صل[4] جناح ابن عمّك، فوقف جعفر بن أبي طالب من الجانب الآخر.

وسيرة أهل البيت عليهم السلام تحكي أنّهم كانوا دائماً يعطون الأولوية المطلقة للصلاة، ولم يحصل أن صدر منهم تقصير في ذلك أبداً، وكانوا يطلبون من القريب والبعيد أداء الصلاة على أكمل وجه ويؤكّدون على الإتيان بها كذلك قدر المُستطاع.

وروي أنّ الإمام علياً عليه السلام كان يوماً في حرب صفّين مشتغلاً بالحرب والقتال وهو

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج80، ص346.

(2) المصدر نفسه، ج41، ص15، وج44، ص196.

(3) سورة طه، الآية 132.

(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج18، ص184 وقال المجلسي بعد ذلك: أمر من وَصَلَ يَصِلُ أي لِمَا كان عليٌّ عليه السلام في أحد جنبيه بمنزلة جناحٍ واحدٍ فوقف بجنبه الآخر ليَتِمَّ جناحاه ويحتمل التشديد من الصلاة والأول أظهر.

مع ذلك بين الصفّين ويراقب الشمس، فقال له ابن عبّاس: يا أمير المؤمنين، ما هذا الفعل؟ قال: أنظر إلى الزوال حتّى نُصلّي، فقال له ابن عبّاس: وهل هذا وقت الصلاة؟ إنّ عندنا لشغلاً بالقتال عن الصلاة، فقال عليه السلام: على ما نقاتلهم؟ إنّما نُقاتلهم على الصلاة»[1].

ومن وصيّة له في آخر لحظات عمره الشريف: «**الله الله في الصلاة فإنّها خير العمل، إنّها عمود دينكم**»[2].

وتحدّى سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام الأعداء ظهر يوم عاشوراء ونادى للصلاة جماعة في ميدان المعركة والسهام تنهال عليهم من كل حدَب وصوب.

وكان آخر ما تحدّث عنه الإمام الصادق عليه السلام هو حول الصلاة حيث حذّر كلّ أصحابه وأهل بيته قائلاً: «**إنّ شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصلاة**»[3].

وممّا يبعث على الحسرة والأسف أنّ دسائس الدنيويين الخونة لم تسمح لأهل البيت عليهم السلام أن يتسلّموا زمام الأمور، فحرموهم من حقّهم الذي لا ينكره أحدٌ من النّاس، ولولا وقوع تلك المآسي لشهدت الدنيا انتشاراً واسعاً لدين الله عزّ وجلّ على أحسن وجه وَلَفَاحَ وانبعث أريج القيم المعنوية والعرفان الإسلاميّ وارتفع نحو العلى وطُبِّقت أحكام الإسلام وانتشر العدل وصدح صوت التوحيد في أسماع العالم و... فالحقّ أن المعصومين عليهم السلام كانوا المصداق الكامل لهذا الوحي الإلهيّ.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[4].

الذكر

1. أهمية الذكر:

إنَّ الله سبحانه وتعالى هو الخالق والمبدع وهو مصدر كلّ إحسان في هذا العالم، ولا

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج4، ص246.
(2) نهج البلاغة، مصدر سابق، ج3، ص77.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج47، ص2.
(4) سورة الحج، الآية 41.

يصل الخير ولا تحصل البركة إلّا من خلاله: «**من أين لي الخير ولا يوجد إلا من عندك**»[1].

فالارتباط بالله يعني الارتباط بكلّ خير وتحقّق جميع القيم واللذات المعنوية.

والله سبحانه بلطفه قد أرشد النّاس إلى هذه المنزلة العظيمة وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[2]. والإنسان الذاكر دائماً يرى نفسه زاهيةً في شعاع نور الله وفي مأمنٍ من أضرار الشرور والفساد وينال في خاتمة المطاف السعادة والراحة والاطمئنان النفسيّ والروحيّ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿... أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[3].

والذاكر يستجلب عناية الله ويكون مورد لطفه عزّ وجل، إذ إنّ كلّ الخيرات تفيض من لدنه، وهذا يعني الوصول إلى قمة السعادة والكمال البشريّ.

2. حقيقة الذكر:

الذكر -الذي هو نفس التذكُّر والتذكير- من الممكن أن يكون ظاهرياً ويجري على اللسان، مثل ترنيمة (الله أكبر، لا إله إلّا الله)، أو أنّ الإنسان قد يذكر الله من أعماق قلبه فهو يؤمن به ويشعر بوجوده في كلّ لحظة وفي كلّ مكان ويرى نفسه في محضره جلّ وعلا.

ومثل هذا الذكر يبعث روح الحياة في قلب ونفس الإنسان، والحياة الواقعية تتجلّى في ظلّ الذكر الحقيقيّ كما يقول أمير الذاكرين عليه السلام: «**في الذكر حياة القلوب**»[4].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**كل أحدٍ يموت عطشان إلا ذاكر الله**»[5].

3. الذاكرون القدوة:

علاوة على أنّ الله سبحانه وتعالى يُعتبر نور السموات والأرض فإنّه يُشبّه نوره بالمصباح الذي يكون كالنجوم الساطعة على شكل حبيبات شفّافة ومتلألئة تُضَاءُ من شجرةِ زيتونٍ

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج95، ص39.
(2) سورة الأحزاب، الآيتان 41. 42.
(3) سورة الرعد، الآية 28.
(4) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر وطباعة دار الحديث، لا.م، لا. ت، لا.ط، ثمرات الذكر، ج 2، ص 969.
(5) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج78، ص240.

مباركةٍ ونقيةٍ وخالصةٍ من كلّ ما يشوبها، وهي نورٌ على نورٍ، وذلك ما قاله جلّ وعلا: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ...﴾[1].

ويقول أنس بن مالك وبريدة وهُما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قرأ رسول الله هذه الآية ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ فقام إليه رجل فقال: أيُّ بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: بيوت الأنبياء، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها – يعني بيت عليّ وفاطمة -؟، قال: نعم من أفاضلها»[2].

عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت جالساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل رجل فسلّم، فقال: من أنت يا عبد الله؟ فقلت: رجل من أهل الكوفة، فقلت: فما حاجتك؟ فقال لي: أتعرف أبا جعفر محمد بن عليّ عليه السلام؟ قلت: نعم، فما حاجتك إليه؟ فقال: هيّأت له أربعين مسألة أسأله عنها فما كان من حقّ أخذته، وما كان من باطل تركته... قال: فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدّام ابن عبّاس فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك! فقال أبو جعفر عليه السلام: أتدري أين أنت؟ بين يدي بيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه ويُسبّح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لا تُلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأنت ثمّ، ونحن أولئك، فقال قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين»[3].

امتاز أهل البيت عليهم السلام بهذه الصفة التي أهّلتهم أن يصلوا إلى مرتبة من الذكر والأُنس بالله عزّ وجلّ أضحوا معها القدوة العليا للذاكرين وانتشر عبق الذكر الإلهيّ من خلالهم في عالم الوجود.

---

(1) سورة النور، الآيتان 36 - 37.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 36، ص 118.

(3) المصدر نفسه، ج 10، ص 155.

والمعصومون عليهم السلام بكلّ وجودهم وفي كلّ لحظة من أعمارهم وبأفكارهم وسلوكهم وفعلهم هم مرآةٌ تعكس مظاهر الوجود الإلهيّ.

من ذكر الله على ألسنة المعصومين عليهم السلام

إنّ ألسنة المعصومين عليهم السلام وظاهرهم دائماً نضرة ومترنّمة بذكر المعشوق وذكرهم لمولاهم بألسنتهم يأخذ بمجامع القلوب والأبصار ويفتح طريقاً نحو المعشوق الأبدي، واللافت أنّ هذه الحالة تُرافقهم من بداية حياتهم وحتّى استشهادهم، وفي هذا الصدد يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «**و[النبي] محمدٌ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سقط من بطن أمّه واضعاً يده اليسرى على الأرض، ورافعاً يده اليمنى إلى السماء يُحرّك شفتيه بالتوحيد**»[1].

والإمام الجواد عليه السلام رفع بصره في اليوم الثالث من ولادته وقال: «**أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله**»[2].

وعندما ولد الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف توجّه نحو القبلة وسجد وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ جدّي رسول الله وأنّ أبي أمير المؤمنين وصيّ رسول الله[3].

ونُقل عن السيّدة الزهراء عليها السلام أنّها قالت: قال رسول الله: «**يا فاطمة: لا تنامي حتّى تعملي أربعة أشياء: حتّى تختمي القرآن وتجعلي الأنبياء شفعاءَكِ وتجعلي المؤمنين راضين عنكِ وتعملي حجّة وعمرة، فقالت: يا رسول الله أمرت بأربعة لا أقدر عليها في هذا الحال! فتبسّم صلى الله عليه وآله وسلم وقال: إذا قرأتِ قل هو الله أحد ثلاث مرّات فكأنّكِ ختمتِ القرآن، وإذا صلّيتِ عليَّ وعلى الأنبياء قبلي كُنّا شفعاءَك يوم القيامة، وإذا استغفرتِ للمؤمنين رضوا كلُّهم عنكِ، وإذا قلتِ: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر فقد حججتِ واعتمرتِ**»[4].

وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول كلّما استيقظ من نومه: «**الحمد لله الذي أحياني بعد موتي إنّ ربّي لغفور شكور**»[5].

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 10، ص 45.
(2) المصدر نفسه، ج 10، ص 368.
(3) المصدر نفسه، ج 51، ص 13.
(4) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، مصدر سابق، ص 1045.
(5) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 16، ص 253.

والأئمّة الأطهار عليهم السلام كانوا يبتدئون كل عمل باسم الله، في دخولهم وخروجهم من المنزل وفي أشغالهم اليومية من طعام وشراب وجلوس وقيام وكتابة وقول وفي الحرب والسلم، يروي الإمام الصادق عليه السلام في وصف الإمام المجتبى عليه السلام أنّه: «**لم يُرَ في شيء من أحواله إلا ذاكراً لله سبحانه**»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**وكان أبي عليه السلام كثير الذكر. لقد كنت أمشي معه وإنّه ليذكر الله وآكل معه الطعام وإنّه ليذكر الله. ولقد كان يُحدّث القوم ما يُشغله ذلك عن ذكر الله وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله**»[2].

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 43، ص 331.
(2) المصدر نفسه، ج 46، ص 297.

المفاهيم الرّئيسة

1. إنّ أوّل من أقام الصلاة هو شخص النبيّ العظيم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، بحيث كان النبيّ ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وخديجة يُصلّون جماعةً وحدهم مدّةً من الزمان.
2. كان المعصومون عليهم السلام من أفضل المصلّين يأتون بالفرد الأكمل من الصّلاة كونهم مطّلعين بصورة تامّة على أحكامها وآدابها وأسرارها.
3. كانوا عليهم السلام في أوقات الصّلاة يجدون ذواتهم في محضر الحقّ جلّ وعلا، ويكونون بكلّ وجودهم خاضعين وخاشعين لله ولا يلتفتون لأحد سواه.
4. كان من حالات المعصومين عليهم السلام: أنّ النبيّ ﷺ كان لا يؤثر على الصّلاة شيئاً، وكان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أخذ في الوضوء تغيّر وجهه من خيفة الله؛ وكان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام إذا فرغ من وضوئه تغيّر لونُه، وهكذا باقي الأئمة الأطهار عليهم السلام.
5. كانت سيرة أهل البيت عليهم السلام تحكي أنّهم كانوا دائماً يعطون الأولويّة المطلقة للصّلاة، ولم يحصل أن صدر منهم تقصير في ذلك أبداً، وكانوا يطلبون من القريب والبعيد أداء الصّلاة على أكمل وجه، ويؤكّدون على الإتيان بها كذلك قدر المُستطاع.
6. الارتباط بالله يعني الارتباط بكلّ خير وتحقُّق جميع القيم واللّذات المعنويّة، وإنّ من أهم روابط الارتباط بالله سبحانه وتعالى هو ذِكرُ الله عزَّ وجل.
7. الذِّكر الحقيقي أن يذكر الله من أعماق قلبه فهو يؤمن به، ويشعر بوجوده في كلّ لحظة، وفي كلّ مكان، ويرى نفسه في محضره جلّ وعلا.
8. إنّ ألسنة المعصومين عليهم السلام دائماً مترنّمة بذكر المعشوق، واللّافت أنّ هذه الحالة تُرافقهم من بداية حياتهم وحتّى استشهادهم، فقد كانوا دائمي الذكر لله سبحانه وتعالى، في خطواتهم وحركاتهم وسكانتهم، وقد اشتُهر عنهم الكثير من أنواع الذّكر عالية المضامين والمعاني.

الدرس الثاني والأربعون

الإخلاص والتوكّل في سيرة المعصومين عليهم السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يبيّن حقيقة الإخلاص.
2. يذكر بعض مظاهر الإخلاص عند المعصومين عليهم السلام.
3. يوضح صفات المتوكّلين الحقيقيين مستفيدًا من توكّل المعصومين عليهم السلام.

الإخلاص

1. حقيقة الإخلاص:

حقيقة الإخلاص الانقطاع والابتعاد عن كلّ شيء سوى الله عزّ وجلّ. والمخلصون هم الذين يعبدون الله، ولا يرون أنفسهم ولا العالم ولا أهله في العبودية، ولا يتجاوزون حدود العبودية في مشاهدة الربوبية.

ولو سعى الإنسان أن يكون مُخلصاً لله بفكره وذكره وعمله وعلمه وأن يكون في عداد «**المخلصين**» فلا شكّ أنّ الله سبحانه وتعالى سيشهد على إخلاصه ويجعله في جملة «**المخلصين**» في محضره الملكوتيّ ويصونه من الانحراف أو إغواء الشيطان له كما أبرز الشيطان لله عندما قال: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1].

يقول العلّامة الطباطبائيّ قدس سره في تفسير هذه الآية: «**إنّ المخلصين هم الذين أخلصهم الله لنفسه بعدما أخلصوا أنفسهم لله فليس لغيره سبحانه فيهم شركة ولا في قلوبهم محلّ فلا يشتغلون بغيره تعالى فما ألقاه إليهم الشيطان من حبائله وتزييناته عاد ذكراً لله مقرّباً إليه**»[2].

والمعصومون كلّهم - أعمّ من النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام - وصلوا إلى مثل هذه المنزلة وبعبارة أُخرى نالوا مقام (العصمة) وهم بكلّ وجوداتهم وفي جميع مراحل حياتهم ينزّهون الله ويُخلصون له، بل لا يرون وجودهم في سوى الله عزّ وجلّ ولا مكان لغيره تعالى في فكرهم أو عملهم.

---

(1) سورة الحجر، الآيتان 39 ـ 40.

(2) السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، مصدر سابق، ج 12، ص 165.

2. من مظاهر إخلاص المعصومين:

نظراً إلى أنّ المعصومين عليهم السلام هم الهداة إلى الدين الخالص والجميع مكلّفون باتّخاذهم قدوة لهم فمن الضرورة بمكان أن يكون لأهل البيت عليهم السلام أعلى درجات الإخلاص في كلّ الأبعاد الدينية أعمّ من العقائد والأخلاق والأعمال، ولا بدّ أن يكون خلوصهم لله أكثر من باقي الناس وإلّا لا معنى لأن يكونوا هم القادة والأسوة للآخرين. وحيث إنّ إخلاصهم يقع في أعلى المراتب فلا مجال لغير المعصوم للوصول إلى ذلك بل هو محال، وما يتمّ بيانه هنا ليس إلّا نزر يسير ممّا ظهر لنا من حياتهم أو هم بيّنوا شيئاً منهم، وليس كلّ الإخلاص الذي كانوا يتمتّعون به.

أ. الإخلاص في العقيدة:

معاملات الإنسان وأقواله وأخلاقه هي من جملة إخلاصه. وهي تنبع من عقيدته ومعرفته؛ فالعقيدة إذا كانت خالصة وأصيلة فسائر صفات الإنسان سوف تسلك طريق الصلاح والصواب، والعكس صحيح، فلو كانت المعرفة غير خالصة ولا صحيحة فأعماله وأخلاقه ستكون غير لائقة، ولهذا السبب كانت عقيدة القادة الإلهيين أخلص العقائد وأصحّها وهو ما يُسمّى بالتوحيد المحض كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أوّل الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له»[1].

النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسائر المعصومين الثلاثة عشر كانوا يحظون بكمال المعرفة والتصديق بالذّات الإلهية المقدّسة وبالنتيجة كانوا يستمتعون بكمال العقل والعلم أيضاً. وقد أمرهم الله تبارك وتعالى بإعلام النّاس عن مكانتهم: ﴿... قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

وبناء على هذا الأمر فقد نال النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام أعلى درجات الفكر التوحيديّ. وهم أيضاً مأمورون ببيان هذا الفكر الأصيل، كما أنّ الناس مكلّفون بالنهل

(1) نهج البلاغة، مصدر سابق، ج1، ص14.
(2) سورة الأنعام، الآية 14.

من معين معارف التوحيد من أهل البيت بقدر طاقتهم في فهم التوحيد ودرجة إخلاصهم في مقابل الذّات الإلهية المقدّسة.

وهؤلاء العظام تلقّوا القرآن بكل علومه وزلاله الثرّ والصافي من لدن إلهٍ حكيمٍ كما أشارت الذّات الإلهية المقدّسة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقول: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[1]، ولأنّ القرآن عند الله في ﴿أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2] فقد تلقّى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «**أمّ الكتاب**». وقد قال الإمام الكاظم عليه السلام: «**وإنّ كان في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر من الأمور التي أعطاه الله الماضين النبيين والمرسلين إلّا وقد جعل الله ذلك كله لنا في أمّ الكتاب**[3]**. ويُفسّر الشيخ جوادي آملي أمّ الكتاب بهذا النحو:**

«**أمّ الكتاب**» تعني أولاً الحقيقة التي تنتقش فيها كلّ حقائق العالم، وثانياً الثابتة المصونة من التغيّر والزوال، وثالثاً أمّ الكتاب هي عند الله.

أمّ الكتاب تعني الأساس العميق للحقائق لأنّ عالم الإمكان يُوجّه وفقاً لقانون العلّية ونظام العلل والمعلولات أو يتمّ إيضاحه وفقاً لنظام الظهور والظاهر. وعلى كلّ حال له أصل وأساس تتنزّل وتتجلّى عنه كلُّ الحقائق فلا شيء أعلى من أمّ الكتاب. وإذا كان يُقال بأنّ المعصومين هم «**أم الكتاب**» أو «**الكتاب المبين**» أو «**لوح المحو والإثبات**» فهو لأنّ تلك الذوات والموجودات النورانية سواء في قوس النزول أو في قوس الصعود متّحدة مع الحقائق العينية وكلّ ما يوجد في عالم الإمكان فهو من قلبهم يمرُّ، لأنّ المعصومين عليهم السلام وأهل بيت العصمة والطهارة حقيقة وباطنهم باطن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وهم يرون بالشكل الذي يرون وبالنحو الذي يدركون بعين قلبهم وباطنهم حقائق العالم ولا يرون حقيقة الخلق والإبداع شيئاً سوى توحيد الذّات الإلهية القدسية

ب.الإخلاص في الأخلاق:

وقد حاز المعصومون عليهم السلام في حالاتهم القلبية وسيرهم وسلوكهم الباطنيّ أعلى

(1) سورة النمل، الآية 6.
(2) سورة الزخرف، الآية 4.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 26، ص 162.

مراتب الإخلاص، وهم المخلصون أيضاً في خُلقهم وسجاياهم، فالحزن والفرح والصداقة والعداوة والحبّ والبغض والشوق والكراهة بالنسبة إليهم على حدٍّ سواء في سبيل الله، وهي على النحو الذي مدح الله بها أخلاق نبيّه في كتابه المجيد بأنّها عظيمة، حيث قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

ومن الواضح جدّاً أنّ الأخلاق التي يُعظّمها الله سبحانه وتعالى لا يُمكن أن تكون أبداً غير خالصة أو ملوّثة بشوائب غير إلهية، لهذا نجد أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام يدعون الناس إلى الإخلاص لله تعالى في كلّ شيء. يقول أمير المؤمنين في هذا الصدد: «**وأخلص لله عملك وعلمك وحبّك وبغضك وأخذك وتركك وكلامك وصمتك**»[2].

ويحثّون المؤمنين على التحلّي بجميع الكمالات الأخلاقية كالشجاعة والسخاء والعدالة والرحمة والتسليم والرضا ورحابة الصدر والصدق والأمانة وحُسن الخُلق.

ج. الإخلاص في العمل:

بالنظر إلى الإخلاص العظيم عند المعصومين عليهم السلام أخلاقياً وفكرياً فلا مجال لأن يصدر منهم أيّ عملٍ لا يكون فيه توجّه إلى الله أو لا يكون الداعي إليه إلهياً، لأنّ كل عمل ـ مهما كان مقداره ـ إذا وقع لغير الله سيكون موضعاً لوسوسة الشيطان. ونحن قد قلنا إنّ المعصومين عليهم السلام هم عبادُ الله المخلَصون ولن يجد الشيطان سبيلاً للاقتراب من حريمهم القدسيّ؛ ولهذا فإنّ إخلاصهم وطاعتهم وولايتهم لله تعالى جعلتهم مصداقاً جلياً للحديث القدسيّ: «**عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون**»[3].

وقد وصل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزلةٍ من الإخلاص بحيث إنّ الله عزّ شأنُه نسب إلى ذاته المقدّسة رميَ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لحفنة من التراب في وجه العدو في معركة بدر حيث نزل قوله تعالى: ﴿... وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ...﴾[4].

---

(1) سورة القلم، الآية 4.

(2) الليثي الواسطيّ، عيون المواعظ والحكم، مصدر سابق، ص 82.

(3) المحقق النراقي، مستند الشيعة، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - مشهد المقدسة، إيران - قم، 1415هـ، ط1، ج1، ص6.

(4) سورة الأنفال، الآية 17.

وهكذا كان إخلاص أمير المؤمنين عليه السلام حين تصدّق بالخاتم على الفقير حيث نال هذا الشرف في آية الولاية[1]، وأكّد القرآن على هذا الإخلاص في سورة «**الإنسان**»: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[2].

وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم فلما مات عليّ بن الحسين عليه السلام فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل، ولمّا مات عليه السلام وغسّلوه جعلوا ينظرون إلى آثار في ظهره، فقالوا ما هذا؟ قيل كان يحمل جرب الدقيق على ظهره ليلاً ويوصلها إلى فقراء المدينة سرّاً[3].

التوكّل

1. التوكّل أصل عند المعصومين عليهم السلام:

«**التوكّل على الله**» موجودٌ في السيرة الأخلاقية لأهل البيت عليهم السلام بعنوان أنه أصلٌ على نحو تكون روح الاعتماد على الله قد أضحت جزءًا من أولياء الله فلا يقومون بأيّ حركة دون توكّل على الله ولا يبيتون ليلةً ويُصبحون دون اتّكالٍ على الله. وحال جميع الأئمة عليهم السلام كحال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أنّهم يدعون اللهَ أنْ لا يكلهم إلى أنفسهم ولو للحظةٍ واحدةٍ؛ (اللهم ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً)[4].

ومن الضروريّ أن نُبيِّن منشأ التوكّل وحقيقته قبل الحديث عن نماذج من التوكّل في سيرة هؤلاء العظماء.

2. حقيقة التوكّل:

يحتاج الإنسان إلى أسباب مادية وأخرى معنوية لتحقيق أهدافه المنشودة في الحياة. وكلّما كان الهدف سامياً تكون الحاجةُ ملحّةً أكثر. ومن ناحية أُخرى وجود مظاهر من

(1) سوره المائدة، الآية 55.
(2) سورة الإنسان، الآيتان 8 - 9.
(3) الأربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، لبنان - بيروت، ج 2، ص 290.
(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 14، ص 384.

قبيل ضعف الإرادة والهمّ والحزن واليأس والتردّد والحيرة وسواها له تأثير في ضعف القوى المعنوية بحيث إنّه إذا لم يكن لهذا الإنسان مصدرُ طاقةٍ هائلة لتقوية معنوياته فسيتأثّر سلباً في أكثر مجالات حياته، وأمّا لو كان يُوكل كلَّ أموره إلى مسبِّب الأسباب ويتعلّق قلبه بربِّه فمن المتيقَّن أنّ الله سيُهيّئ له الأسباب ويكون مورد عنايته عزّ وجلّ لأنه: ﴿... وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ...﴾[1].

فهو -عزّ اسمُه- يجعل المتوكل يستولي ويسيطر على الأسباب القاهرة بنحوٍ لا يخاف معه من أيّ شخصٍ أو شيءٍ سوى الله ويستمر في حياته بقلب شجاع وحيوية وأمل ورجاء.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**التوكّل التبرّي من الحول والقوّة وانتظار ما يأتي به القدر**»[2].

يقول الحسن بن الجهم: «**سألت الرضا عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، ما حدّ التوكّل؟ فقال لي: أن لا تخاف مع الله أحداً**»[3].

3. المتوكّلون الحقيقيّون:

عقيدتنا أنّ أهل بيت الوحي عليهم السلام يتمتّعون بالإيمان الكامل واليقين التّامّ ولهذا السبب يستحوذون على أجمل وأفضل التوكّل، وكلّ الأسباب الظاهرية والأعمال المادية والمعنويّة قد توفّرت لهم، وقد وضعوا لأنفسهم ولديهم أفضل برنامج يوميّ وكانوا يستفيدون من كلّ الإمكانات الموجودة وحتّى أفكار الآخرين كان لها مدخلية في الأعمال وكانوا حينئذٍ يُقدمون متوكّلين على الله.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه «**مرّ يوماً على قوم فرآهم أصحّاء جالسين في زاوية المسجد فقال عليه السلام: من أنتم؟ قالوا نحن المتوكّلون قال عليه السلام: لا بل أنتم المتأكّلة فإن كنتم متوكّلين فما بلغ بكم توكّلكم؟ قالوا: إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا، قال عليه السلام: هكذا تفعل الكلاب عندنا، قالوا: فما نفعل؟ قال: كما نفعل قالوا كيف تفعل؟ قال عليه السلام: إذا وجدنا بذلنا وإذا فقدنا شكرنا**»[4].

---

(1) سورة الطلاق، الآية 3.
(2) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص 57.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 71، ص 134.
(4) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج 7، ص 7.

وهنا نماذج لتطبيقات صحيحة لـ(التوكّل على الله) في حياتهم المباركة المنقطعة النظير على صعيدَي الحياة اليومية والجهاد والقتال.

أ. في الحياة اليومية:

حيث يُنظّمون جميع أمورهم الحياتية الكبيرة والصغيرة وفقاً لإرادة الله وعملاً بالأسباب الظاهرية، فالتوكّل على الله في رأس اهتماماتهم، وبالتالي تأخذ أعمالهم صبغةً إلهية وتكون النهاية كما يُريد الله عزّ وجلّ، يقول الصادق عليه السلام: «**كان (رسول الله) صلى الله عليه وآله إذا استيقظ من نومه يقول....اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكّلت**»[1]، «**وكان صلى الله عليه وآله إذا لبس ثيابه واستوى قائماً قبل أن يخرج قال: اللهم بك استترت وإليك توجّهت وبك اعتصمت وعليك توكّلت**»[2]. ويقول أبو حمزة الثمالّي: «**أتيت باب عليّ بن الحسين فوافقته حين خرج من الباب فقال: بسم الله آمنت بالله وتوكّلت على الله**»[3].

وعن أبي خديجة: «**كان أبو عبد الله إذا خرج يقول: اللهم بك خرجت ولك أسلمت وبك آمنت وعليك توكّلت اللهم بارك لي في يومي هذا وارزُقني فوزه وفتحه**»[4].

ب.في ساحات الجهاد والقتال:

أكثر ما يكون المؤمن المجاهد بحاجة إلى الأمور المعنوية والطمأنينة النفسانية في ساحات الوغى ومواجهة أعداء الله وأعداء عباده، وهذه الحاجة لا يتمّ تأمينها إلّا في ظلّ التوكّل على الله كما يقول القرآن الكريم بلسان المؤمنين المجاهدين: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[5].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «**نزل رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير واد، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه فرآه رجل من المشركين والمسلمون قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل فقال رجل من المشركين لقومه:**

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 76، ص 203.
(2) المصدر نفسه، ج 16، ص 251.
(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 541.
(4) المصدر نفسه، ص 542.
(5) سورة إبراهيم، الآية 12.

أنا أقتل محمّداً فجاء وشدّ على رسول الله ﷺ بالسيف، ثمّ قال: من ينجيك منّي يا محمّد؟ فقال: ربّي وربّك فنسفه جبرئيل عليه السلام عن فرسه فسقط على ظهره، فقام رسول الله ﷺ وأخذ السيف وجلس على صدره وقال: من يُنجيك منّي يا غورث فقال جودك وكرمك يا محمّد، فتركه فقام وهو يقول: والله لأنت خير منّي وأكرم»[1].

ويروي الإمام زين العابدين عليه السلام ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء فيقول: «**لمّا أصبحت الخيل تقبل على الحسين عليه السلام رفع يديه وقال: اللهمّ أنت ثقتي في كلّ كرب ورجائي في كلّ شدّة وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدّة...**»[2].

ج. تقوية روح التوكّل:

الأئمّة المعصومون عليهم السلام وفضلاً عن سيرتهم نجد في كلامهم مظهراً جميلاً للتوكّل يروّجون له في قلوب وأفكار أتباعهم ويوطّدونه ويُعلّمونهم أن تكون سيرتهم في كلّ أمورهم الحياتية قائمة على التوكّل على الله عزّ وجلّ.

ويروى عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**لا تدع طلب الرزق من حلّه فإنّه عون لك على دينك واعقل راحلتك وتوكّل**»[3].

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال لأحد أصحابه: «**إذا خرجت من منزلك في سفر أو حضر فقل بسم الله آمنت بالله وتوكّلت على الله...**»[4].

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج8، ص128.
(2) المصدر نفسه، ج 45، ص 4.
(3) المصدر نفسه، ج 68، ص 138.
(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 8، ص 279.

المفاهيم الرّئيسة

1. إنّ المخلصين هم الذين أخلصهم الله لنفسه بعدما أخلصوا أنفسهم لله فليس لغيره سبحانه فيهم شراكة ولا في قلوبهم محلّ، فلا يشتغلون بغيره تعالى فما ألقاه إليهم الشيطان من حبائله وتزييناته عاد ذاكراً لله مقرّباً إليه.
2. نظراً إلى أنّ المعصومين عليهم السلام هم الهُداة إلى الدّين الخالص والجميع مكلّفون باتّخاذهم قدوة لهم، فمن الضرورة بمكان أن يكون لأهل البيت عليهم السلام أعلى درجات الإخلاص في كلّ الأبعاد الدّينية، وما هو أعمّ من العقائد والأخلاق والأعمال، ولا بدّ أن يكون خلوصهم لله أكثر من باقي الناس وإلّا لا معنى لأن يكونوا هم القادة والأسوة للآخرين.
3. من مظاهر إخلاص المعصومين عليهم السلام الإخلاص في العقيدة، الإخلاص في الأخلاق، والإخلاص في العمل.
4. إنّ التوكّل على الله موجودٌ في السّيرة الأخلاقيّة للمعصومين عليهم السلام بعنوان أنّه أصلٌ على نحو تكون روح الاعتماد على الله قد أضحت جزءًا من أولياء الله فلا يقومون بأيّ حركة دون توكّل على الله، ولا يبيتون ليلةً ويُصبحون دون اتّكالٍ على الله. وحال جميع الأئمة عليهم السلام كحال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أنّهم يدعون اللهَ أنْ لا يكلهم إلى أنفسهم ولو للحظةٍ واحدةٍ؛ (اللهمّ ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً).
5. يمثّل المعصومون عليهم السلام حقيقة المتوكّلين الحقيقيّين، فقد كانت كلّ حياتهم وتصرّفاتهم يعمّها التوكّل على الله سبحانه وتعالى، وكان من مظاهر توكّلهم: التوكّل في يوميّاتهم، التوكّل في ساحات الجهاد والقتال.
6. عمل المعصومون عليهم السلام على زرع روح التوكّل في قلوب شيعتهم ومحبّيهم، وكان يدعونهم إلى جعل التوكّل الخطّ الذي يسيرون عليه في كلّ تصرّفاتهم وحركاتهم وسلوكهم.

الدرس الثالث والأربعون

التواضع والعفو في سيرة المعصومين عليهم السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يبيّن معنى التواضع وبعض مظاهره لدى المعصومين عليهم السلام.
2. يشرح سمة العفو التي تميّز بها المعصومون عليهم السلام.
3. يذكر بعض الروايات التي تشير إلى عفو المعصومين عليهم السلام.

مقدّمة

نتناول في هذا الدرس بعض الصفات الأخلاقية التي امتاز بها النبيّ محمّد ﷺ وأهل بيته، كصفة التواضع والحلم والعفو، وإليك الحديث فيها:

التواضع

1. معنى التواضع:

«**التواضع هو**» ترك التكبُّر، والتذلّل لله ولرسوله ولأولي الأمر وللمؤمنين وعدم حبّ الرفعة والاستيلاء»[1].

يقول الإمام الكاظم عليه السلام عن التواضع: «**التواضع أن تُعطي الناس ما تُحبّ أن تُعطاه**»[2].

2. التواضع والتذلّل في محضر الله في سيرة أهل البيت عليهم السلام:

المعصومون عليهم السلام دائماً يطلبون من الله أن يفتح بصيرة قلوبهم على معرفة الحقّ وأوصاف الجلال والجمال: «**وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك**»[3]. ويقيناً إنّهم كانوا لا يغفلون حتّى لحظة واحدة عن معاينة جلال الله وجبروته وشهوده وحضوره، وبالتبع مثل هذه المعاينات دائماً خاضعة وخاشعة أمام الذات الإلهية المقدّسة، يقول نبيّ الإسلام الكريم: «**تنام عيناي ولا ينام قلبي**»[4].

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 72، ص 132.

(2) الحر العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج15، ص 216.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج91، ص99.

(4) المصدر نفسه، ج 22، ص 27.

قال العلامة الطباطبائي: «**معنى هذا الحديث هو أنّي لا أنسى الله مطلقاً ولا يذهب من بالي ولا أنسى الله ولا أمر الخلق أبداً**»[1]. من هذا المنطلق عندما كانوا يقولون له: «**اتّكئ حتّى ترتاح**» كان يجيبهم ﷺ: «**إنّما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد**»[2].

ونقل كذلك عن الإمام الباقر عليه السلام: «**أتى رسول الله ﷺ ملك فقال: إنّ الله عزّ وجلّ يُخيّرك أن تكون عبداً رسولاً متواضعاً أو ملكاً رسولاً، قال: فنظر إلى جبرائيل وأومأ بيده أن تواضع، فقال: عبداً متواضعاً، رسولاً، فقال الرسول: مع أنّه لا ينقصك ممّا عند ربّك شيئاً**»[3].

لهذا الإظهار للتذلُّل والتواضع لله علاقة مباشرة بالرؤية التوحيدية للمعصومين عليهم السلام، وبما أنّهم يعرفون الله أكثر وأفضل من غيرهم ومطّلعون على صفات جماله وجلاله فقد جعلوا للعظمة الإلهية محلّاً في وجودهم بشكل إنّهم لا يرون أنفسهم شيئاً مذكوراً أمام عظمته.

يقول نبيّ الإسلام المكرّم ﷺ: «**طوبى لمن تواضع لله تعالى في غير منقصة وأذلّ نفسه في غير مسكنة**»[4].

وحيث إنّ المعصومين عليهم السلام مخلصون في حضرة الذات الإلهية فكلّ عمل يقومون به يكون لله ويتواضعون فيه لله أيضاً، وهم يعيشون مع الناس وبين الناس ويهدونهم ويُرشدونهم إلى طريق الصواب بكلّ رأفة وعطف لا يُوصف. ومع أنّهم في أعلى مراتب الكمالات الإنسانية وهم ذوو شخصية مرموقة وذات شأن عظيم فإنّهم مع كل ذلك لا ينفصلون عن الناس ولا ينتظرون أو يأملون منهم الخضوع لإرادتهم أو لخدمتهم، وعن مثل هذه الصفات يتكلّم أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه لكيفية تعامل النبيّ ﷺ مع

(1) در محضر علامه طباطبايى (فارسي)، رخشاد، ص 215.
(2) ابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللآلي، مصدر سابق، ج1، ص278.
(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 122.
(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق،ج 74، ص 90.

الناس: «**كان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، لا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كلّ جلسائه نصيبه، ولا يحسب أحدٌ من جلسائه أنّ أحداً أكرم عليه منه، من جالسه صابره حتى يكون هو المنصرف، من سأله حاجة لم يرجع إلا بها أو ميسور من القول، قد وسع الناس منه خلقه فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الخلق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء، وصدق وأمانة. ولا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم**»[1].

وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يرقع ثوبه ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويأكل مع العبد، ويجلس على الأرض، ويركب الحمار، ويردف، ولا يمنعه الحياء أن يحمل حاجته من السوق إلى أهله، ويصافح الغنيّ والفقير، ولا ينزع يده من يد أحد حتّى ينزعها هو، ويُسلّم على من استقبله من غنيّ وفقير، وكبير وصغير، ولا يُحقّر ما دُعي إليه ولو إلى حشف التمر. وكان خفيف المؤونة، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بسّاماً من غير ضحك، محزوناً من غير عبوس، متواضعاً من غير مذلّة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب، رحيماً بكلّ مسلم[2].

ويتحدّث الصادق عليه السلام حول مسلك التواضع الذي ينتهجه أمير المؤمنين عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يحطب ويستسقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز[3].

وكان كلّما حلّ ضيف عند أمير المؤمنين عليه السلام وانتهى من طعامه أخذه الإمام عليه السلام وصبّ الماء على يدي ضيفه ليغسلهما[4].

وبالمقابل كان المعصومون عليهم السلام وهم في مقام الولاية يُعلّمون المسلمين كيف يعيشون بعزّة وكرامة. ومع مراعاتهم عليهم السلام لحدود التواضع لم يكن تواضعهم فيه أيّ نوع من الذلّة للآخر حتّى ولو كان ذلك الآخر من الزعماء والكبراء، كما لم يكونوا يتزلّفون أو يتملّقون أحداً.

(1) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، مصدر سابق، ص82.
(2) الحر العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج5، ص55.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 41، ص 54.
(4) المصدر نفسه، ص 56.

ولهذه الأمور وسواها كان النبيّ ﷺ يُوصي المسلمين أن لا يقوموا له.

وكان الإمام الرضا عليه السلام يقول لخدمته: «**إن قمت على رؤوسكم وأنتم تأكلون، فلا تقوموا حتّى تفرغوا**»[1].

وقد حذّر أهل البيت عليهم السلام من القيام بالأعمال التي لا جدوى منها أو إقامة بعض الآداب والمراسم الخاطئة على أنّها من التواضع والتصاغر، فورد عن الإمام الصادق عليه السلام في هذا الشأن أنّه قال: «**قد لقيَ أمير المؤمنين عليه السلام عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار فترجَّلوا له واشتدُّوا بين يديه فقال الأمير عليه السلام: وما هذا الذي صنعتموه؟، فقالوا: خُلقٌ منّا نُعَظِّمُ به أمراءَنا فقال عليه السلام: والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم وإنّكم لتشقّون به على أنفسكم وتشقون به في آخرتكم وما أخسر المشقّة وراءها العقاب وأربح الدعة معها الأمان من النار**»[2].

الحلم:

الحلم صفة الكرماء، حيث إنّ كريم النفس لديه القابلية للعفو والصفح، وهي صفة جليلة يتحلّى بها المؤمنون بعفو الله ورحمته، فيتخلّقون بأخلاقه، وقد تميّز بها رسول الله ﷺ في حياته، ممّا جعله ملاذاً للخائفين وملجأ للمحزونين.

وقد ورد العديد من الروايات التي تشير إلى هذه السمة الجميلة في شخصيته ﷺ نورد منها ما يلي:

«**ولا ضرب بيده شيئاً قطّ إلّا أن يضرب بها في سبيل الله ولا سُئل شيئاً قط فمنعه إلاّ أن يُسألَ مأثماً فإنّه كان أبعد الناس منه**».

وقال أنس: «**خدمت رسول الله عشر سنين، فما قال لي أُفٍّ قطّ، وما قال لشيء صنعتهُ: لِم صنَعْتَه؟ ولا لشيء تركتُه: لِمَ تركتَه؟**».

وجاءه أعرابيّ فجذب رداءه بشدّة حتّى أثرت حاشية الرداء على عاتق النبيّ ﷺ ثمّ قال له: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء».

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 49، ص 102.
(2) نهج البلاغة، مصدر سابق، الحكمة 37.

الكرم والجود

قال ابن عبّاس: «**كان النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه جبريل عليه السلام كلّ ليلة في رمضان حتّى ينسلخ، يعرض عليه النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة**»[1].

وقال جابر: «**ما سُئل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً قطّ، فقال: لا**» [2].

العفو والتسامح

1. معنى العفو وأهميّته:

العفو في اللغة بمعنى القعد لتناول الشيء والتجافي عن الذنب[3].

التسامح والعفو اللذين يجب أن يتزيّن بهما المؤمن هما من أعظم الكمالات الإنسانية، فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿... وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[4].

ويقول صادق آل محمّد عليهم السلام: «**عليكم بالعفو، فإنّ العفو لا يزيد العبد إلا عزّاً، فتعافوا يُعزّكم الله**»[5]، وعن علي عليه السلام: «**العفو تاج المكارم**»[6].

قد تظهر في الحياة الاجتماعية بين الأفراد والجماعات بعض الإزعاجات وما قد يُعكّر صفو هذه الحياة وفي حال دامت فإنّها تُهدّد المجتمعات الإنسانية بالتفكّك وتتوتّر العلاقات وتفتر وتسود الخلافات والعنف، لذلك لا بدّ من اتّخاذ خطوات منطقية وإنسانية لإزالة كل هذه التوتّرات، وإحدى الطرق لإزالتها التسامح.

---

(1) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، دار صادر، لبنان ـ بيروت، لا.ت، لا.ط، ج1، ص363.

(2) الحافظ الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، المطبعة: بريل ـ ليدن المحروسة، لا.ت، 1934، ج2، ص245.

(3) الراغب، الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الناشر، طليعة النور، مطبعة سليمان زاده، 1427هـ، مادة «عفا».

(4) سورة النور، الآية 22.

(5) الحر العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج8، ص 519.

(6) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص 19.

2. **العفو أو الانتقام:**

الانتقام في مقابل التسامح، فما هو الأفضل حين الغضب، العفو أو الانتقام؟ يجب القول إنّ الإسلام أوصى بالتسامح في أكثر المواقف، وحذّر من الانتقام، ولطالما تجنّب أهل البيت عليهم السلام الانتقام عند القدرة، وهذه كانت سيرتهم، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ امرأة يهودية أهدت شاةً مسمومة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتقتله بها فنزل الوحي وأخبره بذلك فلم يتناول منها شيئاً و»أُتِيَ باليهودية، فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟، فقالت: قلت: إن كان نبياً لم يضرّه، وإن كان ملكاً أرحتُ النّاس منه، فقال: فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها»[1].

ويقول عليّ عليه السلام في هذا الصدد: «**قلة العفو أقبح العيوب والتسريع إلى الانتقام أعظم الذنوب**»[2].

وعلى هذا الأساس للتسامح حدود وقيود لا يجوز تجاوزها، فليس العفو عن القاتل والسارق المسلّح والفاسد والخائن سوى السذاجة بعينها وتُساعد على خراب المجتمع، وكان المعصومون عليهم السلام يتعاملون بحزم في مثل هذه المواقف.

فمثلاً الإمام الحسن عليه السلام قطع رأس قاتل أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام السجّاد سجد لله شكراً بعد سماعه خبر الاقتصاص من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وبعبارة أُخرى العفو والتسامح بالنسبة للذين أساؤوا إلى نفس المعصومين عليهم السلام كانا يُسبِّبان يقظة هؤلاء وحياءهم، فيكون لهما طابع تربوي وبنّاء ولكنّ استعمال أسلوب العفو مع الذين يُضيِّعون الحقوق الاجتماعية العامة ويُفسدون في الأرض سيكون بمثابة.

3. **المسامحة سيرة المعصومين عليهم السلام:**

إنّ في حياة سادة التسامح من أهل البيت عليهم السلام نماذج من الكمال الإنسانيّ. وقد تركوا ميراثاً كبيراً وقيّماً لهم وللبشرية في مجال السلوك والأخلاق الإسلاميّة. فالتسامح من

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج16، ص 265.
(2) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص 371.

الخصال الحميدة التي تمتّع المعصومون بأعلى درجاتها، وعملوا بها في مختلف الميادين. وهنا نتعرّض لذكر نُتَف منها:

ورد أنّه جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشكا إليه خدمه فقال له: «**اعف عنهم تستصلح به قلوبهم، فقال الرجل: يا رسول الله، إنَّهم يتفاوتون في سوء الأدب، فقال: اعف عنهم، ففعل**»[1].

وكان للحسن بن علي عليه السلام شاة تُعجبه فوجدها يوماً مكسورة الرجل فقال للغلام: «**من كسر رجلها قال: أنا قال: لم؟ قال: لأُغمّنك قال الحسن: لأفرحنّك أنت حرّ لوجه الله تبارك وتعالى**»[2].

جاء رجل شاميّ قد تأثّر بالأفكار المسمومة التي كان يبثّها معاوية كذباً وزوراً وبمجرّد أن رأى الإمام الحسن عليه السلام جعل يلعنه والحسن لا يردّ فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلّم عليه وضحك وقال: «**أيّها الشيخ أظنك غريباً، ولعلّك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً. فلمّا سمع الرجل كلامه، بكى ثمّ قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته**»[3].

(1) الطبرسي ميرزا حسين النوري، مصدر سابق، ج9، ص7.
(2) الخوارزمي، مقتل الحسين، لا.م، لا.ن، لا.ت، لا.ط، ج 1، ص 127.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج43، ص344.

المفاهيم الرّئيسة

1. فسّر الإمام الكاظم عليه السلام التّواضع بأنّه: «أن تُعطيَ النّاس ما تُحبّ أن تُعطاه».
2. إنّ الإظهار للتذلُّل والتّواضع لله علاقة مباشرة بالرّؤية التوحيديّة للمعصومين عليهم السلام، وبما أنّهم يعرفون الله أكثر وأفضل من غيرهم ومطّلعون على صفات جماله وجلاله، فقد جعلوا للعظمة الإلهية محلاً في وجودهم بشكل إنّهم لا يرون أنفسهم شيئاً مذكوراً أمام عظمته.
3. إنّ المعصومين عليهم السلام مخلصون في حضرة الذات الإلهية، فكلّ عمل يقومون به يكون لله ويتواضعون فيه لله أيضاً، وهم يعيشون مع النّاس وبين النّاس ويهدونهم ويُرشدونهم إلى طريق الصّواب بكلّ رأفة وعطف لا يُوصف. ومع أنّهم في أعلى مراتب الكمالات الإنسانيّة وهم ذوو شخصيّة مرموقة وذات شأن عظيم فإنّهم مع كلّ ذلك لا ينفصلون عن النّاس ولا ينتظرون أو يأملون منهم الخضوع لإرادتهم أو لخدمتهم.
4. حذّر أهل البيت عليهم السلام من القيام بالأعمال التي لا جدوى منها أو إقامة بعض الآداب والمراسم الخاطئة على أنّها من التّواضع والتّصاغر.
5. لقد تميّز المعصومون عليهم السلام بصفة الحلم والعفو عن النّاس، وكان هذا الأمر ضابط تصرّفهم مع كلّ الذين يتعاملون معهم، والوقائع في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة جداً، وكذلك في حياة كلّ معصوم منهم عليه السلام.
6. كان المعصومون عليهم السلام أجود النّاس بالخير، وأكثرهم عطاء، وأشدّهم ترفعاً عن الدّنيا، فكانوا ينفقون كلّ ما يملكون لخدمة النّاس، ورفع الفقر والعَوَز من بين أبناء المجتمع الإسلامي، وسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الإنفاق، والأئمّة عليهم السلام تشهد على ذلك.
7. لقد أكّد الأئمة عليهم السلام على صفة العفو والتّسامح؛ فإنّ الإساءة الّتي كانت توجّه لهم، كانوا يقابلونها بالعفو والتّسامح، من أجل تربية النّاس على ضرورة العفو والتّسامح داخل المجتمع، ولم يكن لصفة الانتقام مكاناً في وجودهم وحياتهم.

الدرس الرابع والأربعون

العشرة والزهد في سيرة المعصومين عليهم السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يشرح ما هو المقصود بالزهد الذي اتّسم به المعصومون عليهم السلام.
2. يذكر كيف جسّد المعصومون حسن عشرتهم مع الأسرة.
3. يبيّن كيف كان شكل العشرة من قبل المعصومين مع الأعداء.

مقدّمة

لم يكن المعصومون عليهم السلام بعيدين عن الناس، بل كانوا أكثر القادة تماسًا مع الناس بكلّ طبقاتهم وأعراقهم وحالاتهم، فلم يميّزوا فقيراً عن غنيّ ولا أسود عن أبيض إلّا بالتقوى وحبّ الله، وكان الناس عندهم عيال الله، ولذلك نجد كيف أنهم عاشوا مع الناس بأفراحهم وأتراحهم، ووصموا حياتهم بكلّ ما هو خير للمجتمع الإنسانيّ، فكانوا القدوة على جميع الأصعدة الاجتماعية.

الزهد وبساطة العيش

1. زهد الأئمّة عليهم السلام:

كان الأئمّة عليهم السلام دائماً يعيشون حياةً بسيطة وبلا تكلّف ويبتعدون عن كلّ مظاهر البذخ والترف وجمع المال والثروة، ويأخذون من الدنيا بمقدار حاجتهم، وكانوا يقتصرون على الحدّ الأدنى في تأمين حاجيّاتهم الضرورية، وبنفس الوقت يعملون في التجارة والاقتصاد وكسب الأموال من حِلِّها ويُنفقونها في سبيل الله وهم مع ذلك يفرّون من حبّ الدّنيا وتعلّقاتها.

الزهد والعزوف عن مظاهر الدنيا الفانية يتمظهر في بُعْدين: البعد الروحيّ والبعد العمليّ، وفي الجانب النفسيّ لو تأمّل العاقل وفكّر بشكل صحيح لاستنتج أنّ الدنيا وما فيها مصيرهما إلى الزوال والاندثار.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الزهد كلّه بين كلمتين، قال الله تعالى:** ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[1].

(1) سورة الحديد، الآية 23.

الزهد الروحيّ يُثمر زهداً عملياً لأنّ الإنسان يسعى دوماً للحصول على قيم حقيقية وثابتة ولأنّ فكره وقلبه عازفان عن الدنيا وبهرجتها، فلا بد في ميدان العمل أن يصرف وجهه عن ذلك كلّه، ويبذل جهداً عظيماً لبلوغ أسمى الكمالات التي هي فوق نطاق حدود هذه الدنيا الفانية والضيقة. وشرط الظفر بتلك الكمالات التخلّي عن الدنيا، كما يقول إمام الزاهدين عليٌّ عليه السلام: «**إنكم إن زهدتم خلصتم من شقاء الدنيا وفزتم بدار البقاء**»[1].

2. **مظاهر من زُهد المعصومين عليهم السلام:**

يقول القرآن حول عظمة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الروحية والأخلاقية: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

وهو كما قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام:

«**قضم الدنيا قضماً، ولم يعرها طرفاً، أهضم أهل الدنيا كشحاً، وأخمصهم من الدنيا بطناً، عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، وعلم أنّ الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه، وحقّر شيئاً فحقّره، وصغّر شيئاً فصغّره، ولو لم يكن فينا إلا حبّنا ما أبغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغّر الله ورسوله لكفى به شقاقاً لله ومحادة عن أمر الله، ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري ويردف خلفه. ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة - لإحدى أزواجه - غيّبيه عنّي فإنّي إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحبّ أن تغيب زينتها عن عينه، لكي لا يتّخذ منها رياشاً**»[3].

وقد تأسّى أهل البيت عليهم السلام بذلك النبيّ الإلهيّ العظيم في الزهد والورع والتقوى ولم يُسجّل التاريخ أي أثر لتعلّقهم بالدنيا أو أنهم كفّوا عن العيش بتواضع وبساطة، وهذا الإمام الباقر عليه السلام يحدِّثنا عن حياة أمير المؤمنين عليه السلام فيقول: «**ولقد ولي خمس**

(1) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج12، ص47.
(2) سورة القلم، الآية 4.
(3) نهج البلاغة، مصدر سابق، الخطبة109، ص215.

سنين ما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاء ولا حمراء»[1].

دخلت فاطمة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم...إلى أن قال: فنهضت والتفّت بشملة لها خلقة قد خيطت اثني عشر مكاناً بسعف النخل، فلمّا خرجت نظر سلمان الفارسيّ إلى الشملة وبكى وقال: واحزناه إنّ قيصر وكسرى لفي السندس والحرير، وابنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليها شملة صوف خلقة قد خيطت في اثني عشر مكاناً، فلما دخلت فاطمة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قالت: يا رسول الله إنّ سلمان تعجّب من لباسي، فوالذي بعثك بالحق ما لي ولعليّ منذ خمس سنين إلّا مسك كبش تعلف عليها بالنهار بعيرنا فإذا كان الليل افترشناه، وإنّ مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف»[2].

وقد نُقل عن عليّ بن جذعان قال: «**خرج الحسن بن علي عليه السلام من ماله مرّتين وقاسم الله ماله ثلاث مرّات حتّى أنّه كان ليُعطي (الفقراء) نعلاً ويُمسك نعلاً ويُعطي خفّاً ويُمسك خفّاً**»[3].

ويقول سفيان الثوريّ: «**دخلت على جعفر بن محمد وعليه جبّة خزّ دكناء وكساء خزّ فجعلت أنظر إليه تعجّباً فقال لي: «يا ثوريّ، ما لك تنظر إلينا؟ لعلّك تعجب ممّا ترى؟ فقلت: يا ابن رسول الله ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك، فقال لي: يا ثوريّ، كان ذلك زمان إقتار وافتقار، وكانوا يعملون على قدر إقتاره وافتقاره، وهذا زمان قد أسبل كلّ شيء عزاليه ثمّ حسر ردن جبته، فإذا تحتها جبّة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل والردن عن الردن، فقال لي: يا ثوري لبسنا هذا لله تعالى، وهذا لكم، وما كان لله أخفيناه وما كان لكم أبديناه**»[4].

وتُبرز مثل هذه الوقائع أنّ الأئمة المعصومين في نفس الوقت الذي كانوا يُوفِّقون فيه

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 16، ص278.
(2) المصدر نفسه، ج 8، ص 303.
(3) المصدر نفسه، ج 43، ص 339.
(4) المصدر نفسه، ج 47، ص 221.

بين حياتهم وحياة مجتمعهم المعاصر لهم حتّى لا يُشار إليهم بالبنان لم يكونوا أبداً يتخلّون عن روحية الزهد والتواضع والخضوع لله عزّ وجل.

بعث المتوكّل العبّاسيّ عسكراً له فهجموا على [دار الإمام الجواد] ليلاً ودخلوا عليه بلا إذن فوجدوا عليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصا وهو متوجّه إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن، فحُمِل على حاله تلك إلى المتوكّل وقالوا له: «**لم نجد في بيته شيئاً**»[1].

ومع أنّ الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف سيظهر ويعتني بإقامة العدل والقضاء على الفساد والظلم والاضطهاد ويهتمّ بأوضاع الفقراء وحياتهم ويعيش الجميع في سكينة ويستفيدون من تلك الأجواء الروحية التي تسود العالم بنحو أن الناس في ذلك الزمان لا تجد فقيراً تدفع له الزكاة، ومع كل ذلك فإنّ ذلك الإمام عليه السلام الذي يقوم بكل ذلك لا يجمع لنفسه مالاً ولا يبني قصراً بل يبقى على حياة الزهد والبساطة. يروي أبو بصير عن الصادق عليه السلام يقول: قال لي يا أبا محمد كأنّي أرى نزول القائم في مسجد السهلة بأهله وعياله، قلت: يكون منزله؟ قال: نعم، هو منزل إدريس عليه السلام، وما بعث الله نبياً إلا وقد صلّى فيه»[2].

ويقول عليه السلام أيضاً: «**فوالله ما لباسه إلا الغليظ ولا طعامه إلا الجشب**»[3].

حُسنُ العشرة

1. القيادة وحسن العشرة:

لا مجال لقيام علاقة صادقة بين الناس دون حسن المعاشرة، فكيف بمن ألقيت عليه مسؤوليات جسام تبدأ بقيادة الناس، ولذلك قال النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أمرني ربّي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض**»[4].

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الصبر والصدق والحلم وحسن الخلق من أخلاق الأنبياء**»[5].

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 50، ص 211.
(2) المصدر نفسه، ص317
(3) المصدر نفسه، ص 354.
(4) الشيخ الكليني، الكافي، المصدر السابق، ج2، ص117.
(5) الديلمي، الحسن بن محمد، إرشاد القلوب، انتشارات الشريف الرضي، إيران - قم، 1415 - 1374ش، ط2، ج1، ص133.

واستمرّت أخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الحسنة كباقي الكمالات الأخرى في أهل بيته المعصومين وكان خُلُقُهم وعشرتهم الحسنة كأفضل ما كانت في نبيّ الإسلام العظيم، وهنا نتعرّض إلى جانب من الأبعاد الأخلاقية وحسن المعاشرة والعادات الجميلة التي امتازوا بها.

2. حسن العشرة مع الأسرة:

امتاز أهل البيت عليهم السلام بأفضل سلوك مع أسرهم وكانوا القدوة في ذلك، وأفراد أسرة كلّ واحد من المعصومين يعيشون إلى جانب بحرٍ من الرحمة وحسن الخلق والعواطف الصادقة والروح المعنوية العالية، وأما الجوّ العائليّ لأسرة المعصوم فمن جهة الصفاء والمودة متوادّون ومتراحمون فيما بينهم في جوٍّ من الإلفة وحسن العشرة والنقاء الخالص.

يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[1].

وهو كان طوال حياته يتعامل مع أسرته بكلّ احترام وبشاشة ويُنصفُهم ويتودّدُ إليهم، ولم يكن في يوم عالةً على غيره كما لم يعتمد على غيره في القيام بأعماله.

وقد خاطب فاطمة حين زوّجها من عليّ عليه السلام: «**يا بنيّة نعم الزوج زوجك لا تعصي له أمراً**» ثم خاطب علياً عليه السلام: «**ادْخُل بيتك وألطف بزوجتك وأرفق بها، فإنّ فاطمة بضعةٌ منّي يؤلمني ما يؤلمها، ويسرّني ما يسرّها**»، فيقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عزّ وجلّ إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنّي الهموم والأحزان**»[2].

3. حسن العشرة مع النّاس:

هم من النّاس وللنّاس ولأجل النّاس وحسن معاشرتهم مع أصدقائهم وأتباعهم مشهور لدى الجميع، فقد اشتُهر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة بـ«محمد الأمين» وكانت قريش تتحدّث عنه على أنّه رجل صادق وموثوق، وبعد البعثة - ومع أنّ المسلمين كانوا يأخذون من ماء وضوئه تبرّكاً به-، فقد كان يُسلّم على الجميع حتّى الأطفال والنساء، ويُصافح الفقير

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج 20، ص 171.
(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 43، ص 134.

والغنيّ، وكان دائماً بشوشاً ومبتسماً، ومعروفاً بعطفه، ويرأف بالمسلمين ويجلس في وسط أصحابه، ولا يقول لغواً ولا قبيحاً أبداً، ولا يُعيب أحداً ولا يغتابه ولا يطعن عليه ولا يُعاديه، ولا يمدّ رجليه بين يدي أحد قطّ، وكان يُقسّم لحظاته بين أصحابه بالسوية، ويمزح مع الرجل وما يريد بذلك إلّا إدخال السرور عليه، وإذا دخل عليه ضيف لم يحل حبوته حتّى يقوم جليسه، وكان أخفَّ الناس صلاة في تمام، وأقلَّ الناس خطبة وأقلَّهم هذراً، وكان يُعرف بالريح الطيب إذا أقبل.

وبقي خلق النبيّ وعاداته بين أهل البيت عليهم السلام باعتبارها «**سنّة**» ولم يكونوا يُفضّلون أيّ أخلاق أو آداب على أخلاق جدّهم وآدابه.

وقد دعا علي بن الحسين عليه السلام مملوكه مرّتين فلم يجبه، فلمّا أجابه في الثالثة قال له: «**يا بنيّ أما سمعت صوتي؟ قال: بلى: قال: فما لك لم تجبني؟ قال: أمنتك، قال الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني**»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّ زين العابدين عليه السلام كان يُسافر مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يخدمهم في ما يحتاجونه، ولكن ذات مرّة عرفه أحدهم وقال لهم:» أتدرون من هذا؟ هذا عليّ بن الحسين، فوثبوا عليه فقبّلوا يده ورجله... ما الذي دعاك إلى صُنع هذا؟ فقال: إنّي كنت سافرت مرّة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لا أستحقّ، فإنّي أخاف أن تعطوني مثل ذلك فصار كتمان أمري أحبّ إليَّ»[2].

وقالت سلمى مولاة أبي جعفر: «**كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتّى يطعمهم الطعام الطيّب ويكسوهم الثياب الحسنة ويهب لهم الدراهم فأقول له في ذلك ليقلّ منه، فيقول: يا سلمى ما حسنة الدنيا إلّا صلة الإخوان والمعارف. وكان لا يملّ من مجالسته إخوانه وقال: اعرف المودة لك في قلب أخيك بما له في قلبك، وكان لا يسمع من داره: يا سائل بورك فيك ولا: يا سائل خذ هذا، وكان يقول: سمّوهم بأحسن أسمائهم**»[3].

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 46، ص 56.
(2) المصدر نفسه، ص 69.
(3) المصدر نفسه، ص 291.

وينقل الشيخ الصدوق: «**سأل الصادق عليه السلام عن بعض أهل مجلسه فقيل: عليل، فقصده عائداً وجلس عند رأسه فوجده دنفاً فقال له: أحسن ظنّك بالله، قال: أمّا ظنّي بالله فحسن، ولكن غمّي لبناتي ما أمرضني غير غمّي بهنّ، قال الصادق عليه السلام: الذي ترجوه لتضعيف حسناتك ومحو سيئاتك فارجه لإصلاح حال بناتك**»[1].

ويقول حريز بن عبد الله: «**نزل على أبي عبد الله عليه السلام قوم من جهينة فأضافهم، فلمّا أراد الرحلة زوّدهم ووصلهم وأعطاهم، ثم قال لغلمانه: تنحّوا عنهم لا تعينوهم، فلمّا فرغوا جاؤوا ليودّعوه، فقالوا: يا بن رسول الله لقد أضفت فأحسنت الضيافة، ثم أمرت غلمانك أن لا يعينونا على الرحلة، فقال: إنّا أهل بيت لا نُعين أضيافنا على الرحلة من عندنا**»[2].

4. حسن العشرة مع الأعداء

يذكر لنا التاريخ الكثير من الشواهد في سيرة المعصومين عليهم السلام التي تبيّن بوضوح نموذج السلوك القدوة عندهم عليهم السلام.

روي أنّه «**دخل رجل شاميّ من أتباع بني أمية المدينة فلمّا رأى الإمام الحسن نال منه، والحسن لا يردّ، فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلّم عليه وضحك فقال: أيها الشيخ أظنّك غريباً، ولعلّك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجةٌ قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً، فلمّا سمع الرجل كلامه، بكى ثم قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ**»[3].

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 5، ص146.
(2) المصدر نفسه، ج72، ص452.
(3) المصدر نفسه، ج 43، ص 344.

وذكروا أنّ شخصاً قد نال من الإمام زين العابدين وشتمه فقال له الإمام عليه السلام: «**يا أخي إنّك كنت قد وقفت عليّ آنفاً وقلت وقلت فإن كنت قد قلت ما فيّ فأنا استغفر الله منه وإن كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك، فاستحى الرجل وقبّل ما بين عينيه وقال: بل قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحقّ به**»[1].

ونُقل أيضاً أنّ رجلاً نصرانياً قال للإمام الباقر عليه السلام :» أنت بقر؟ قال: لا أنا باقر، قال: أنت ابن الطباخة؟ قال: ذاك حرفتها قال: أنت ابن السوداء الزنجية البذية؟ قال: إن كنت صدقت غفر الله لها وإن كنت كذبت غفر الله لك، ولمّا رأى النصرانيّ هذه الأخلاق الكريمة من الإمام عليه السلام لم يستطع أمام عظمتها وعظمة الإمام إلا أن يعتذر منه ويُعلن إسلامه[2].

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 46، ص 55.
(2) المصدر نفسه، ص 289.

المفاهيم الرّئيسة

1. لم يكن المعصومون عليهم السلام بعيدين عن النّاس، بل كانوا أكثر القادة تماسًا مع النّاس بكلّ طبقاتهم وأعراقهم وحالاتهم، فلم يميّزوا فقيراً عن غنيّ ولا أسود عن أبيض إلّا بالتقوى وحبّ الله، وكان النّاس عندهم عيال الله، ولذلك نجد كيف أنّهم عاشوا مع النّاس بأفراحهم وأتراحهم، ووصموا حياتهم بكلّ ما هو خير للمجتمع الإنسانيّ، فكانوا القدوة على جميع الأصعدة الاجتماعيّة.
2. كان الأئمّة عليهم السلام دائماً يعيشون حياةً بسيطة وبلا تكلّف ويبتعدون عن كلّ مظاهر البذخ والتّرف وجمع المال والثّروة، ويأخذون من الدّنيا بمقدار حاجتهم، وكانوا يقتصرون على الحدّ الأدنى في تأمين حاجيّاتهم الضّرورية، وبنفس الوقت يعملون في التّجارة والاقتصاد وكسب الأموال من حِلّها ويُنفقونها في سبيل الله وهم مع ذلك يفرّون من حبّ الدّنيا وتعلّقاتها.
3. تأسّى أهل البيت عليهم السلام بذلك النبيّ الإلهيّ العظيم في الزّهد والورع والتّقوى ولم يُسجّل التّاريخ أيّ أثر لتعلّقهم بالدنيا أو أنّهم كفّوا عن العيش بتواضع وبساطة، وقد شهد الصّحابة بزهدهم الكامل، فقد تحدّث الإمام الباقر عليه السلام عن زُهد الإمام عليّ عليه السلام، وتحدّث عليّ بن جذعان عن زُهد الإمام الحسن عليه السلام، وكذلك سفيان الثوري الذي أشار إلى زُهد الإمام الصّادق عليه السلام وغير ذلك مما حدّث به الرّواة والعلماء.
4. إستمرّت أخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الحسنة كباقي الكمالات الأخرى في أهل بيته المعصومين، وكان خُلُقُهم وعشرتهم الحسنة كأفضل ما كانت في نبيّ الإسلام العظيم، وهنا نتعرّض إلى جانب من الأبعاد الأخلاقية وحسن المعاشرة والعادات الجميلة التي امتازوا بها.
5. كان من مظاهر حُسن العِشرة في سيرة المعصومين عليهم السلام: حُسن العِشرة في القيادة للأمّة، حُسن العِشرة مع النّاس، وفي داخل الأسرة، وحُسن العِشرة مع الأعداء.

الدرس الخامس والأربعون

الرأفة والرحمة في سيرة المعصومين عليهم السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يبيّن أبعاد المحبة والرأفة لدى المعصوم.
2. يُظهر كيف سلك المعصومون في حلّ مشاكل الناس.
3. يشرح مظاهر العلاقات الاجتماعية في سيرة المعصومين عليهم السلام.

مقدّمة

إنّ من أبرز المظاهر الاجتماعية التي تزرع الحبّ والوئام والسلام والأمان فيما بين الناس صفة الرأفة والعاطفة، وأن يكون هناك من يقدم على حلّ مشاكلهم الفردية والجماعية، مما يتيح للاستقرار أن يكون له مكان في المجتمع الإنسانيّ، وهذا ما عمد إليه المعصومون من خلال ما سوف نتحدث عنه في هذا الدرس.

الرأفة والمحبّة

1. أهميّة الرأفة:

الرأفة والمحبّة للآخرين من جملة الصفات الأخلاقية الحسنة والكمالات الإنسانية، وأهل بيت العصمة عليهم السلام في قمّة تلك الدرجات.

والرحمة والرأفة من الصفات المشتركة بين الله والإنسان. وينقل أمير المؤمنين عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الله عزّ وجلّ رحيم يُحبّ كلّ رحيم**»[1].

2. أبعاد المحبّة عند المعصوم:

يتحدّث القرآن الكريم حول المحبّة والرحمة اللتين يتّسم بهما النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

والنتيجة أنّ المعصومين هم القمة في الكمالات الإنسانية ورأفتهم ورحمتهم تزيدان عن غيرهم من البشر بل يفيض الحنان من جَنَبَاتهم، وهم بعيدون عن التعامل مع الآخرين بمصلحة وأخلاق نفعية.

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 71، ص 394.

(2) سورة التوبة، الآية 128.

يجهد المعصومون عليهم السلام لتعميق العلاقات القلبية والعاطفية مع أبناء الأمة، لكي يُوصلوهم إلى مدارج الكمال، ولذلك فهم يُهذّبونهم بأفضل وجه ممكن ليصلوا إلى السعادة الحقيقية، ولهذا فليس إظهار المحبة والعلاقة من قبل القادة الربانيين شكلياً ومن دون نتيجة تُذكر وبلا رؤية، بل هم مسؤولون وهادفون، ويبذلون قصارى جهودهم وتمام وجودهم ومن منطلق عطفهم وعقلهم لدفع الناس والأخذ بأيديهم نحو الكمال والسعادة، ويتحمّلون في سبيل ذلك شتّى أنواع المشاكل والصعوبات بل يُظهرون أبوّتهم وحنانهم في إصلاح هذه الأمة ويهتمّون بها اهتماماً شديداً. والآن سوف نعرج قليلًا للبحث في هذه المسألة من زوايا مختلفة:

أ. مع الأسرة:

نُقل أنّ رجلاً يُقال له الأقرع بن حابس تشرّف بلقاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُجلِس الحسنين على ركبتيه ويُقبّل الحسن مرّةً والحسين أُخرى فلفت ذلك نظر الأقرع فقال: إنّ لي عشرة ما قبّلت واحداً منهم قطّ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»[1].

وقد كان شعار نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم حول الأسرة هو مقولته المشهورة: «**أحسن الناس إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله وأنا ألطفكم بأهله**»[2].

ورووا أنّ الحسن والحسين عليهما السلام مرضا في صغرهما فنذر عليّ عليه السلام والزهراء عليها السلام إن شفى الله ولديهما أن يصوما ثلاثة أيام فقضى الله لهما حاجتهما فأصبحا صائمين[3].

يقول زرارة: «**مرض للإمام الباقر عليه السلام ابن، وهو جالس في ناحية فكان إذا دنا منه إنسان قال: لا تمسّه، فإنّه إنّما يزداد ضعفاً، وأضعف ما يكون في هذه الحال، ومن مسّه على هذه الحال أعان عليه**»[4].

ب.العطف على النّاس:

كما ذكرنا، فإن الزعامة الربّانية والمحبة والعطف توأمان لا ينفكّان، فمن المستحيل أن

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 43، ص 283.
(2) المصدر نفسه، ج 68، ص 387.
(3) المصدر نفسه، ج 35، ص 237.
(4) المصدر نفسه، ج 46، ص 302.

يكون أحدٌ ما مبعوثاً من قبل الله لهداية الناس ولا يكون رؤوفاً بهم، وهذه الخصوصية ظاهرة للعيان في المعصومين عليهم السلام، فهم يحبّون الأمة من أعماق قلوبهم، ولا يتوانون أبداً عن التضحية كما لا يبخلون بأي جهدٍ وعطاء في سبيل سعادة أبناء الأمة وازدهارهم.

وهم شركاء الناس في السرّاء والضرّاء والشدّة والرخاء والسلم والحرب وإقبال الدنيا وإدبارها.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تواصل مع أصحابه ويذكرهم ويعطف عليهم، وإذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيامٍ سأل عنه، فإنْ كان غائباً دعا له، وإنْ كان شاهداً زاره، وإنْ كان مريضاً عاده[1].

وروي عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «**رأيت أمّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتّى اتّضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتُسمّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنيّ! الجار ثمّ الدار**»[2].

ج. الرأفة والعطف على المستخدَمين والفقراء والأيتام:

باعتبار أنّ هاتين الشريحتين الاجتماعيتين منهكتان اقتصادياً أكثر من باقي الناس لذلك أولاهم الأئمة عليهم السلام محبةً وعطفاً أكثر من سواهم، فعن حبيب بن أبي ثابت قال: جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام عسل وتين من همدان وحلوان، فأمر العرفاء أن يأتوا باليتامى، فأمكنهم من رؤوس الأزقاق يلعقونها، وهو يقسمها للناس قدحاً قدحاً، فقيل له: يا أمير المؤمنين ما لهم يلعقونها؟ فقال: إنّ الإمام أبو اليتامى، وإنّما ألعقتهم هذا برعاية الآباء[3].

وفي رواية أنّ الإمام الصادق بعث غلاماً له في حاجةٍ، فأبطأ فخرج على أثره لمّا أبطأ فوجده نائماً فجلس عند رأسه يروّحه حتّى انتبه فلمّا انتبه قال له: «**يا فلان، والله ما ذلك لك، تنام الليل والنهار؟ لك الليل، ولنا منك النهار**»[4].

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج16، ص233.
(2) المصدر نفسه، ج 43، ص 81.
(3) المصدر نفسه، ج 41، ص 123.
(4) المصدر نفسه، ج 47، ص 56.

ورُوي عن نادر الخادم قال: كان أبو الحسن الرضا عليه السلام إذا أكل أحدنا لا يستخدمه حتّى يفرغ من طعامه[1].

3. ثقافة التفريج عن كرب المؤمن:

حلُّ المشاكل، هو تسهيل الأمور والأعمال المعقّدة والمُحكمة والصعبة، فحلّال المشاكل شخص يحلّ عُقداً من المصاعب الفكرية والعملية للناس، ويُساعد هؤلاء على الوصول إلى الأهداف الإنسانية والسعادة.

وتدخل قضية حلّ المشاكل الاجتماعية ونحوها تحت عنوان «**تفريج كرب المؤمن**»، كما كان محلّ توصية، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**من نفّس عن مؤمن كربة نفّس الله عنه كرب الآخرة وخرج من قبره وهو ثَلِجُ الفؤاد...**»[2].

وقد أكّدوا عليهم السلام على حلّ المشاكل الفردية إلى جانب الاهتمام بحلّ المشاكل الاجتماعية، وقلّما كان يحدث أن يطرق بابهم محتاج ويعود خالي الوفاض، بل كانوا يُقدمون على حلّ مشاكلهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: «**أشفقوا تؤجروا**»[3].

وقد قام الأئمة برفع مشاكل الناس الفردية ببعديها المعنويّ والماديّ، ونبيّن ذلك هنا باختصار:

أ. المعنوية:

يجب أن يكون الإمام متجاوباً مع كلّ حاجات المجتمع الروحية وإذا لم يكن بهذا النحو فينبغي الشكُّ في شرعية سلطته وولايته. والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام وصلوا في الأزمنة التي عاشوا فيها إلى أعلى مراتب الكمال ولم يحدث أن طلب منهم أحدٌ حلّاً لمشكلة فكرية وقالوا في جوابه «لا»، بل على العكس كانوا دائماً يدعون الناس للنهل من معين الوحي الصافي.

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 49، ص 102.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 199.
(3) ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، مصدر سابق، ج1، ص24.

وهم فضلاً عن إخمادهم لهيب العطش الروحيّ والفكريّ لأفراد المجتمع من خلال نهلهم من علوم أهل البيت عليهم السلام فقد قاموا بذكر حلول أُخرى لمشاكل فردية أُخرى من خلال اللجوء إلى الدعاء والصلاة وتعليمهم أذكاراً وأوراداً متعدّدة حيث حوت الكتب التاريخية والروائية الكثير من تلك الأدعية وغيرها.

ب.المادية:

يحفل التاريخ بنماذج كثيرة عن رجوع أفراد محتاجين ومحرومين في المجتمع الإسلاميّ إلى أهل بيت الرسالة والنبوة طالبين منهم المساعدة لاقتلاع الفقر والقضاء عليه.

نُقل أنّ رجلاً وقف على الحسن بن عليّ عليه السلام، فقال: يا ابن أمير المؤمنين بالذي أنعم عليك بهذه النعمة التي ما تليها منه بشفيع منك إليه، بل إنعاماً منه عليك، إلّا ما أنصفتني من خصمي فإنّه غشوم ظلوم، لا يوقّر الشيخ الكبير، ولا يرحم الطفل الصغير، وكان متكئاً فاستوى جالساً وقال له: من خصمك حتى أنتصف لك منه؟ فقال له: الفقر، فأطرق عليه السلام ساعة ثم رفع رأسه إلى خادمه وقال له: أحضر ما عندك من موجودٍ، فأحضر خمسة آلاف درهم فقال: ادفعها إليه، ثم قال له: بحقّ هذه الأقسام التي أقسمت بها عليَّ متى أتاك خصمُك جائراً إلّا ما أتيتني منه متظلّماً[1].

العلاقات الاجتماعية

1. الإسلام والسلوك الاجتماعيّ:

الإسلام دينٌ جامعٌ وشموليُّ الأبعاد، وقد نهى بشدّة عن الانزواء والفردية والانطواء الاجتماعيّ. وأولى المؤسّسات الاجتماعية أهمية خاصة، والهداة المعصومون هم المثل الأعلى في المظاهر الدينية بتمام معناها، وسلوكهم وعملهم هو مؤشّر على الأسس النظرية للإسلام.

والآن نُلقي نظرة على نماذج من تعاملات المعصومين البهية في دائرة السلوك الاجتماعيّ فنتعرّف على أجمل تلك النماذج ونتقيّد بها.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 43، ص 350.

2. الصدق والإخلاص في العلاقة:

يعتبر أهل البيت عليهم السلام جميع البشر عباداً لله وجديرين بالاحترام، ويرتبطون بشكل طبيعيّ مع الجميع. والأصل في هذه العلاقة هو أن يسودها الوئام والمحبة والهدف منها هو الأُلفة والتناغم الفكريّ والإحسان، كما كان أنبياء الله في علاقتهم مع الناس في دائرة تبليغ الرسالات، حيث كان كلامهم يدور حول الترغيب في العمل الصالح والهداية والتوحيد ولم يأتوا في كلامهم على ذكر أيّ نوع من الأطماع المادية: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في شأن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واصفاً إيّاه:

«طبيب دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عُمي وآذانٍ صُمٍّ وألسنةٍ بُكم»[2].

فالأخلاق الحسنة والعطف والمحبّة التي كان يمتاز بها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من خلال تمتين العلاقة مع الناس هي من أهمّ أسباب دخول كلامه في قلوب الناس وانتشار الإسلام على نحو سريع، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾[3].

3. ترسيخ الأواصر الاجتماعية:

اهتمّ الأئمة عليهم السلام بالعلاقات الاجتماعية الصحيحة اهتماماً كبيراً، وسعوا جاهدين لتعزيز تلك الأواصر ووضعوا ضوابط ومعايير لبعضها، وجعلوها في ضمن الحقوق الاجتماعية للمسلمين، وفيما يلي بعض الحقوق:

أ. الإسلام والتحيّة:

السلام والمصافحة من الآداب الإسلاميّة. ولقد عُرِّفت من قِبَل نبيّ الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله وسلم بأنّها مفتاح العلاقة وجواز العبور إليها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«مَنْ بَدَأَ بِالْكَلَامِ قَبْلَ السَّلَامِ فَلا تُجيبُوهُ»**[4].

---

(1) سورة الشعراء، الآية 109.
(2) نهج البلاغة، مصدر سابق، الخطبة 107.
(3) سورة آل عمران، الآية 159.
(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 73، ص 3.

يقول الباقر عليه السلام حول المصافحة: «**إنّ المؤمنَيْنِ إذا التقيا فتصافحا أقبل الله عزّ وجلّ عليهما بوجهه وتساقطت عنهما الذنوب كما يتساقط الورق من الشجر**»[1].

ب.الترحيب بالضيوف ومشايعتهم وتوديعهم:

الاستجابة لدعوة المؤمن هي أيضاً من آداب الإسلام الاجتماعية. وكان الأئمّة عليهم السلام يستحسنون القيام بهذه العادة الإلهية، فكانوا السبّاقين في هذا النطاق، وكانوا يدعون الناس أيضاً، كما علّموهم آداب الضيافة الحسنة قولاً وعملاً وجرت سيرتهم على ذلك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لمّا قدم عديّ بن حاتم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أدخله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بيته ولم يكن في البيت غير خصفة ووسادة من أدم فطرحها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعدي بن حاتم**»[2].

وكان كلّما حلّ ضيفٌ بداره جلس معه على الطعام ولا يرفع يده عن الطعام ما دام ضيفه مشغولاً بالطعام.

ج. عيادة المرضى:

من المعلوم أنّ المرض يجعل صاحبه في حالة من الضجر والضيق والاضطراب والانزعاج النفسيّ والجسميّ، وربما أخلّ بحياته، الأمر الذي يسبّب له المتاعب ويُضعف مقاومته للأمراض، وفي مثل هذه الحالة يحتاج المريض إلى تغيير الأجواء ومن يُخفّف همّه وغمّه ويقف إلى جانبه.

وعيادة المريض والعطف عليه من أهم القيم الأخلاقية الاجتماعية في الإسلام، فقد قالوا إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عاد سلمان الفارسي ولمّا أراد أن يقوم قال: «**يا سلمان كشف الله ضرّك وغفر ذنبك وحفظك في دينك وبدنك إلى منتهى أجلك**»[3].

د. إدخال السرور:

وسعوا عليهم السلام بكلّ جهودهم إلى أن يعملوا للقضاء على كلّ ما من شأنه أن يجلب

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 182.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص659.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 78، ص220.

الغمّ والحزن والبلاء وأن تحلَّ حياة ملؤها النشاط والعذوبة بدلاً من الخمول واليأس. وأحياناً كان أهل البيت عليهم السلام يقومون بهذه الخطوات بأنفسهم وتارةً كانوا سُعاةَ خير ووسطاء في تحقيق ذلك.

اشتكى رجلٌ لأبي عبد الله عليه السلام ما عليه من ديون وقال للإمام عليه السلام: «**إنّ في ديوان النجاشيّ عليَّ خراجاً لبلاد فارس وهو مؤمن يدين بطاعتك فإن رأيت أن تكتب لي إليه كتاباً قال: فكتب إليه أبو عبد الله عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم سرّ أخاك يسرّك الله**» قال: فلمّا ورد الكتاب عليه دخل عليه وهو في مجلسه فلمّا خلا ناوله الكتاب وقال: هذا كتاب أبي عبد الله عليه السلام فقبّله ووضعه على عينيه وقال له: «**ما حاجتك؟**» قال: خراج عليّ في ديوانك، فقال له: وكم هو؟ قال: عشرة آلاف درهم، فدعا كاتبه وأمره بأدائها عنه ثم أخرجه منها وأمر أن يثبتها له لقابل ثم قال له: سررتك؟ فقال: نعم جعلت فداك ثم أمر له بمركب وجارية وغلام وأمر له بتخت ثياب في كلّ ذلك يقول له: هل سررتك؟ فيقول: نعم جعلت فداك، فكلّما قال: نعم زاده حتّى فرغ ثمّ قال له: احمل فرش هذا البيت الذي كنت جالساً فيه حين دفعت إليّ كتاب مولاي الذي ناولتني فيه وارفع إليّ حوائجك قال: ففعل وخرج الرجل فصار إلى أبي عبد الله عليه السلام بعد ذلك فحدَّثه الرجل بالحديث على جهته فجعلَ يُسَرُّ بما فعل، فقال الرجل: يا ابن رسول الله، كأنّه قد سرّك ما فعل بي؟، فقال: إي والله لقد سرّ اللهَ ورسولَه»[1].

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 190.

المفاهيم الرئيسة

1. الرّأفة والمحبّة للآخرين من جملة الصّفات الأخلاقيّة الحسنة والكمالات الإنسانيّة، وأهل بيت العصمة عليهم السلام في قمّة تلك الدرجات، وسيرتهم خير شاهد على هذا الأمر.
2. يجهد المعصومون عليهم السلام لتعميق العلاقات القلبيّة والعاطفيّة مع أبناء الأمّة، لكي يُوصلوهم إلى مدارج الكمال، ولذلك فهم يُهذّبونهم بأفضل وجه ممكن ليصلوا إلى السعادة الحقيقية.
3. كان من مظاهر الرّأفة والمحبّة عند المعصومين عليهم السلام: الرّأفة والمحبّة داخل الأسرة، الرّأفة والمحبّة مع النّاس، الرّأفة والعطف على المستخدَمين والفقراء والأيتام.
4. إنّ من جملة الأمور الاجتماعيّة التي كان يقوم بها المعصومون عليهم السلام هي التّفريج عن المؤمنين، وقضاء حوائجهم، فقد سعَوا إلى تفريج كُرَب المؤمنين من النّاحية المعنويّة والماديّة.
5. إنّ الإسلام دينٌ جامعٌ وشموليُّ الأبعاد، وقد نهى بشدّة عن الانزواء والفرديّة والانطواء الاجتماعي. وقد أَولى المؤسّسات الاجتماعيّة أهميّة خاصة، والهُداة المعصومون هم المثل الأعلى في المظاهر الدينيّة بتمام معناها، وسلوكهم وعملهم هو مؤشّر على الأُسس النظريّة للإسلام، وكانت هذه العلاقات قائمة على الصّدق والإخلاص في العلاقة.
6. كان المعصومون عليهم السلام يعملون جاهدين على توطيد أواصر العلاقات الاجتماعيّة في الأمّة، وذلك من خلال: التحيّة والسّلام، التّرحيب بالضيوف ومشايعتهم وتوديعهم، عيادة المرضى، إدخال السّرور إلى قلب المؤمن.

الدرس السادس والأربعون

الصّبر والإيثار

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى منزلة الصّبر وعلاقته بالكمال الإنساني.
2. يشرح كيفية تحلّي الإنسان بفضيلة الصّبر ويتخلّص من الجزع.
3. يبيّن مكانة الإيثار وأهمّيته في تربية النّفس وتهذيبها.

معنى الصّبر

إنّ الحياة الدنيوية مليئة بالمشاكل والمصائب الّتي تستوعب حياة الإنسان في واقعه الفردي والاجتماعي، ولو أنّه تصدّى لهذه المشكلات وواجه هذه المخاطر والتحديات للواقع العملي، بصبرٍ ومقاومةٍ ومثابرة، فإنّه سوف يتجاوزها وينتصر عليها قطعاً، وإلاّ فإنّه لن يصل إلى مقصوده أبداً، وسيجد نفسه يعيش الخنوع والخضوع للتحدّيات الصعبة الّتي يفرضها عليه الواقع.

والمراد من الصّبر، هو الاستقامة والثبات أمام المشاكل والحوادث المختلفة، والصّفة المقابلة له هو «**الجزع**»، ويعني افتقاد عنصر المقاومة والاستسلام أمام تحدّيات الواقع والمشاكل الاجتماعيّة والنفسيّة في حركة الحياة على المستوى المادي والمعنوي، فلو أنّ الإنسان لم يقف أمام أهوائه الطاغية ونوازعه النفسيّة، ولم يقاوم الجوانب الدنيويّة، ولم يسلك في طريق «**معرفة الله**» واطاعته، فإنّه لن يصل إلى أيّ مرتبة من مراتب الكمال المعنوي والإنساني.

أقسام الصّبر

وقد ورد في الكثير من كتب الأخلاق وكلمات علماء الأخلاق أنّ الصبر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. الصّبر على الطاعة.
2. الصّبر على المعصية.
3. الصّبر على المصيبة.

والمراد من «**الصّبر على الطاعة**»، هو مقاومة المشكلات الّتي تعترض طريق الطّاعة لله تعالى، وامتثال أوامره من قبيل أداء الصلاه والصوم والحجّ والجهاد ودفع الحقوق المالية مثل الخمس والزكاة، وكذلك الصّبر والاستقامة مقابل المشكلات الّتي تقع في طريق طاعة الأوامر الاستحبابية، والّتي تستوعب دائرة عريضة. والمقصود من «**الصّبر على المعصية**»، هو الوقوف أمام الأهواء والدوافع النّفسية والنّوازع الدّنيوية التي تستَعرُ في قلب الإنسان وباطنه، وقد تستَعرُ نيرانها إلى درجة أن تتحوّل إلى إعصارٍ يدمّر جميع عناصر الخير في الإنسان، ويُتلف ما لديه من الإيمان والتّقوى والطهارة والصّدق والصّفاء، وأمثال ذلك.

والمقصود من الصّبر على المصيبة، هو أن يتحلّى الإنسان بالصّبر في حياته مقابل الحوادث المؤلمة من قبيل فقد الأحبّة، الخسارة المالية الكبيرة، وقوع شخصيّته وسمعته الاجتماعية في الخطر، وقوع الإنسان في مخالب المرض العسير والمؤلم، والابتلاء برفاق السوء؛ أو الشريك الخائن؛ أو الحكومة الظالمة؛ وأحياناً الزوج والزوجة الفاسدة، وأمثال ذلك.

وقد أورد علماء الأخلاق هذا التقسيم للصّبر اقتباساً من الروايات الشريفة كما ورد في الحديث الشريف النبوي أنّ رسول الله ﷺ قال: «**الصَّبْرُ ثَلاثَةٌ، صَبْرٌ عَلَى الْمُصيبَةِ وَصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ وَصَبْرٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى المُصيبَةِ حَتَّى يَرُدَّهَا بِحُسْنِ عَزائِهَا، كَتَبَ اللهُ لَهُ ثَلاثَ مِائة دَرَجَة مَا بَينَ الدَّرَجَةِ اِلَى الدَّرَجَةِ كَما بَينَ السَّمَاءِ اِلَى الاَرضِ، وَمَنْ صَبَرَ عَلَى الطَّاعَةِ كَتَبَ اللهُ لَهُ سِتَّ مائةِ دَرَجَة، مَا بَينَ الدَّرَجَةِ اِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَينَ تُخُومُ الأرضِ اِلَى الْعَرْشِ وَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَعْصيةِ كَتَبَ اللهُ لَهُ تِسْعَ مِائةِ دَرَجَة مَا بَينَ الدَّرَجَةِ اِلى الدَّرَجَةِ كَمَا بَينَ تُخُومِ الاَرْضِ اِلَى مُنْتَهَى الْعَرْشِ**»[1].

ويُستفاد من عبارات هذا الحديث الشريف، أنّ الصّبر على المعصية أهمّ من الجميع، ثمّ الصّبر على الطاعة، ثمّ الصّبر على المصيبة، الّذي يأتي في المرتبة الثالثة من حيث الأهميّة والثواب.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج68، ص77.

منزلة الصّبر في القرآن الكريم

يُعتبر «**الصّبر**» من أهم أركان الإيمان. وقد لا نجد مورداً اهتمّ فيه القرآن من موقع التّأكيد والمدح، مثل ما نجد ذلك بالنسبة إلى الصّبر، فقد وردت سبعون آية تقريباً في هذا الموضوع، عشرةٌ منها مختصّة بتوصيات القرآن للنبي الأكرم ﷺ نفسه.ونقرأ في آيات القرآن أنّ الله تعالى وعد الصّابرين أجراً عظيماً وبدون حساب ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾[1].

هذه الآية الشريفة تدلّ من جهة على أنّ الإنسان يجب عليه أن يستعين بقوّة الصّبر والاستقامة، في مقابل الصّعوبات الّتي يفرضها الواقع، وتفرضها عليه عملية الصّراع مع الظالمين والجبابرة، لأنّه بدون ذلك لا يوجد منفذ أمام الإنسان، سوى الاستسلام للظالمين وقوى الإنحراف والخضوع لهم. ومن جهة أُخرى، فإنّها تشير إلى ثواب الصابرين عند الله وأنّه لا يقبل العدّ والحساب.

عبارة (بغير حساب)، تشير إلى أنّ الله تعالى سوف يجازي هؤلاء الصّابرين بالثواب العظيم، إلى درجة أنّ أحداً لا يقدر على عدّه وإحصائه إلاّ الله تعالى، ولهذا نقرأ في الحديث الشريف عن رسول الله أنّه قال: «**إذا نُشرت الدواوين؛ ونُصبت الموازين، لم ينصب لأهل البلاء ميزان ولم ينشر لهم ديوان، ثمّ تلا هذه الآية:** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾».

وهذه العبارة «**بغير حساب**»، وردت في آيات متعدّدة، أغلبها يتعلّق بالرّزق الدّنيوي الكثير، الّذي يهبه الله تعالى لبعض الناس، ولكن فقط في هذه الآية(40) من سورة المؤمن، فإنها تتحدّث عن الثّواب الإلهي للمؤمن والصّابر يوم القيامة، ومن المعلوم انه إذا كان الرّزق الدّنيوي بدون حساب، فإنّ ذلك لا يعني أنّه يتناسب مع كميّة العمل أو كيفيّته، بل يتناسب مع لطف الله تعالى وعنايته لعبده، وبالتّالي تكون ثمرته سامية جداً في مقام القُرب الإلهي والكمال المعنوي.

---

(1) سورة الزمر، الآية 10.

الآية الثانية وهي من الآيات المعروفة في مسألة الصّبر، وهي تثير في أجواء الصابرين البشارة بالثواب الإلهي الجزيل وتقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[1].

وبالرّغم من أنّ هذه الآيات تشير إلى غصن واحد من أغصان شجرة الصّبر، وهو الصّبر على المصائب والمشكلات، ولكن تتّضح أهميّة ذلك من خلال ما يترتّب على هذا اللّون من الصّبر، من صلوات الله ورحمته على هؤلاء الصّابرين، وأنّهم يسيرون في خطّ الهداية والاستقامة والتوجّه إلى الله تعالى، من خلال حالة الاستقامة والصّبر أمام البلايا والمصائب.

فنظراً إلى أنّ الامتحان الإلهي للإنسان في هذا العالم الدنيوي يُعدُّ من السّنن الحتميّة في عالم التّكوين، وأنّ العبور من هذا النفق والوادي العسير لا يتسنّى إلا بالاستعانة بالصبر، وحينئذ يتضح دور الصّبر والاستقامة في حركة الحياة الدنيويّة والنتائج المترتّبة على ذلك، فما أعظم أن يجد الإنسان نفسه مشمولاً بالعناية الإلهية في مقابل الصّبر وهي الصّلوات؛ والتّحيات الإلهية من النوع الّذي يصلّي فيه الله تعالى على نبيّه الكريم، ثمّ شمول رحمته الواسعة لهذا الإنسان ودخوله في دائرة اللّطف الإلهي، والأهمّ من ذلك أنّ الهداية الإلهيّة ستكون من نصيب هؤلاء، والّتي هي مصدر جميع النّعم والمواهب وأشكال السّعادة الدنيويّة والأُخرويّة.

آية أخرى في القرآن الكريم تتحدّث عن الصّبر، وهي تخاطب جميع المؤمنين بتعبير جديد، وتتحرّك ضمن توصيتهم بأن يلتزموا الصّبر، ويستعينوا بالاستقامة والتحمّل في مقابل تحدّيات الواقع الصّعبة والمشكلات المفروضة عليهم وتقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]. وهذه الآية لها مفهومٌ واسع بحيث تشمل كلّ أشكال الصّبر والاستقامة، سواءً الصّبر على الطّاعة؛ أو الصّبر على المعصية؛ أو الصّبر على المصيبة، فتوجب على الإنسان أن يستعين بكلّ عمل مهمّ بالصّبر، سواءً كان ذلك العمل

(1) سورة البقرة، الآيات 155 - 157.
(2) سورة البقرة، الآية 153.

هو الجهاد في سبيل الله أو غير ذلك، فلابدّ من الاستعانة بأحد أقسام الصّبر، بما يتناسب مع المشكلة الّتي تواجه الإنسان.

علاج الجزع وقلّة الصّبر

إنّ طبيعة الحياة الدنيا تقترن بالموانع والمشكلات والبلايا،والإنسان بدون الاستعانة بالصّبر والاستقامة، لا يتمكّن من سلوك طريق الكمال والسعادة، وكذلك لا يتمكّن من الصّمود أمام مِحَن الحياة ومصائبها، وبالتّالي الوقوع في آفة خطيرة جداً هي الجزع، الذي يُعتبر على طرفٍ نقيضٍ من الصّبر. وهذا المرض النفسي والأخلاقي مثل بقيّة الأمراض الأُخرى، له طرق للعلاج ونشير إليها فيما يلي:

1. **تشخيص المرض:**

وهي المرحلة الأولى والأساسية، لأن العلاج متوقّف على اكتشاف المشلكة، فإذا شخّصنا المشكلة سهُل علينا معالجتها لاحقاً. والجزع من الأمراض الأخلاقية الخطيرة، التي يمكن أن تذهب بالثّمار الطّيبة للصّبر، وتجعلها في مهبّ الريح.

2. **التفكير بالعواقب السّلبية للجزع وقلّة الصبر:**

إن التفكير بعواقب الجزع الوخيمة والآثار السلبيّة لقلّة الصّبر، له دورٌ مهم في علاج هذا المرض الرّوحي، وقلّما يسمع الإنسان بعواقب هذا المرض الوخيم، ولا ينزجر لهذه الحالة ويتصدّى لرفعها من نفسه وإزالتها من أخلاقه. إنّ الجزع يُذهب بأجر الإنسان وثوابه عند الله تعالى، من دون أن يَحُلّ له أيّة مشكلة؛ فضلاً عن أنّه يُتلف أعصابه وقواه النفسية؛ ويسلُب منه سلامته البدنيّة والروحيّة، والأسوأ من ذلك أنّه يوصد أمامه أبواب حلّ المشكلة، لأن الإنسان إذا احتفظ ببرودة أعصابه عند بروز المشكلات والمصائب، وتسلّط على نفسه، فإنّ ذلك من شأنه أن يفتح أمام عقله أبواب الحلّ لتلك المشكلة، أو على الأقلّ يقلّل من شدّة المصيبة. ولكنَّ الإنسان وبسبب حالة الجزع والاضطراب؛ وعدم التسلّط على الأعصاب، وبالتّالي عدم تمركز الفكر، فإنه لا يجد أمامه نافذةً مفتوحةً للأمل والحلّ، بل حتّى لو فُتحت له الأبواب والنوافذ ليرى حلاًّ لهذه المشكلة، فإنّه وبسبب

ما يعيشه من حالة الاضطراب والتّوتر لا يَرى هذه الأبواب والنوافذ، بخلاف ما إذا هدأ لحظةً، وضبط نفسه لفترةٍ وجيزةٍ؛ ونظر إلى ما حوله، فسيجد طريق النجاة والحلّ أمامه يسيراً.إنّ النّظر الدّقيق إلى هذه الحقائق والتدبُّر فيها له تأثيرٌ مهم في تغيّر حالة الجزع لدى الإنسان، وبالتالي مع تكرارها سينطوي الشّخص تحت لواء الصّابرين.

3. مطالعة الآيات والرّوايات الواردة في هذا الباب:

إن مطالعة الآيات والرّوايات الشريفة الّتي تتحدّث عن أجر الصّابرين وثوابهم ومقامهم عند الله له دورٌ مهمّ في تقوية عناصر الصّبر والاستقامة في روح الإنسان، ومن ذلك ما ورد في الآية الشريفة الّتي تبشّر الصّابرين بأعظم بشارة وتقول: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[1].

وعبارة (أُولئك هم المُهتدون)، تتضمَّن معنىً عميقاً ولها تفاسير مختلفة، وأحدها هو ما ذُكر آنفاً من أنّ الصّابرين سيجدون حلًّا لمشكلاتهم أسرع من الآخرين، وتُفتح أمامهم أبواب النّجاة والخلاص من الأزمات والبلايا، لأنّ أحد العوامل الأصليّة للجزع هو «**ضعف النفس**»، فكلّما سعى الإنسان في تقوية معنوياته وتكريس عناصر الشّدّ والقوّة في نفسه، فإنّ ذلك من شأنه أن يمنحه التوفيق لإزالة عناصر الجزع وقلّة الصّبر من نفسه.

4. مطالعة حالات الأنبياء والأولياء:

أحد الطّرق المهمّة لعلاج حالة الجزع هي مطالعة حالات الأنبياء والأولياء في دائرة صبرهم واستقامتهم أمام المصائب والبلايا الكثيرة، وما كانوا يتحمّلونه من أعدائهم وأقوامهم، وإنّ تذكُّر هذه الحالات ومطالعتها يُلهم الإنسان القوّة في الصمود، أمام حجم التّحديات المفروضة عليه من الواقع الخارجي والداخلي.

5. تلقين الاعتماد على النفس في تحمّل الصعاب:

ولا ينبغي أن ننسى هذه الحقيقة، وهي أنّ التّلقين سواءً كان من طرف الشّخص

(1) سورة البقرة، الآية 155.

نفسه، أو من قِبَل الآخرين، فإنّه يشكّل عاملاً مؤثّراً في إزالة الأخلاق السّيئة والصّفات الذّميمة من واقع النّفس، فلو أنّ الشّخص الذي يعيش قلّة الصّبر والجزع يلقّن نفسه كلّ يوم بضرورة أن يتحلّى بالصّبر، وكذلك يسعى ممّن حوله من أفراد الأُسرة أو الأصدقاء في تعميق هذا التّلقين لديه ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[1]، فلا شكّ في ظهور آثار الصّبر على سلوكيّاته وحالته النّفسية.

ما هي حقيقة الإيثار؟

الإيثار هو من أرفع درجات الجود والكرم، ولا يتحلّى بهذه الصّفة إلا الذين بلغوا قمّة السّخاء، فجادوا بالعطاء وهم بأمسِّ الحاجة إليه، وآثروا النّوال وهم في ضنك العيش، لذا عُدّت من أهم صفات الأبرار وشِيَم الأخيار، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الإيثار سجيّة الأبرار وشيمة الأخيار**»[2]. والإيثار هو أن يجود الإنسان بالمال؛ أو النَّفس؛ أو الرّاحة؛ أو ما إلى ذلك من النّعم مع الحاجة إليها، وتفضيل الإنسان الآخرين على نفسه، وتقديم حاجتهم على حاجته، بخلاف السّخاء الذي هو عبارة عن بذل الإنسان وجوده بما لا يحتاج إليه، لذا كان الإيثار من أرفع درجات السّخاء. كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**الإيثار أعلى مراتب الكرم، وأفضل الشّيم**»[3].

فالإيثار الذي هو من درجات الكرم، ومعنىً من معاني الشّرف والمروءة، هو فضيلة عاليةٌ لا يحوزها إلّا كلّ ذي هِمّة عالية وإرادةٍ مُستديمة، لأنّ المؤثّر إنّما يتخلّى في لحظِ إيثاره عن شيءٍ غالٍ لديه، مالاً كان أو نفساً أو مقاماً أو أيِّ شيءٍ، بهدف تحصيل مكرمةً ما، أو دفع سوءٍ عن فردٍ أو أمّةٍ بكاملها. لذلك، فإنّ هذا العمل الذي يطوي بداخله عدداً من المعاني والصِّفات الشّريفة، لا بدَّ من الإطّلاع عليه في هذه الوريقات المعدودة.

(1) سورة العصر، الآية 3.
(2) غرر الحكم، مصدر سابق، ص128.
(3) المصدر نفسه، ص76.

فضيلة الإيثار

أثنى الله تعالى كثيراً في كتابه الكريم على الذين يؤثرون على أنفسهم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**من آثر على نفسه آثره يوم القيامة بالجنة**»[2].

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**إن لله عزَّ وجلَّ جنّة لا يدخلها إلا ثلاثة، رجل حكم على نفسه بالحقِّ، ورجل زار أَخاه المؤمن في الله، ورجل آثر أَخاه المؤمن في الله**»[3].

وعن الصادقِ عليه السلام أَنه سُئل ما أَدنى حق المؤمن على أَخيه فقال: «**أَن لا يستأثر عليه بما هو أَحوج إليه منه**»[4].

الإيثار وتربية النفس

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**الإيثارُ أفضلُ عبادةٍ وأجلُّ سيادةٍ**»[5]، وقال عليه السلام أيضاً: «**الإيثار أحسنُ الإحسانِ و أعلى مراتبِ الإيمان**»[6].

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**عند الإيثارِ على النَّفس تتبيّن جواهر الكرماء**»[7].

فالإيثار يكشف باطن الإنسان وتعرفه حقيقة نفسه، لأنّه ليس من السّهل أن يُقدِّم الإنسان حاجة أخيه على نفسه، إلّا إذا تجاوز عقبةَ حبّ الذّات والدّنيا الغرورة، وآثرَ عليهما الله والدار الآخرة. فالإيثار هو من أهمِّ العوامل التي تساعد على ارتقاء النَّفس وصفائها وبلوغها الدّرجات العليا، لأنّها تجرّد النَّفس من التعلّقات الدّنيوية والرّغبات والأهـواء النّفسية التي لا تزيد الإنسان عن الله سبحانه وتعالى إلا بُعداً واحتجاباً.

---

(1) سورة الحشر، الآية 9.
(2) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج7، ص249.
(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق،ج2، ص178.
(4) الميرزا النوري، مستدر الوسائل، مصدر سابق، ج7، ص212.
(5) غرر الحكم، مصدر سابق،9161.
(6) المصدر نفسه، 9162.
(7) المصدر نفسه،9170.

فالمطلوب من الإنسان في سيره إلى الله أن يتخفّف من أوزان وأثقال هذه الدنيا الفانية، ليلحق بالصالحين الأبرار كما قال مولى الموحّدين علي عليه السلام: «**تخفّفوا تلحقوا**»[1].

والتحلّي بصفة الإيثار يحتاج في البداية إلى ترويض ومجاهدة، حتى تصبح هذه الصّفة ملكةً راسخةً في النَّفس. لذا، في البداية يتكلّف الإنسان الإيثار ويجبر نفسه عليه، لأنَّ حبَّ النَّفس ومصالحها ما زال موجوداً. ومن هنا، يعتبر الإيثار من أنواع جهاد النَّفس أيضاً وثوابه عظيم عند الله تعالى، إلى أن تُطوّع النَّفس بشكل كامل بفعل المداومة على أعمال البرّ والإحسان، فيصبح الإيثار عن طوعٍ ورضاً ورغبةٍ نفسيَّةٍ، بعد عن أن كان عن كُرهٍ وانزعاج.

(1) غرر الحكم، مصدر سابق،2622.

المفاهيم الرّئيسة

1. الصّبر، هو الاستقامة والثّبات أمام المشاكل والحوادث المختلفة، والصّفة المقابلة له هو «الجزع»، ويعني افتقاد عنصر المقاومة، والاستسلام أمام تحدّيات الواقع والمشاكل الاجتماعيّة والنفسيّة، في حركة الحياة على المستوى الماديّ والمعنويّ.
2. ينقسم الصّبر إلى ثلاثة أقسام، وهي: الصّبر على الطّاعة، الصّبر على المعصية، والصّبر على المصيبة.
3. اهتمّ القرآن الكريم بالصّبر، فقد وردت سبعون آية تقريباً في هذا الموضوع، عشرةٌ منها مختصّة بتوصيات القرآن للنّبي الأكرم ﷺ نفسه.
4. إنّ الامتحان الإلهيّ للإنسان في هذا العالم الدنيويّ يُعدُّ من السّنن الحتميّة في عالم التّكوين، ولا يُمكن أن يقطع هذا الامتحان إلا بالاستعانة بالصّبر، وحينئذ يتّضح دور الصّبر والاستقامة في حركة الحياة الدنيويّة والنتائج المترتّبة على ذلك.
5. يمكن للإنسان أن يعالج الجزع وقلّة الصّبر من خلال: أ ـ تشخيص المرض. ب ـ التّفكير بالعواقب السّلبيّة للجزع وقلّة الصّبر. ت ـ مطالعة الآيات والرّوايات الواردة حول الصّبر. ث ـ مطالعة حالات الأنبياء والأولياء وسيرهم. ج ـ تلقين الاعتماد على النّفس في تحمّل الصّعاب.
6. الإيثار هو أن يجود الإنسان بالمال، أو النَّفس، أو الرّاحة، أو ما إلى ذلك من النّعم مع الحاجة إليها؛ وتفضيل الإنسان الآخرين على نفسه، وتقديم حاجتهم على حاجته.
7. الفرق بين الإيثار والسّخاء الذي هو عبارة عن بذل الإنسان وجوده بما لا يحتاج إليه، لذا كان الإيثار من أرفع درجات السّخاء.
8. أكّدت الآيات القرآنيّة والرّوايات الشّريفة على أهميّة الإيثار، وضرورة تجسّده في حياة الإنسان المؤمن، وبيّنت ما له من الفضل العظيم والجزيل على الإنسان والمجتمع.
9. يعدُّ الإيثار أهمّ العوامل التي تساعد على ارتقاء النَّفس وصفائها وبلوغها الدّرجات العليا، لأنّه يُجرّد النَّفس من التعلّقات الدّنيوية والرّغبات والأهواء النّفسية التي لا تزيد الإنسان عن الله سبحانه وتعالى إلا بُعداً واحتجاباً.

الدرس السابع والأربعون

الأمانة وكتمان السّرّ

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعرف أهميّة وفضيلة الأمانة في الحياة.

2 . يحدّد أنواع وأنماط الأمانة ومجالاتها.

3 . يدرك أهمية الأمانة الماليَّة وكتمان السِّرِّ في الإسلام.

فضيلة الأمانة

تُعتبر الأمانة من أهمّ الفضائل الأخلاقيّة والقيم الإسلاميّة والإنسانيّة، وقد حثَّ عليها الإسلام. كما أولى علماء الأخلاق والسّالكون إلى الله تعالى هذه الفضيلة أهميّة كبيرة على مستوى بناء الذّات والشخصيّة. وعلى العكس من ذلك هي «**الخيانة**»، التي تُعتبر من الذُّنوب الكبيرة والرّذائل الأخلاقيّة في واقع الإنسان وسلوكه الاجتماعيّ.

فالأمانة رأس مال المجتمع الإنساني والسبّب في شدّ أواصر المجتمع وتقوية الرّوابط بين النّاس، في حين أنّ الخيانة بمثابة النّار المُحرقة الّتي تُحرق العلاقات الاجتماعيّة وتؤدّي إلى الفوضى والشَّقاء.

الأمانة في القرآن والسّنَّة

ورد لفظ الأمانة والأمر بها بشكلٍ صريح في القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى، في مُحكم كتابه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[1].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾[2].

﴿فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[3].

---

(1) سورة النساء، الآية 58.

(2) سورة المؤمنون، الآية 8.

(3) سورة البقرة، الآية 283.

أمّا في السُّنّة الشّريفة، فلم يكن التّأكيد عليها أقلّ شأنا ولا أنقص، حيث ورد من الأحاديث الشّريفة عن النّبيّ الأكرم ﷺ، والأئمّة المعصومين عليهم السّلام، ما يحكي عن الأهميّة البالغة لهذه المسألة، حيث وردت الأمانة تارةً بعنوان أنّها من الأُصول والمبادئ الأساسيّة المشتركة بين جميع الأديان السّماوية، وتارةً أخرى بعنوان أنّها علامة للإيمان، وثالثةً بعنوان أنّها سبب نيل الرِّزق؛ والثَّروة؛ والثِّقة؛ والاعتماد لدى النَّاس؛ وسلامة الدِّين والدُّنيا؛ والغنى وعدم الفقر وأمثال ذلك. وفيما يلي نختار من هذه الرِّوايات الشَّريفة ما يتضمّن هذه المعاني والمفاهيم العميقة، عن النبيّ الأكرم ﷺ أنّه قال: «**لا إيمانَ لِمَنْ لا أَمانَةَ لَهُ**»[1]. وفي حديث مختصر وعظيم المعنى عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الله عَزَّ وَجَلَّ لَم يَبعَثْ نَبيّاً إلاّ بِصِدقِ الحِديثِ وَأَداءِ الأَمانَةِ إلىَ البِرِّ وَالفاجِرِ**»[2].

وورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**أُقسم لسمعت رسول الله ﷺ يقول لي قبل وفاته بساعة مراراً ثلاثاً: يا أبا الحسن، أدِّ الأمانة إلى البرّ والفاجر في ما قلّ وجلَّ حتّى في الخيط والمخيطِ**»[3].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال: «**عليكم بأداء الأمانة، فوالّذي بعث محمّداً ﷺ بالحقّ نبيّاً، لو أنّ قاتل أبي الحسين بن عليّ عليه السلام ائتمنني على السَّيف الّذي قتله به لأدّيته إليه**»[4].

وعن لقمان الحكيم قائلاً لابنه: «**... كُن أميناً، فإنّ الله تعالى لا يحبّ الخائنين**»[5].

إلى غير ذلك، الكثير من الرِّوايات الشَّريفة الّتي تمدح الأمانة وتذمّ الخيانة.

الأمانة وأنواعها

عند الحديث عن الأمانة، فإنّ أغلب النّاس يتبادر إلى أذهانهم الأمانة في الأمور الماليّة.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج69، ص198.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص104.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 74، ص 273.
(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 72، ص 114.
(5) التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق وتصحيح السيد مهدي رجائي، نشر دار الكتاب الإسلامي، إيران - قم، 1410هـ، ط2، ص 223، الحديث (الحكمة) 7415.

إلّا أنّ الأمانة بمفهومها الواسع تستوعب جميع المواهب الإلهيّة والنِّعم الرّبّانيّة على الإنسان.

إنّ جميع النّعم المادّيّة والمواهب المعنويّة الإلهيّة على الإنسان في بدنه ونفسه، هي في الحقيقة أمانات إلهيّة بيد الإنسان.

1. **الأموال:** الأموال والثّروات المادّيّة؛ والمقامات؛ والمناصب الاجتماعيّة والسياسيّة؛ هي أمانات بيد النّاس، ويجب عليهم مراعاتها وحفظها وأداء المسؤوليّة تجاهها.
2. **الأبناء:** الأولاد أمانةٌ أيضاً بِيَد الوالدين، والطلّاب أمانة بِيَد المعلِّمين، والكائنات الطّبيعيّة أمانة بِيَد الإنسان لا ينبغي التّفريط فيها.
3. **التّكليف الشّرعي:** قد أطلقت الآيات القرآنيّة الأمانة على التّكاليف الإلهيّة، يقول تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

فالمقصود من الأمانة الإلهيّة هي المسؤوليّة والتّكليف المُلقَى على عاتق الإنسان، حيث لا يتيسّر ذلك إلّا بوجود العقل والحريّة والإرادة.

4. **الصّلاة:** وكذلك الرِّوايات أطلقت الأمانة على الصّلاة، فقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام عندما سُئل عن سبب تغيُّر حاله وقت الصّلاة، قال: «**جاء وقت الصّلاة، وقت أمانة عرضها الله على السّموات والأرض فأبَين أن يحملنها وأشفقن منها**»[2].
5. **عمل الإنسان:** عن أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً للأشعث بن قيس: «**وإنّ عملك ليس لك بطعمة ولكنّه في عنقك أمانة**»[3].
6. **الأسرار:** في الحديث النّبوي: «**المجالس بالأمانات**»[4]، لأنّ في المجالس أسراراً وخصوصيّات لا ينبغي إفشاؤها.

---

(1) سورة الأحزاب، الآية 72.

(2) الشيخ الحويزي، تفسير نور الثقلين، تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، إيران - قم، 1412هـ - 1370ش، ط4، ج4، ص 313.

(3) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 366.

(4) الشيخ الطبرسّي، الاحتجاج، مصدر سابق، ج 2، ص 75.

كتمان السِّرِّ أمانة

كتمانُ السِّرِّ هو عدم البَوْح والإذاعة به، لما لذلك من خطر وضرر على الفرد؛ أو الجماعة؛ أو الجهة. ومن النّاحية الشّرعية، فإنّ كلّ ما يؤدِّي إفشاؤه وإذاعته إلى ضرر على الفرد؛ أو المجتمع، فإفشاؤه من المحرَّمات وكتمانه من الواجبات.

بل إن إفشاء الأسرار العسكريّة والأمنيّة هو من الكبائر، لما فيه من مخاطر قد تؤدِّي إلى قتل النُّفوس وإباحة الممتلكات، ناهيك عن الهزيمة لجيوش المسلمين وسقوط دولتهم. وبهذا اللّحاظ وردت الأدلَّة الشرعيّة التي تربّي الفرد والجماعة على الكتمان.

قال الإمام عليّ عليه السلام: «**سِرُّك أسيرك فإن أفشيته صُرت أسيره**»[1]، وقال عليه السلام: «**كاتم السرِّ وفيٌّ أمين**»[2]. وقال عليه السلام: «**ملاك السِّرِّ سَتْره**»[3].

إنَّ كتمان الأسرار العسكريّة والأمنيّة هي من الأخلاق العمليّة، التي ينبغي أن تتملَّك شخصيّة المجاهدين، لموقعهم الحسَّاس والخطر، والخطأ الّذي يرتكب هو الأوَّل والأخير، والنَّتيجة ستكون في غاية الخطورة عندئذٍ ومن ورائها خسائر كبرى لا تُعوَّض، من قتلٍ وأسرٍ واحتلال مواقع. وقد تؤدِّي الأمور إلى هزيمة الجيش بكامله، كما حدث في معركة أُحد. إنَّ المجاهد أمام مسؤوليَّة كبرى وبين يديه أمانةُ إخوانه المقاتلين، وأمانة الأمة التي سلَّمته ظهرها ليحرسها ويحفظ حدودها. إنّ أيَّ إذاعة للسّرّ تُرتكب ولو من دون قصدٍ، تُعتبر خيانة كما في الحديث عن الإمام عليّ عليه السلام: «**الإذاعة خيانة**»[4].

ولا يمكن أن يجتمع جهاد في سبيل الله وخيانة، وهو أشبه باجتماع النَّقيضين، فإنّ المجاهد يبذل دمه في سبيل الوطن والأمّة، والإذاعة للأسرار العسكريّة هو إباحة الوطن والأمة للأعداء، ومن هنا غلَّظ الإمام عليّ عليه السلام الوصف بقوله: «**من أقبح الغدر إذاعة السِّرّ**»[5].

---

(1) غرر الحكم، مصدر سابق، ص 403.

(2) غرر الحكم، مصدر سابق، ص539.

(3) التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق وتصحيح مصطفى درايتي، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران - قم، 1407هـ، ط1، ص 320.

(4) الليثي الواسطي، الشيخ كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، إيران - قم، 1418هـ، ط1، ص 37.

(5) غرر الحكم، مصدر سابق، ص 223.

فوائد أداء الأمانة

إنّ من أهمّ فوائد أداء الأمانة على المستوى الاجتماعيّ، هي مسألة الاعتماد وكسب ثقة النّاس، والحياة الاجتماعيّة مبنيّة على أساس التّعاون والثّقة المتبادلة بين أفراد المجتمع.

فلولا وجود الثّقة والاعتماد، لسادَ قانون الغاب، ولحلّ التّنافر بدلاً من التّكاتف والتّعاون والتّعامل.

ثمّ إنّه إذا سادت الأمانة في المجتمع، فإنّها ستكون سبباً لمزيد من الهدوء والسّكينة الفكريّة والرّوحيّة، لأنّ مجرّد احتمال الخيانة يُسبّب القلق والخوف للأفراد، بحيث يعيشون حالةً من الإرباك في علاقاتهم مع الآخرين من الخطر المحتمل الذي ينتظر أموالهم.

من هنا جعل رسول الله ﷺ، من أسباب حفظ الأمّة الإسلاميّة أداء الأمانة. فروي عنه ﷺ: «**لا تزال أمّتي بخير ما تحابّوا، وتهادوا، وأدّوا الأمانة، واجتنبوا الحرام، ووقّروا الضّيف، وأقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة، فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسّنين**»[1].

ثمّ إنّه من عُرف بالأمانة والصّدق، كثُر من يتعامل معه في تجاراته ومعاملاته ممّا يؤدّي إلى تضاعف رزقه.

من هنا قال لقمان لابنه: «**يا بُنيّ، أدِّ الأمانة تسلم لك دنياك وأخرتك، وكُن أميناً تكن غنيّاً**»[2].

على المؤمن الحذر

المؤمن كيّس فطن، ينبغي أن يتعامل مع أهل الأمانة، ولا يكن بسيطاً يأتمن أيّاً كان، ومن هنا جاء التّحذير من التّعامل مع بعض النّاس.

فعن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**من ائتمن غير أمين فليس له على الله ضمان، لأنّه قد نهاه أن يأتمنه**»[3].

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق،ج 72، ص 115.

(2) المصدر نفسه، ج 13، ص 416.

(3) المصدر نفسه،ج 76، ص 127.

وعن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**من ائتمن شارب الخمر على أمانة بعد علمه، فليس له على الله ضمان ولا أجر له ولا خلف**»[1].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام أنّه قال: «**لم يخنك الأمين، ولكن ائتمنت الخائن**»[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**مَن عرف مِن عبد مِن عبيد الله كذباً إذا حدّث، وخلفاً إذا وعد، وخيانة إذا ائتمن، ثمّ ائتمنه على أمانة، كان حقّاً على الله تعالى أن يبتليه فيها ثمّ لا يخلف عليه ولا يأجره**»[3].

ويكفي في ذمّ الخيانة ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من أنّ: «**رأس الكفر الخيانة**»[4].

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج 19، ص 84.
(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 75، ص 335.
(3) الحر العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج 19، ص 88.
(4) غرر الحكم، ص 223، مصدر سابق، الحديث (الحكمة) 10520.

المفاهيم الرّئيسة

1. الأمانة رأس مال المجتمع الإنسانيّ؛ لأنّها تشدّ أواصر المجتمع وتقوّي الرّوابط بين النّاس، أمّا الخيانة فهي تُدمر العلاقات الاجتماعيّة وتؤدّي بالتّالي إلى الفوضى والشّقاء.
2. عند الحديث عن الأمانة فإنّ أغلب النّاس يتبادر إلى أذهانهم الأمانة في الأمور الماليّة، إلّا أنّ الأمانة بمفهومها الواسع تستوعب جميع المواهب الإلهيّة والنِّعم الربانيّة على الإنسان.
3. إنّ جميع النِّعم الماديّة والمواهب المعنويّة الإلهيّة على الإنسان في بدنه ونفسه هي في الحقيقة أمانات إلهيّة بيد الإنسان، كالصّلاة، والأبناء، والتّكليف الشَّرعيّ، والأعمال...
4. كتمانُ السرِّ من الأمانات الإلهيَّة الكبرى، ومن النّاحية الشرعيّة فإنّ كلّ ما يؤدِّي إفشاؤه وإذاعته إلى ضرر على الفرد أو المجتمع فإفشاؤه من المحرّمات وكتمانه من الواجبات.
5. من أهمّ فوائد أداء الأمانة على المستوى الاجتماعيّ هي مسألة التّعاضد وكسب ثقة النّاس، والحياة الاجتماعيّة مبنيّة على أساس التّعاون والثِّقة المتبادلة بين أفراد المجتمع.
6. إذا سادت الأمانة في المجتمع، فإنّها ستكون سبباً لمزيد من الهدوء والسّكينة الفكريّة والروحيّة؛ لأنّ مجرّد احتمال الخيانة يُسبّب القلق والخوف من الخطر المحتمل الّذي ينتظر المجتمع والفرد.

الدرس الثامن والأربعون

خدمة المؤمنين

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعرف فضل خدمة النّاس والمؤمنين في الإسلام.

2 . يستدلّ على أنّ خدمة النّاس أفضل أنواع العبادة.

3 . يشرح بعض الثِّمار والآثار الطيّبة لخدمة النّاس.

تمهيد

عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنّه قال: «**تنافسوا في المعروف لإخوانكم وكونوا من أهله، فإنّ للجنة باباً يقال له المعروف، لا يدخله إلّا من اصطنع المعروف في الحياة الدُّنيا، فإنّ العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكّل الله به ملَكين، واحداً عن يمينه وآخر عن شماله، يستغفران له ربّه ويدعوان بقضاء حاجته...**»[1].

خدمة النَّاس رحمة إلهيَّة

من النّعم الإلهيّة الكبرى أن يوفّق الإنسان للقيام بخدمة أو معروف اتجاه إخوانه، لأنَّه لو اطّلع على ما أعدّه الله تعالى له من عطاءٍ أبدي لا ينفذ لأدرك أنّ الأمر بالعكس، بمعنى أن المحتاج والمخدوم هو الّذي يُسدي خدمةً للخادم والباذل،لأنَّه السّبب في حصوله على هذه الهبة الرّبانيّة الفريدة، وعليه ليس من الصّواب أن تُتاح فرصة لأحدنا بتقديم مساعدة للآخرين وقضاء حوائجهم فيفوِّت تلك الفرصة.

في الواقع، إنّ من يطرق بابك محتاجاً إلى معونتك، فقد ساق رحمة الله تعالى إليك، وينبغي أن تستبشر خيراً وتقابله بوجهٍ ملؤه البسمة والانشراح، فإن قدرت على إجابته وتلبية طلبه كان ذلك زيادةً في حسناتك وذخيرةً ليوم معادك، ومن غير اللّائق استقباله بوجه عبوس ومنطق غليظ وأسلوب مهين، حتَّى مع العجز عن القيام بخدمته وإيصاله إلى مطلوبه، حيث لا يسوِّغ عدم القدرة على تلبية طلبه التّعامل السَّيِّئ معه، مع كونه سبباً من أسباب الرَّحمة كما في الحديث: «**أيّما مؤمن أتى أخاه في حاجة، فإنما ذلك**

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق،ج 2، ص 195.

رحمة من الله ساقها إليه وسبّبها له، فإن قضى حاجته كان قد قبل الرَّحمة بقبولها، وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها، فإنّه ردّ عن نفسه رحمة من الله عزَّ وجلَّ، ساقها إليه وسبَّبها له، وذخَّر الله تلك الرَّحمة إلى يوم القيامة، حتّى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها، إن شاء صرفها إلى نفسه، وإن شاء صرفها إلى غيره...»[1].

وفي الوصيَّة المتقدِّمة حدّثنا أمير المؤمنين عليه السلام عن الثَّواب الجزيل المُعَدّ لأهل المعروف، جزاء مشيهم وخطواتهم في حاجات إخوانهم، مشيراً إلى الميدان الذي فيه تكون هذه التّجارة الرَّابحة مع الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله عليه السلام: «**من اصطنع المعروف في الحياة الدُّنيا**». فعلينا اغتنام هذه الفرصة الثّمينة، وتزيين صفحات وجودنا بها، ولنا من الخالق سبحانه خير الجزاء.

خدمة النَّاس هي خدمة الله

فيما جاء عن مولانا الصَّادق عليه السلام قوله: «**من قضى لأخيه المسلم حاجة كان كمن خدم الله تعالى، عمره**»[2].

يكشف لنا هذا الحديث الشّريف عن عُمق وحقيقة الخدمة الإنسانية، مبيّناً أنّها خدمة إلهيّة طالما المراد بها وجه الله تعالى، ونيل رضاه، وإلّا لو كانت للتّباهي وكسب مودَّة أصحاب النُّفوذ والرّياء ويُراد بها وجه الناس، فليس هناك شكّ في عدم اعتبارها خدمةً للَّه تعالى وإنّما خدمةً للنّاس، بُغية نَيل مكانة لديهم أو الحصول على منصب من مناصب الدُّنيا الفانية.

يقول الإمام الخمينيّ قدّس سرّه: «**ليُهيّئ الأحبّة الأعزّاء أنفسهم خدمة الإسلام والشّعب المحروم، وليشدوُّا الأحزمة لخدمة العباد الّتي تعني خدمة الله**»[3].

---

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 193.

(2) العلاّمة الحليّ، الرسالة السعديّة، تحقيق السَّيّد المرعشّي بقّال، المكتبة العامة لآية الله العظمى مرعشّي نجفي، لا.م، 1410هـ ط 1، ص 162.

(3) خدمة الناس في فكر الإمام الخميني، إعداد مركز الإمام الخميني، مركز الإمام الخميني الثّقافي، لا. م، 1429هـ 2008م، ط 1، ص 12.

خدمة الناس أفضل الأعمال

والخدمة طالما كانت خالصة لوجه الله تعالى، فهي من أفضل الأعمال وأحبّها إلى الله عزَّ وجلّ. يقول الإمام الخميني قدّس سرّه: «**لا أظنّ أن هناك عبادةً أفضل من خدمة المحرومين**».

لقد كانت حياة الإمام قدّس سرّه عامرة من بداياتها، إلى أن التحق بالملكوت الأعلى بخدمة المؤمنين والشعب المستضعف والعلماء والأصدقاء. ينقل بعضهم أنّ الإمام الخميني قدّس سرّه بعد أن تشرّف بزيارة الإمام الرّضا عليه السلام في إحدى المرّات، كان يترك رفاقه في الحرم المشرّف يتعبّدون إلى الصّباح ويعود إلى المنزل لكي يُهيّء لهم الفطور ويشتري الخبز ويقوم بخدمات المنزل الذي نزلوا به، وحينما سأله أحدهم لماذا لم تبقَ أنت في الحرم المطهّر وتأمر أحدنا بأن يعود إلى المنزل ويقوم بتهيئة الطعام، يكون جوابه قدّس سرّه: «**لم يثبت عندي أنّ البقاء في حرم الإمام عليه السلام بعد الزيارة أفضل من خدمة المؤمنين**»[1].

ويحدّثنا مولانا الصّادق عليه السلام عن هذه الحقيقة قائلاً: «**لأن أمشي في حاجة أخٍ لي مسلم، أحبُّ إليّ من أن أعتق ألف نسمة، وأحمل في سبيل الله على ألف فرس مسرجة ملجمة**»[2].

وفي حديث آخر: «**قال الله عزَّ وجلّ: الخلق عيالي، فأحبهم إليّ ألطفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم**»[3].

ويحدّثنا مولانا الباقر عليه السلام عن مدى حبّه وتفضيله لخدمة المحرومين حيث يقول: «**لأن أعول أهل بيت من المسلمين. أسدّ جوعتهم وأكسو عورتهم، فأكف وجوههم عن النَّاس أحبّ إليّ من أن أحج حجَّة وحجّة ومثلها ومثلها حتّى بلغ عشراً ومثلها ومثلها حتّى بلغ السَّبعين**»[4].

(1) مجلّة بقية الله، العدد 140، ص 43.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 197.
(3) المصدر نفسه، ص 194.
(4) المصدر نفسه، ص 195.

الثّمار الطّيّبة لخدمة النّاس

في روايات أهل البيت بيان كافٍ ووافٍ للآثار المترتّبة على خدمة النّاس باختلاف أشكالها وأساليبها، حتّى ورد التّفضيل في كلّ نوع من هذه الخدمات بما لها من ثمرات، من هذه الآثار:

1. **الأمن يوم القيامة:** روي عن مولانا الكاظم عليه السلام أنّه قال: «**إنّ لله عباداً في الأرض يسعَون في حوائج النّاس، هم الآمنون يوم القيامة**»[1].
2. **ألفُ ألفِ حسنة:** عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**من سعى في حاجة أخيه المسلم، طلب وجه الله، كتب الله له ألف ألف حسنة**»[2]. نلاحظ هنا أن هذا الأثر الأخرويّ مترتِّب على السّعي، حتّى وإن لم تقضِ الحاجة. فلو بذل الإنسان وِسعَه وسعى ليقضي حاجة أخيه فلم يوفّق، كان له هذا الأثر، فكيف لو قُضيت؟ وكذلك يشير هذا الحديث الشَّريف إلى مسألة طلب وجه الله تعالى بذلك، لا طلب وجه الناس والدُّنيا.
3. **ثواب عبادة تسعة آلاف سنة:** عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «**من سعى في حاجة أخيه المؤمن فكأنّما عبد الله تسعة آلاف سنة، صائماً نهاره قائماً ليله**»[3].
4. **كان الله في حاجته:** عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنّه قال: «**من كان في حاجة أخيه المؤمن المسلم، كان الله في حاجته ما كان في حاجة أخيه**»[4].
5. **إستغفار الملائكة له:** في الحديث عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «**إن العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن، فيوكّل الله عزَّ وجلّ، به ملكين: واحداً عن يمينه وآخر عن شماله، يستغفران له ربّه ويدعوان بقضاء حاجته**»[5].
6. **ثواب المجاهدين:** عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**من مشى في عون أخيه**

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق،ج 2، ص 197.
(2) المصدر نفسه.
(3) العلامة المجلسي، بحار الانوار، مصدر سابق، ج 71، ص 315.
(4) المصدر نفسه، ص 286.
(5) الشيخ الكليني،الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 195.

ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله»[1].

7. **ثواب السّعي بين الصفا والمروة:** عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنّه قال: «**الماشي في حاجة أخيه كالسّاعي بين الصّفا والمروة**»[2].

8. **كمن عبد الله دهره:** عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**من قضى لأخيه المؤمن حاجة كان كمن عبد الله دهره**»[3].

9. **الفوز بالجنة:** عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنّه قال: «**ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله تبارك وتعالى عليّ ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنة**»[4].

10. **تهوّن عليه سكرات الموت وأهوال القبر:** في الحديث عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «**من كسا أخاه كسوة شتاء؛ أو صيف، كان حقّاً على الله أن يكسوه من ثياب الجنة، وأن يهوّن عليه سكرات الموت، وأن يوسّع عليه قبره، وأن يلقى الملائكة إذا خرج من قبره بالبشرى**»[5].

11. **قبول الأعمال:** عن مولانا الكاظم عليه السلام أنّه قال: «**إنّ خواتيم أعمالكم قضاء حوائج إخوانكم، والإحسان إليهم ما قدرتم وإلا لم يقبل منكم عمل**»[6].

(1) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، مصدر سابق، ص 288.
(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 75، ص 281.
(3) الحر العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق،ج 16، ص 36.
(4) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق،ج 2، ص 194.
(5) المصدر نفسه، ص 204.
(6) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق،ج 72، ص 79.

المفاهيم الرّئيسة

1. من النِّعم الإلهيَّة الكبرى أن يوفَّق الإنسان للقيام بخدمة أو معروف اتجاه النّاس لما فيه من الأجر والثواب وعلوّ المنزلة عند الله.
2. في الواقع من يطرق بابَه محتاجٌ إلى معاونته فقد ساق رحمة اللَّه تعالى إليه، وينبغي عليه أن يستبشر خيراً ويقابلَه بوجه ملؤه البسمة والانشراح؛ لأنّه بمثابة رسول الله إليه.
3. تكشف لنا الأحاديث الشّريفة عن عُمق وحقيقة الخدمة الإنسانية، مبيّنة بأنَّها في الواقع خدمة إلهيَّة طالما المراد بها وجه اللَّه تعالى ونيل رضاه، فالصَّدقة تقع في يد الله مباشرة.
4. خدمة النّاس إذا كانت خالصة لوجه اللَّه تعالى، هي من أفضل الأعمال، وأحبّها إلى اللَّه عزَّ وجلّ، ولا يدانيها فضل ومنزلة.
5. يقول الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ: «لا أظنّ أن هناك عبادة أفضل من خدمة المحرومين».
6. لخدمة النّاس والسّعي في قضاء حوائجهم ثمار طيِّبة كثيرة منها: الأمن من العذاب يوم القيامة، تستغفر له ملائكة السّماء، يقضي الله حوائجه، ويصحِّح أعماله، ويهوِّن عليه سكرات الموت وغيرها.

الدرس التاسع والأربعون

الغيبة والبهتان والنّميمة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعرف معاني الغيبة والبهتان والنّميمة.

2 . يحدّد معاني الغيبة والبهتان والنّميمة من خلال القرآن الكريم.

3 . يفهم أهـمّ أسباب وعـلاج الغيبة والبهتان والنّميمة.

في معاني الغيبة والبهتان والنَّميمة

الغيبة: ما يقال في غياب الشخص، غاية الأمر أنَّه بقوله هذا يكشف عيباً من عيوب النَّاس، سواءً كان عيباً جسديّاً أو نفسيّاً أو أخلاقيّاً، أو في الأعمال أو في المقال، بل حتَّى في الأمور المتعلِّقة به كاللِّباس؛ والبيت؛ والزَّوج؛ والأبناء؛ والأجداد؛ والنَّسب؛ والحسب؛ وما إلى ذلك.

فبناءً على هذا، ما يُقال عن الصِّفات الظّاهرة للشَّخص الآخر لا يُعدُّ اغتياباً، إلَّا أن يراد منه الذَّمُّ والعيب فهو في هذه الصُّورة حرام، كما لو قيل في مقام الذَّمِّ إنَّ فلاناً أعمى، أو أعور، أو قصير، القامة، وما إلى ذلك.

فيتّضح من هذا، أنَّ ذكر العيوب الخفيَّة بأيِّ قصد كان يُعدُّ غيبة، وذكر العيوب الظّاهرة إذا كان بقصد الذَّمِّ، أو كان فيه أذيَّة؛ فهو حرام؛ سواءً أدخلناه في مفهوم الغيبة أم لا.

كلُّ هذا في ما لو كانت هذه العيوب في الطَّرف الآخر واقعيّة، أما إذا لم تكن صحيحة أصلاً، فتدخل تحت عنوان البهتان، وإثمه أشدُّ من الغيبة بمراتب.

ففي حديث عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «**الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، وأمّا ما هو ظاهر فيه مثلُ الحدَّة والعجلة فلا، والبهتان أن تقول ما ليس فيه**»[1].

أمّا النّميمة، فهو أن ينقل شخص كلاماً سمعه من شخص واقعاً، أو اخترعه من نفسه إلى شخص آخر، بقصد الفتنة بين شخصين.

---

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص358.

الغيبة والنَّميمة في القرآن والسُّنَّة

المستقرئ لآيات القرآن الكريم والرّوايات الشَّريفة، يلاحظ أنَّ الغيبة والنَّميمة من الكبائر.

1. في الآيات الكريمة:

فقد أوعد الله عليهما بالنّار فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

فالآيات الشّريفة في مقام بيان كيفيَّة العذاب الأخرويّ للمغتاب، حيث تتجسّم الغيبة في الآخرة بصورة أكل ميتة الشَّخص المستغاب.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾[3]. وهذا وعد من الله سبحانه لكلّ مغتاب، مشّاء بالنَّميمة، مفرّق بين الأحبة.

2. في الرّوايات الشَّريفة:

عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: «**رأيت ليلة الإسراء رجالا تُقْرَضُ شفاههم بمقاريض من نار، قيل: من هم؟ قال: الّذين يغتابون النّاس**»[4].

وعنه ﷺ في رواية أخرى، قال: «**رأيت ليلة الإسراء قوماً يُقطَع اللّحم من جنوبهم ثمّ يُلْقَمونَهُ ويُقال: كلوا ما كنتم تأكلون من لحم أخيكم، فقلت: يا جبرئيل، من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الهمّازون من أُمَّتِكَ اللَّمّازون، وقال: لا يدخل الجنّة قَتَّاتٌ ولا نمّام**»[5].

---

(1) سورة النور، الآية 19.
(2) سورة الحجرات، الآية 12.
(3) سورة الهمزة، الآية 1.
(4) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج9، ص126.
(5) المصدر نفسه، ص151-152.

وعنه ﷺ أنّه قال: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتّبعوا عوراتهم، فإنّه من تتبّع عورة أخيه؛ تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله عورته؛ يفضحه في جوف بيته**»[1].

وعنه ﷺ أنّه قال: «**الغيبة أسرع في دين الرّجل من الأكلة في جوفه**»[2].

وعنه ﷺ أنّه قال: «**ألا أنبّئكم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: المشّاؤون بالنّميمة، المفرّقون بين الأحبّة، الباغون للبرَاء المعايب**»[3].

وعنه ﷺ أنّه قال: «**أدنى الكفر أن يسمع الرّجل من أخيه كلمة فيحفظها عليه، يريد أن يفضحه بها، أولئك لا خلاق لهم**»[4].

وعنه ﷺ أنّه قال: «**من مشى في غيبة أخيه وكشف عورته، كانت أوّل خطوة خطاها وضعها في جهنّم**»[5].

بناءً على هذا، فإنَّ الغيبة والبهتان والنّميمة من الذُّنوب الكبيرة، الّتي جاء الوعيد عليها، فلا ينبغي استصغار هذه الذُّنوب.

أسباب تحريم الغيبة والبهتان والنّميمة

أوّلاً: بما أنَّ الإنسان مخلوق اجتماعيّ، فالمجتمع البشريّ الذي يعيش فيه له حرمة يجب أن لا تقلَّ عن حرمته الشّخصيّة، وطهارة كلّ منهما تساعد في طهارة الآخر، وقبحِ كلٍّ منهما يسري إلى صاحبه، وبموجب هذا المبدأ، كافح الإسلام بشدّة كلَّ عمل ينشر السُّموم في المجتمع، أو يدفعه نحو الهاوية والانحطاط.

أوجب الإسلام ستر العيوب، والسّبب في ذلك هو الحيلولة دون انتشار الذُّنوب في المجتمع، واكتسابها طابع العموميّة والشّمول.

---

(1) الفيض الكاشاني، المولى محمد محسن، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، دفتر انتشارات اسلامى وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه إيران - قم، لا.ت، ط2، ج5، ص252.

(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص 357.

(3) دستغيب، الذُّنوب الكبيرة، ترجمة صدر الدّين القبانجيّ، الدّار الإسلاميّة، لبنان- بيروت، 1408هـ - 1988م، ط 2، ج2، ص 278.

(4) المصدر نفسه، ص 266.

(5) المصدر نفسه.

ثانياً: إنَّ رأس مال الإنسان المهمّ في حياته هو ماء وجهه وحيثيّته، وأيّ شيء يهدِّده فكأنّما يهدد حياته بالخطر. إنَّ واحدة من حِكَم تحريم الغيبة، هي أن لا يتعرَّض هذا الاعتبار العظيم للأشخاص ورأس المال آنف الذِّكر، لخطر التَّمزُّق والتَّلوُّث، وأن لا تُهتك حرمة الأشخاص ولا تُلوّث حيثّياتهم، وهذا مقصد مهمّ تلقّاه الإسلام باهتمام بالغ.

ثالثاً: والأمر الآخر، أنَّ الغيبة والنّميمة والبهتان يُولِّدون النَّظرة السَّيِّئة؛ ويُضعفون العلائق الاجتماعيّة ويوهنون، ويتلفون رأس مال التّعاضُد؛ ويزلزلون قواعد التَّعاون الاجتماعي.

ونعرف أنَّ الإسلام أولى أهميّة بالغة من أجل الوحدة والانسجام والتّضامن بين أفراد المجتمع، فكلّ أمر يقوِّي هذه الوحدة فهو محلّ قبول الإسلام وتقديره، وما يؤدّي إلى الإخلال بالأواصر الاجتماعيّة هو مرفوض، والاغتياب والبهتان والنَّميمة من عوامل الوهن والضُّعف.

رابعاً: ثمَّ بعد هذا كلِّه فإنَّ الاغتياب وصاحبيه ثلاثة أمور تنثر في القلوب بذور الحقد والعداوة، وربما أدَّت أحياناً إلى الفتنة والاقتتال وسفك الدِّماء.

علاج الغيبة وصاحبيه

إنَّ الغيبة وصاحبيه كسائر الصِّفات الذَّميمة تتحوّل تدريجيّاً إلى صورة مرض نفسيّ، بحيث يلتذّ المغتاب من فعله ويحسُّ بالاغتباط والرِّضا عندما يُريق ماء وجه فلان، وهذه مرتبة من مراتب المرض القلبيّ الخطير جدّاً.

ومن هنا، ينبغي على المغتاب والنَّمّام أن يسعى إلى علاج البواعث الدّاخليّة للاغتياب، الّتي تكمن في أعماق روحه وتحضُّه على هذا الذَّنب، من قبيل البخل،الحسد، والحقد، والعداوة، والاستعلاء، والأنانيّة.

فعليه أن يطهِّر نفسه عن طريق بناء الشّخصيّة، والتّفكير في العواقب السّيِّئة لهذه الصّفات الذَّميمة، وما ينتج عنها من نتائج مشؤومة، ويغسل قلبه عن طريق الرِّياضة النَّفسيَّة والمجاهدة الدّائمة للنّفس، ليسيطر على لسانه فلا يتلوّث بالغيبة وأمثالها. وهذا يحتاج إلى إرادة وعزيمة قويّة.

موارد الاستثناء

ما ينبغي ذكره في شأن الغيبة، أنَّ قانون الغيبة له استثناءات، من جملتها أنَّه يتفق أحياناً في مقام الاستشارة مثلاً لانتخاب الزّوج أو الشَّريك في الكسب وما إلى ذلك، أن يسأل إنسان إنساناً آخر، فالأمانة في المشورة الّتي هي قانون إسلاميّ مسلّم به، توجب أن تبَيَّن العيوب إن وجدت في الشّخص الآخر، لئلّا يتورّط المسلم في مشكلة، فمثل هذا الاغتياب بمثل هذا القصد لا يكون حراماً.

وكذلك في الموارد الأخرى، التي فيها أهداف مهمّة كهدف المشورة في العمل؛ أو لإحقاق الحقّ؛ أو التَّظلُّم وما إلى ذلك.

وبالطّبع، فإنّ المتجاهر بالفسق خارج عن موضوع الغيبة، ولو ذُكر إثمه في غيابه فلا إثم على مغتابه، إلّا أنَّه ينبغي الالتفات إلى أنَّ هذا الحكم خاص بالذّنب الذي يتجاهر به فحسب.

إستماع الغيبة

إنَّ الغيبة ليست حراماً فحسب، بل الاستماع إليها حرامٌ أيضاً، والحضور في مجلس الاغتياب حرام، بل يجب طبقاً لبعض الرّوايات أن يُردَّ على المغتاب، أعني أن يدافع عن أخيه الّذي يراد إراقة ماء وجهه.

عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**السّامع للغيبة أحد المغتابين**»[1].

وعنه ﷺ أنّه قال: «**من اغْتِيبَ عنده أخوه المؤمن فنصره، وأعانه، نصره الله في الدّنيا والآخرة، ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر، خذله الله وحقّره في الدّنيا والآخرة**»[2].

(1) الميرزا النوري،مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج9، ص133.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج72، ص 177.

المفاهيم الرَّئيسة

1. الغيبة: هي ما يقال في غياب الشَّخص عن عيب من عيوبه.
2. البُهتان: هو ما يقال في غياب شخص عن عيبٍ ليس من عيوبه.
3. النّميمة: هي أن ينقل شخص كلاماً سمعه من شخص واقعاً أو اخترعه من نفسه، إلى شخص آخر؛ بقصد الفتنة بين شخصين.
4. ارتكاب الغيبة والبهتان والنّميمة حرام وهو من الكبائر.
5. من أسباب تحريم الغيبة والبهتان والنّميمة:

أ. الحيلولة دون انتشار الذُّنوب في المجتمع واكتسابها طابع العموميّة والشّمول.

ب.الحيلولة دون هتك حرمة النّاس وشخصيّاتهم.

ج. الحيلولة دون إضعاف العلائق الاجتماعيّة والتّعاون الإنسانيّ.

د. الحيلولة دون إشاعة الحقد والعداوة، والفتنة، والقتل بين النّاس.

6. ينبغي على المبتلى بالغيبة والبهتان والنّميمة، أن يسعى لعلاجها قبل أن يستفحلَ خطرها، وذلك عبر:

أ. إزالة البواعث الدّاخليّة للغيبة وأخويها؛ من قبيل البخل، والحسد، والحقد، والعداوة، والأنانيّة.

ب.التّفكير في العواقب السَّيِّئة للغيبة وأخويها.

ج. التّوبة.

7. هناك موارد يجوز فيها الغيبة: أ ـ في مقام الاستشارة، ب ـ في مقام إحقاق الحقّ أو التَّظلُّم، ت ـ المتجاهر بالفسق فيما تجاهر فيه.
8. لا تجوز الغيبة، وكذلك لا يجوز الاستماع إليها، وينبغي الدِّفاع عن المغتاب.

الدرس الخمسون

الذُّنوب وآثارها الدُّنيويَّة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتبيّن معنى الذّنب في الإسلام.

2 . يذكر أنواع الذَّنب وأقسامه الأساسيّة.

3 . يعدّد أهمّ الآثار الدُّنيويَّة المترتَّبة على الذَّنب.

معنى الذُّنوب

الذَّنب في اللغة هو الإثم والجرم والمعصية. وفي الاصطلاح هو ترك المأمور به من الله، وفعل المنهي عنه.

والمأمور به مِن قبل الله عزّ وجلّ، إمّا أن يكون واجباً أو مستحباً، والمنهي عنه من قبله أيضاً، إمّا أن يكون محرّماً أو مكروهاً، والمراد منهما في مقام الذّنب، هو ترك الواجب وفعل المحرّم. ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ المعصومين مخلصون من قبل الله عزّ وجلّ، وقد حصَّنهم بملكة نفسانيّة قويّة تمنعهم باختيارهم من ارتكاب المعصية، بل والتّفكير بها أيضاً، لعلمهم بقُبحها ومدى خطورتها وتأثيرها.

ومع أنّ الشّيطان أظهر عزمه على غواية النّاس وإضلالهم جميعاً، حيث أقسم مخاطباً ربّ العزّة بقوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]، إلاّ أنّه أردف قائلًا ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[2]، وقد أخبرنا القرآن الكريم أنّ الله تعالى، يؤيّد بنصره ويسدّد بلطفه من اتّقى باجتناب المحرّمات وأحسن بفعل الطاعات، فلا يكون للشّيطان سبيل على من آمن بالله عقيدةً والتزم بشريعته عملاً، فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[4].

---

(1) سورة ص، الآية 82.

(2) سورة ص، الآية 83.

(3) سورة النحل، الآية 128.

(4) سورة الحج، الآية 38.

أقسام الذُّنوب وأنواعها

دلّ القرآن الكريم والرّوايات الشّريفة وفتاوى الفقهاء على أنّ الذُّنوب نوعان هما: الكبائر والصّغائر. ويدلّ على صحّة هذا التقّسيم الآيات الشّريفة التّالية في قوله تعالى ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[1].

يُستفاد من الآية أنّ الكبائر يُقابلها ما هو أدنى منها رتبة، أي الصّغائر. فالمعاصي المَنهي عنها هي صغائر وكبائر، وأنّ السّيئات في الآية المتقدّمة هي الصّغائر لمناسبة المقابلة بينها وبين الكبائر. وكبر المعصية إنّما يتحقّق بأهميّة النّهي عنها إذا قيس إلى النّهي المتعلّق بغيرها، ولا يخلو قوله تعالى: ﴿مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ من دلالةٍ على ذلك، والدّليل على أهميّة النّهي، هو تشديد الخطاب بإصرار فيه، أو تهديد بعذاب من النّار ونحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ...﴾[2]. و«اللَّمَمَ» وهو عبارة عن الصّغائر أو نوع خاصّ فيها.

روي عن الإمام الصّادق عليه السلام: (في تفسير الآية) قال: «**الفواحش الزّنا والسّرقة، واللّمم: الرّجل يلمّ بالذّنب فيستغفر الله منه. قلت: بين الضلال والكفر منزلة؟ فقال: ما أكثر عُرى الإيمان**»[3].

فاللّمَم هو ما يلمّ به العبد من ذنوب صغار بجهالة، ثمّ يندم ويستغفر ويتوب فيُغفر له.

وقوله تعالى ﴿... وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[4].

ومن مجموع هذه الآيات، يظهر لنا أنّ الذُّنوب في الإسلام على نوعين: صغيرةً وكبيرة. مع أنّ كلّ ذنب مخالف للأوامر الإلهيّة يُعتبر كبيراً وثقيلاً، إلّا أنّ ذلك لا ينافي كون بعض

(1) سورة النساء، الآية 31
(2) سورة النجم، الآية 32.
(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 278.
(4) سورة الكهف، الآية 49.

الذُّنوب من حيث آثارها الوخيمة، أكبر من البعض الآخر، وبالتّالي تم تقسيمها إلى ذنوب كبيرة وأخرى صغيرة. ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**الذُّنوب كلُّها شديدة، وأشدّها ما ينبت عليه اللّحم والدّم، لأنّه إمّا مرحوم وإمّا معذب، والجنة لا يدخلها إلّا طيب**»[1].

الآثار الدنيوية للذُّنوب

إنّ مَن يلاحظ ما جاء في القرآن الكريم، والرّوايات الشّريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السّلام، يجد بوضوح آثاراً مهلكةً وخطيرة للذُّنوب والمعاصي، في العوالم الثّلاثة: عالم الدّنيا، وعالم البرزخ، وعالم الآخرة.

وقبل الإشارة إلى بعضها لا بدّ من التّذكير بأنّ الذّنب بمثابة السُّم القاتل. والخطير في هذا المجال، هو أنّ من يرتكب الذّنب سوف يترتّب عليه الأثر الوضعيّ والتكوينيّ، ويؤثِّر ذلك على قلبه وجسمه وماله وولده وغير ذلك، حتّى لو كان جاهلاً بأثر الذّنب، تماماً كمن يجهل بأثر السُّم، وهذا ما يدعونا للابتعاد عن المعصية والحذر من آثارها.

وإنّ عالم الدّنيا هو عالم الابتلاء والتّكليف لعباد الله، والذي يُعدُّ أحد أهداف خلق الإنسان: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[2]، وقد وعدنا الله وتوعّدنا، بأن لكلٍّ من الطّاعة والمعصية آثارها الخاصّة في الدُّنيا. فللطاعة آثارها وبركاتها العظيمة، التي تبعث الأمل في نفوس المؤمنين، وترّغبهم في العمل الصّالح والإكثار منه. وفي مقابل ذلك، فإنّ للمعصية والذُّنوب آثارها المهلكة أيضاً في الدُّنيا، ولعلّ المطَّلع عليها يحذر منها ويخاف من تبعاتها، فيُحجم عنها ولا يُقدم عليها. فيما يلي نذكر نبذة من هذه الآثار:

1. الفساد في الأرض:

قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 270.
(2) سورة الملك، الآية 2.

عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]. من آثار الذُّنوب والمعاصي أنّها تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد، في الماء والهواء والزّرع والثّمار وغير ذلك... والآية الكريمة تدعو للإتّعاظ بما حلّ بالأمم السّابقة من المصائب، التي ما كانت إلّا بما كسبت أيديهم، من الفساد والذُّنوب والآثام، أي بأعمالهم فيوشك أن يحلّ بالمخاطبين مثل ما حلَّ بهم بسبب ما كسبت أيديهم مثلما كسبت أيدي أولئك.

2. نزول العذاب:

قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[2]، هذه الآية وغيرها أيضاً تشير بشكلٍ واضح إلى وجود نوع من الارتباط الوثيق بين الأعمال والذُّنوب الّتي يقترفها الإنسان، وبين المصائب والبلاءات الّتي تصيبه بسبب تلك الأعمال، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[3]. فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أنواعاً متعدِّدة من العذاب نزلت على الأقوام السّابقة والقرى جرّاء تماديهم في الذُّنوب والمعاصي، مما جعلهم يستحقُّون ألوان العذاب، ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾[4].

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**ما من سنة أقلّ مطراً من سنة، ولكنّ الله يضعه حيث يشاء، إنّ الله، ـ عزّ وجلّ، إذا عمل قوم بالمعاصي، صرف عنهم ما كان قدّر لهم من المطر في تلك السّنة إلى غيرهم، وإلى الفيافي والبحار والجبال، وإنّ الله ليعذب الجُعَلَ[5] في جحرها بحبس المطر عن الأرض الّتي هي بمحلها بخطايا من بحضرتها، وقد جعل الله لها السّبيل في مسلك سوى محلّة أهل المعاصي. قال: ثمّ قال**

(1) سورة الروم، الآية 41.
(2) سورة آل عمران، الآية 137.
(3) سورة الشورى، الآية 30.
(4) سورة الطلاق، الآية 8.
(5) الجُعَل، حيوان كالخنفُساء يكثر في الأماكن النديّة (المعجم الموجيز)، والجُعَل كصَرُد: دويبة كالخنفُساء أكبر منها شديد السواد في بطنها لون حمرة (مجمع البحرين).

أبو جعفر عليه السلام: فاعتبروا يا أولي الأبصار»[1].

3. حبط الأعمال في الدُّنيا:

من الآثار السّلبيّة والخطيرة للذُّنوب أنّها تحبط الأعمال في الدُّنيا. والحبط، هو سقوط ثواب العمل الصَّالح بالمعصية المتأخِّرة. قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[2]. فمن الآثار السَّلبيّة والخطيرة للذُّنوب أنها تُحبِط الأعمال في الدُّنيا. والحبط هو سقوط ثواب العمل الصالح بالمعصية المتأخّرة، والتكفير عكسه، أي سقوط الذّنوب المتقدّمة بالطّاعة المتأخّرة. ومرجع هذه الفكرة هو معرفة مدى التّأثير المتبادل بين الأعمال الحسنة والأعمال السّيئة، فجميع الأعمال لها تأثير على بعضها، أي أنّ هناك تأثيرٌ وتأثُّرٌ وحبطٌ وتكفيرٌ بصورةٍ مستمرّةٍ.

4. قسوة القلب:

والمراد بالقلب هو ذلك الجوهر الرّوحاني الّذي تتقوَّم به حقيقة الإنسان، وليس المقصود منه القطعة الصّنوبرية التي في جسم الإنسان. وقد أودعه الله فينا مفطوراً على التّوحيد؛ والعبوديّة؛ والطّاعة؛ طاهراً؛ سليماً؛ وشفّافاً؛ ليس فيه أيُّ نقصٍ وفسادٍ، لكن بارتكاب المعاصي والذُّنوب والابتعاد عن الله يقسو شيئاً فشيئاً، حتّى يصبح أشدّ قسوة من الحجارة ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾[3]، فيتحوَّل إلى قلب أسود لا يفلح بعدها أبداً. ففي الخبر عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**ما من عبدٍ إلّا وفي قلبه نكتةٌ بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النُّكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السَّواد، وإن تمادى في الذُّنوب زاد ذلك السَّواد حتى يغطِّي البياض، فإذا غطَّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خيرٍ أبداً، وهو قول الله عزّ وجلّ:** ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 272.
(2) سورة محمد، الآية 28.
(3) سورة البقرة، الآية 74.

مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1][2].

روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**ما جفّت الدّموع إلا لقسوة القلوب، وما قسّت القلوب إلا لكثرة الذّنوب**»[3].

وروي عن الإمام الصّادق عليه السلام أنه قال: «**ما من شيء أفسدُ للقلب من خطيئة، إنّ القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتّى تغلب عليه، فيصير أعلاه أسفله**»[4].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام يقول فيها: «**إذا أذنب الرجل خرج من قلبه نكتةٌ**[5] **سوداء، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت، حتّى تغلب على قلبه، فلا يفلح بعدها أبداً**»[6].

5. الحرمان من الرِّزق:

قد يكون الرِّزق معنوياً كالتَّسديد والحفظ والتَّأييد والشَّهادة في سبيل الله. وقد يكون ماديّاً، كما هو المتبادر عند عامّة النّاس، كالمال والطّعام وغير ذلك.

في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الرَّجل ليُحرم الرِّزق بالذَّنب يصيبه**»[7].

وورد في الحديث أيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**إنّ العبد ليذنب الذَّنب فيزوي عنه الرِّزق**»[8].

وقد يكون الحرمان في رفع البركة من أرزاقهم وأموالهم وطعامهم، كما ورد في رواية عن السَّيدة الزَّهراء عليها السّلام في تبعات وآثار ترك الصَّلاة، منقولة عن النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم، ممّا قاله «**...فأمّا اللّواتي تصيبه في دار الدُّنيا فالأولى يرفع الله البركة من عمره ويرفع الله البركة من رزقه...**»[9].

---

(1) سورة المطففين، الآية 14.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص273.
(3) الحر العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج16، ص45.
(4) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق،ج2، ص268.
(5) النكتة، النقطة، وكل نقطة في شيء بخلاف لونه فهي نكتة.
(6) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق،ج2، ص271.
(7) الشيخ الطوسي، الأمالي، مصدر سابق، ص 528.
(8) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص270.
(9) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج3، ص24.

6. نقصان العمر:

إنّ رأسمال الحياة الدُّنيا عند أهلها هو العمر الطّويل والرِّزق الوفير، لذا نرى أنّ غايتهم في هذا الزَّمان هو المحافظة على أبدانهم وصحَّتهم ومأكلهم ومشربهم. إنّ الذُّنوب بشكل عامّ ممحقَةٌ لبركة العمر، وبركة الرِّزق، والقرآن الكريم يُخبرنا عن هلاك الأمم السّابقة، الّذين ظلموا أنفسهم وعصوا الله، وطغوا في الأرض وقتلوا أنبياء الله ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[1].

وقد تحدّثت بعض الرّوايات عمّا يوجب زيادة العمر والرِّزق ونقصانها وعدم البركة فيها، كبرِّ الوالدين وعقوقهما، وصلة الرَّحم وقطيعتها. روي عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنّه قال: «**من يموت بالذُّنوب أكثر ممَّن يموت بالآجال، ومن يعش بالإحسان أكثر ممّن يعيش بالأعمار**»[2].

وفي رواية أخرى عن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «**مَن يموت بالذُّنوب أكثر ممّن يموت بالآجال**»[3].

7. زوال النّعم وحلول النّقم:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[4].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «**ما أنعم الله على عبد نعمةً فسلبها إيّاه حتَّى يذنب ذنباً يستحقُّ بذلك السَّلب**»[5].

8. المرض:

(1) سورة يونس، الآية 13.
(2) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج 11، ص 327.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج5، ص 140.
(4) سورة الأعراف، الآية 96.
(5) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص274.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**أما إنَّه ليس من عرقٍ يضرب ولا نكبةٍ ولا صداعٍ ولا مرضٍ إلَّا بذنبٍ، وذلك قول الله عزّ وجلّ في كتابه:** ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[1] **قال: ثمّ قال** عليه السلام: **وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به**»[2].

9. نسيان العلم:

وهو آفة كبرى تُعيد الإنسان إلى الجهل والغفلة، بعد أن كان عالماً ذاكراً، وما ذلك إلّا لذنب ارتكبه، فقد روي عن النَّبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**اتَّقوا الذُّنوب، فإنَّها ممحقةٌ للخيرات، إنّ العبد ليُذنب الذَّنب فينسى به العلم الَّذي كان قد علمه...**»[3].

10. عدم استجابة الدُّعاء:

الذَّنب من موانع استجابة الدُّعاء أيضاً، كما ورد في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب، أو إلى وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً، فيقول الله تبارك وتعالى، للملك لا تقضِ حاجته، واحرمه إيّاها، فإنّه تعرَّض لسخطي واستوجب الحرمان منِّي**»[4].

11. عدم التّوفيق للعبادة:

قد يُحرم المذنب من ثواب العبادة وبركاتها، سيَّما تكفير السَّيئات، وتضاف سيِّئته إلى سجلّ أعماله، فقد روي عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «**إنّ الرَّجل ليُذنب الذَّنب فيُحرم صلاة اللّيل، وإنّ العمل السَّيئ أسرع في صاحبه من السِّكين في اللَّحم**»[5].

---

(1) سورة الشورى، الآية 30.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص269.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق،ج 70، ص 377.
(4) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق،ج2، ص271.
(5) المصدر نفسه، ص 272.

المفاهيم الرَّئيسة

1. الذّنب لغةً: الإثم والجرم والمعصية، واصطلاحاً: هو ترك ما أمر الله تعالى به، والإتيان بما نهى عنه.
2. المأمور به من قبل الله عزّ وجلّ، إمّا أن يكون واجباً أو مستحباً، والمنهيّ عنه من قبله أيضاً إمّا أن يكون محرّماً أو مكروهاً، والمراد منهما في مقام الذَّنب، هو ترك الواجب وفعل المحرّم.
3. من مجموع هذه الآيات يظهر لنا أنّ الذُّنوب في الإسلام على نوعين: صغيرة وكبيرة، مع أنّ كلّ ذنب مخالف للأوامر الإلهية يُعتبر كبيراً وثقيلاً.
4. من يلاحظ القرآن الكريم والرّوايات الشَّريفة يجد بوضوح أنّ هناك آثاراً مهلكةً وخطيرةً للذُّنوب والمعاصي، في العوالم الثّلاثة: عالم الدُّنيا، وعالم البرزخ، وعالم الآخرة.
5. من الآثار الخطيرة للذَّنب في الدّنيا أنّه سبب لفساد الأرض، والغضب والعذاب الإلهيّ، حبْط الأعمال، قساوة القلب، نقصان العمر وغيرها.

الدرس الواحد والخمسون

الآثار البرزخيَّة والأُخرويَّة للذُّنوب

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعرف معنى البرزخ ويوم القيامة.

2 . يعدّد بعض أهوال عالم البرزخ والقيامة.

3 . يفهم أهمّ الآثار الخطيرة والسلبيّة للذُّنوب في الحياة الآخرة.

تمهيد

تقدّم في الدَّرس السّابق ذِكرُ أحد عشر أثراً دنيويّاً للذُّنوب. وفي هذا الدَّرس نذكُر الآثار البرزخيَّة والأُخرويّة للذُّنوب.

ما هو البرزخ؟

البرزخ هو الحاجز والحدّ الفاصل بين الشّيئين، قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾[1] وقد فُسِّرت هذه الآية بأنّه الحاجز بين الماء المالح والماء العذب.

وقيل: إنّ البرزخ هو الحدّ الفاصل بين الدُّنيا والآخرة، أو بين الموت والبعث، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[2]، وفي تفسير هذه الآية قال الإمام السَّجاد عليه السلام: «**هو القبر، وإنّ لهم فيه لمعيشة ضنكاً، والله، إنّ القبر لروضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النَّار...**»[3].

وقيل: إنّه الحاجز لهم من الرُّجوع إلى الدُّنيا والإمهال إلى يوم القيامة، وكلُّ هذه المعاني متقاربة ترجع إلى معنى واحد ظاهراً.

عذاب البرزخ

كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر: «**يا عباد الله: ما بعد الموت لمن لا**

---

(1) سورة الرحمن، الآيتان 19-20.

(2) سورة المؤمنون، الآية 99-100.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق،ج6، ص159.

يُغفر له أشدّ من الموت القبر، فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته»[1].

وفيما يلي سوف نشير إلى بعض أهوال البرزخ:

1. الوحشة في القبر:

إنّ الأعمال الّتي يقوم بها الإنسان في نشأة عالم الدُّنيا، تَظهر آثارها في نشأة عالم البرزخ، فإذا كانت أعماله خيّرة؛ فَرح واستبشر، وإذا كانت سيِّئة؛ استوحش منها واغتمّ. ووحشة القبر هي أوّل المنازل الّتي يمرُّ بها الإنسان، وقد ذُكرت في الرّوايات بتعابير متعدِّدة، وهذه التَّعابير إمّا هي أهوال مستقلَّة بذاتها، أو تعبِّر عن وحشة القبر ولكن بألفاظ متعدِّدة.

روي أنَّ السَّيِّدة الزَّهراء عليها السلام لمّا احتضرت أوصت أمير المؤمنين عليه السلام فقالت: **«إذا أنا متُّ فتولَّى أنت غُسلي وجهِّزني وصلِّ عليَّ، وأنزلني قبري، وألحدني وسوِّي التَّراب عليَّ، واجلس عند قبالة وجهي، فأكثر من تلاوة القرآن والدُّعاء، فإنَّها ساعة يحتاج الميت فيها إلى أُنس الأحياء»**[2].

2. ضغطة القبر:

ولا ينجو منها إلّا القليل القليل من عباد الله المؤمنين الصَّالحين. يروي أبو بصير قال: **«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ قال: فقال عليه السلام: نعوذ بالله منها، ما أقلّ ما يفلت من ضغطة القبر... وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، خرج في جنازة سعد وقد شيَّعه سبعون ألف ملك، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسه إلى السَّماء، ثمّ قال: مثل سعد يضمُّ!...»**[3].

وعن الإمام الصَّادق عن آبائه عليهم السّلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«ضغطة القبر للمؤمن كفَّارة لما كان منه من تضييع النِّعم»**[4]، فالمؤمن إذا لم تكفّر جميع ذنوبه في

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق،ج6، ص 218.

(2) الشيخ عباس القمي، الأنوار البهية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران- قم، 1417ه، ط1،ص 60.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 6، ص 261.

(4) المصدر نفسه، ج 6، ص 221.

الدُّنيا، فإنّ ضغطة القبر تكون بمثابة الرَّحمة له لتكفّر عنه ما بقي من سيّئاته.

وأهمّ أسبابها سوء الخلق مع الأهل، كما ورد في الخبر عن سبب ضغطة «**سعد**» المتقدِّم، والنَّميمة وكثرة الكلام والتّهاون في الطَّهارة. وهذه الضَّغطة لا تنحصر بالأرض فقط، بل ورد أنّ الهواء له ضغطةً، والماء له ضغطة أيضاً.

إنّ ضغطة القبر تعني التَّضييق على الميَّت، وإنّ طبيعة الأعمال هي الّتي تحدّد شدّة هذا الشُّعور بالضِّيق والأذى في عالم البرزخ، وهي تحدِّد أيضاً أمَد استمرار هذه الضَّغطة؛ التي قد تكون شعوراً وأذىً روحيّاً مؤقَّتاً يزول بعد حين؛ وقد يستمرّا أمداً طويلاً وقد يبقى إلى البعث والنُّشور.

3. قرين السّوء:

وهو العمل السَّيِّئ الَّذي يرافق الإنسان العاصي في قبره، ويكون معه إلى يوم حشره وحسابه.

يروى عن قيس بن عاصم أنَّه قدم على رسول الله ﷺ، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**... يا قيس لا بدّ لك من قرين يدفن معك وهو حيّ، وتدفن معه وأنت ميِّت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثمّ لا يحشر إلَّا معك، ولا تحشر إلَّا معه، ولا تسأل إلَّا عنه، ولا تبعث إلّا معه، فلا تجعله إلّا صالحاً، فإنّه إن كان صالحاً لم تأنس إلّا به، وإن كان فاحشاً لم تستوحش إلّا منه، وهو عملك...**»[1].

4. ظُلمة القبر:

في رواية عن الزَّهراء عليها السّلام عن أبيها ﷺ، في رواية التّهاون في الصّلاة، أنّ من آثارها في القبر ثلاثة: «**وأمّا اللّواتي تصيبه في قبره فأولاهنّ يوكل الله به ملكاً يزعجه في قبره، والثّانية يضيق عليه في قبره، والثّالثة تكون الظلمة في قبره**»[2].

(1) الديلمي، أعلام الدين، تحقيق مؤسّسة آل البيت، إيران - قم، لا. ت، لا. ط، ص 332.

(2) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج3، ص24.

الآثار الأخرويّة للذُّنوب

قبل الحديث عن آثار الذُّنوب الأخرويّة، لا بأس بالحديث عن الآخرة ويوم القيامة، وما أدراك ما يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، ويحشرون في ساحتها، وهو يوم عظيم مهول، بشّر الله فيه المؤمنين الصّالحين بالأمن والأمان، وتوعّد الظّالمين المجرمين بسوء الحساب يوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[3].

لقد شدّد الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم على مسألة المعاد في عشرات السُّور القرآنية، حتّى قيل إنّ ثلث القرآن يرتبط بأحوال الآخرة وما بعدها... نذكر بعضاً ممّا قاله في كتابه الكريم: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[4]، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[5].

وخلاصة الكلام، إنّه بعد طيّ منازل الآخرة وعقباتها وصراطها، فإنّ المصير إمّا إلى الجنّة أو إلى النّار، وبيَد الإنسان تحديد المصير، ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[6].

وقد أشار الله تعالى - في القرآن الكريم - والرَّسول الأكرم ﷺ، وأهل بيته عليهم السّلام، إلى آثار كثيرة للمعاصي والذُّنوب في الآخرة، تحذيراً لنا من مغبّة الوقوع فيها، لعلّنا نرشد أو نعقل، فلا نكون من أصحاب السّعير، سنقتصر على ذكر أهمِّها:

1. عذاب النّار:

قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ

(1) سورة المطفّفين، الآية 6.
(2) سورة المزّمل، الآية 17.
(3) سورة الحج، الآيتان 1-2.
(4) سورة المؤمنون، الآية 115.
(5) سورة الواقعة، الآيتان 49-50.
(6) سورة الروم، الآية 44.

هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1]. فمن الآثار المعروفة للذُّنوب والمعاصي أنّ مرتكبها إذا لم يتب فهو مستحقّ لدخول النّار. وقوله تعالى في آية أخرى يؤكّد هذه الحقيقة ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[2].

2. الافتضاح:

إن الله يستر برحمته على المذنب في الدُّنيا، لعلّه يتوب ويرجع إلى ربّه، ولكن الفضيحة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، وأمام الخلق أجمعين، لا سيّما أمام معارفه وأقربائه. ورد في مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**إلهي قد سترت عليَّ ذنوباً في الدُّنيا وأنا أحوج إلى سترها عليَّ منك في الآخرة، إلهي قد أحسنت إذ لم تظهرها لأحدٍ من عبادك الصَّالحين فلا تفضحني يوم القيامة على رؤوس الأشهاد...**»[3].

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾[4] يقول العلّامة المجلسي: «**الأشهاد جمع شاهد وهم الذَّين يشهدون بالحقِّ للمؤمنين، وعلى المبطلين والكافرين يوم القيامة في ذلك سرور للمحقِّ، وفضيحة للمبطل في ذلك الجمع العظيم...**[5]».

فالآية تشير إلى معنىً دقيق، وهو أنّ يوم الأشهاد هو اليوم الّذي يُبسَط فيه الأمر في محضر الله تعالى، وتنكشف السَّرائر والأسرار لكافّة الخلائق، وهو يوم تكون الفضيحة فيه أفظع ما تكون، ويكون الانتصار فيه أروع ما يكون، إنّه اليوم الّذي ينصر الله فيه الأنبياء ويزيد في كرامتهم، وإنّه يوم افتضاح الكافرين وسوء عاقبة الظّالمين، ويوم لا يحول شيء دون افتضاح الظّالمين أمام الأشهاد[6].

لذا، ينبغي على العاقل أن يخاف هذا اليوم، وأن يخاف الفضيحة أمام الله عزّ وجلّ،

(1) سورة البقرة، الآية 81.
(2) سورة النمل، الآية 90.
(3) مقطع من المناجاة الشعبانية، القمّي، مفاتيح الجنان، مصدر سابق، ص 209.
(4) سورة غافر، الآية 51.
(5) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج7، ص 162.
(6) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مصدر سابق، ج 15، ص 283 (بتصّرف).

وأمام الأنبياء والأئمة والأولياء عليهم السلام، وأمام النَّاس أجمعين. روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**وأمّا علامة الموقن فستّة؛ أيقن بالله حقّاً فآمن به؛ وأيقن بأنّ الموت حقّ فحذره؛ وأيقن بأن البعث حقٌّ فخاف الفضيحة؛ وأيقن بأنّ الجنّة حقٌّ فاشتاق إليها؛ وأيقن بأن النّار حقٌّ فظهر سعيه للنّجاة منها؛ وأيقن بأنّ الحساب حقٌّ فحاسب نفسه**»[1].

3. الخزي والمذلّة:

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

بدءاً من أخذ أرواحهم ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾[3]. إلى الوقوف في المحشر أذلّاء، سُكارى غارقين في الحياء، يتصبَّب العرق من وجوههم، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾[4] و﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾[5] ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ﴾[6].

إلى دخول النّار: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[7]، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾[8].

4. الحسرة والنَّدامة:

يتحَسّر الظّالم على الفترة والمهلة الّتي أُعطيت له في الدُّنيا ولم يغتنمها، بل أعرض وتولَّى وكذّب بآيات ربّه ورُسله واليوم الآخر، وها هو اليوم قد أَيقن به حقَّ اليقين، ولسان حاله: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[9]. ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ

(1) ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، مصدر سابق، ص18.
(2) سورة النحل، الآية 27.
(3) سورة محمّد، الآية 27.
(4) سورة عبس، الآية 40.
(5) سورة عبس، الآية 41.
(6) سورة المعارج، الآية 44.
(7) سورة الدخان، الآية 49.
(8) سورة فصلت، الآية 16.
(9) سورة الزمر، الآية 56.

مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾[1].

5. العمى:

العمى عن الحقِّ أحد الابتلاءات الكبرى الّتي يُبتلى بها العصاة والمذنبون في دار الآخرة، كما يقول الله تعالى، مبيّناً هذه الحقيقة في القرآن الكريم ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا﴾[2]، فيأتيه الجواب أنّك كنت أعمى البصيرة في الدُّنيا، لذلك تحشر يوم القيامة على ما كنت عليه ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[3].

6. نسيان الله له:

لا يمكن لمن عصى الله ونسيَ ذكره وطاعته في الدُّنيا، أن يتذكَّره في الآخرة. ونسيان الله في الحقيقة ليس سوى العذاب. ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾[4]. فلم تتذكَّر أيُّها العاصي أوامر الله ونواهيه، بل نسيتَ وغفلتَ واستهزأتَ بلقائه، فالنَّتيجة ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[5].

(1) سورة الفرقان، الآيات 27-29.
(2) سورة طه، الآيتان 124-125.
(3) سورة الإسراء، الآية 72.
(4) سورة طه، الآية 126.
(5) سورة الجاثية، الآية 34.

مركز المعارف للتأليف والتحقيق

مِنْ مؤسّساتِ جمعيَّةِ المعارفِ الإسلاميَّةِ الثقافيَّةِ، متخصِّص بالتحقيقِ العلميِّ وتأليفِ المتونِ التعليميَّةِ والثقافيَّةِ، وفقَ المنهجيَّةِ العلميَّةِ والرؤيةِ الإسلاميَّةِ الأصيلةِ.

ISBN: 978-614-467-010-1

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
لبنان ـ بيروت ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 471070 1 961+ فاكس: 476142 1 961+
www.almaaref.org.lb
Email:info@almaaref.org.lb

المفاهيم الرَّئيسة

1. البرزخ هو الحاجز والحدّ الفاصل بين الشّيئين، وقيل: إنَّ البرزخ هو الحدُّ الفاصل بين الدُّنيا والآخرة، أو بين الموت والبعث.
2. للقبر وعالم البرزخ أهوال عظيمة منها: الوحشة، وضغطة القبر، والعمل السّيِّئ الذي يُلازم الإنسان في قبره ويؤذيه طوال الوقت.
3. يوم القيامة هو اليوم الذي يحشر فيه النّاس جميعاً للحساب، وهو يوم عظيم مَهول، بشَّر الله فيه المؤمنين الصّالحين بالأمن والأمان، وتوعَّد الظّالمين المجرمين بسوء الحساب.
4. أشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى آثار كثيرة للمعاصي والذُّنوب في الآخرة، وحذّرنا من مغبَّة الوقوع فيها، فلا نكون من أصحاب السّعير، منها: النّار، الافتضاح، الإهانة، العمى، النّدامة، والحرمان من لقاء الله وغيرها.